# ما بين العلة والغاية

كتاب ينهل من شهد وصال العلة كؤوساً معطرات
من أجل نشد الغاية من الوجود الجوهر



# ما بين العلة والغاية

دراسات فلسفية
حوارات مع المعلم كمال جنبلاط

تأليف : سليمان خزاعي صالحه

**اسم الكتاب : ما بين العلة والغاية.**
المؤلف : سليمان خزاعي صالحة.
الطبعة الأولى : ٢٠١٤ .
كمية الطباعة : ١٠٠٠ نسخة.
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٩٣٣-٢٢-٠٤١-٩ ISBN.



**للتواصل مع المؤلف:**
هاتف : ٠٠٩٦٣١٦٣٢٣٩٥١ - ٠٠٩٦٣١٦٧٧٤٣٣٥
خلوي : ٠٠٩٦٣٩٣٢٠٥٨٠٢٢

**جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في**
**دار مؤسسة رسلان للطباعة و النشر**

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار مؤسسة رسلان
للطباعة و النشر و التوزيع
دمشق – جرمانا – الآس الشرقي
هاتف: ٠٠٩٦٣١١٥٦٢٧٠٦٠
هاتف:٠٠٩٦٣١١٥٦٣٧٠٦٠
فاكس: ٠٠٩٦٣٥٦٣٢٨٦٠
ص .ب : جرمانا ٢٥٩

في نور ذاتي .. تصورت كلمتي .. التي جمعتها من نور ذاته .. حيث أشارت إليه في ذات نوره .. فذابت كلمتي .. لتبقى فيما بين السطور ..

**كلمة المعلم " كمال جنبلاط "**

# تقديم

كنت ولم أزل؛ أتأمل هذا الوجود, وفي ذاتي أسئلةٍ جمة , أسئلة تتأمل في ذاتها, تتأمل وترقى وتتسامى, لتشغل كينونتها وكياني بطيف من نسيج خيال لطيف حرٍّ.. تصور مع وداعة ذلك التناغم البديع الهائم فيما بين الوعي والوجود, تسترسلها مخيلتي وكأنها معزوفة عشق على قيثارة هذا الوجود, لترفع حجاب الصمت وتقول: إذا ما كنا من روح الأزل, من ذات الماهية الإلهية, من الحقيقة الكلية الجوهرية؛ إذاً, لا بد أن نكون سرَّ الوجود, سرَّ الحقيقة في وجود, روح الأبدية والخلود.
إذا ما كنّا من جوهر النور؛فلماذا نحيا في الظلام؟ إن في إشراقنا نور,وفي غروبنا نور, نور من الأزل, لأننا حركة شوق وهيام مشرقة من نور الجلال تائقة أبداً إليه.
هنا تتسامى الرؤى, لتتناغم ترانيم الوجّد فيما بين العلة والغاية. فالعلة تنشد ذاتها بجماله ,والغاية تنشد ذاتها بجلاله. والنشد أبداً واحداً , والمنشود هو هو الواحد.
فالكلمة مبسوطة في حدائق الوعي، والوعي سابح في عوالم العقل, والعقل مبسوط في صفاء الوجود الجوهر.. في غبطة ذاته.
فالحرية والسلام صنوان, لأنهما من العقل وإليه. إذا ما كان العقل نبعاً للحرية, وسمواً إلى السيادة الحقيقية.
إن السيادة تتعدى كل شيء حتى القوانين جميعها؛ إلى عالم الإطلاق، لنقل : نحن الكل, والكل نحن. نحن هو, وهو الحرية المحضة, والحب المحض والشوق المحض, والجمال المحض, حيث يصبح كل شيء منه وإليه بمحض أرادته. وكل شيء حرٍ, يحقق حرية الإطلاق. حيث يصبح الناشد والمنشود واحداً؛ بعد أن تتوحد العلة والغاية في غاية غايتهما, في غاية الكل الواحد, لتعود الدائرة إلى نقطة البيكار؛ إلى البداية التي تنشدها حركة الإطلاق, ليتابع الزمان سيره الأبدي من جديد.

فالكون في ســـفرٍ,إنما هو ســـفر الوجود بذاته الكلي إلى ذاته المطلق. إذاً,نحن بالوعي نسفر منـّــا إلينا, من خلال حركة شوق وهيام ؛ هو قبُلتها, هو وجهتها. وهو غايتها.
إذاً,نحن بـالحق روح الحركـة.والكيـان المتحرك, والصـــميم المحرك.وكليـة الحركة؛ إنما هي حركة شـوق وهيام منه وإليه، حركة مبسـوطة في العقل؛ والعقل مبسوط في وجود مبسوط في ذاته الملتذة بغبطة البسط.
فنحن البداية, ونحن النهاية, ونحن السبيل, ونحن الواصلون بنا إلينا, فمن حدائق الأبدية إلى رياض الخلود كانت إرادة العلة قد ســـطرت مشـــيئة الســـفر على صـفحات اللانهاية, لكن جهالة الفكرة التي صـنعتها الرغبة.. رغبت أن تسـفر عنه وليس إليه, فأصـــبح ما كان في دائرة الغبطة القابلة للتحقق فعلاً, أصـــبح في دائرة التوهم فقط ..
لنقل : أننا قد افتقدنا العلة والغاية, والبداية والنهاية, وصرنا إلى جبلة من طين, والطين في الماء يذوب. لنسأل بلسان من ينشد الواجب نسأل, ما هو الواجب؟
فقد نعلم علم اليقين ,أن الفلاســـفة القدماء "قد رفعوا بناء الفلســـفة إلى مســـتوى النظر آنذاك", وأرسوا قواعد الحركة من أجل الوصول, ومن واجبنا كبشر نريد أن نعقل هو" رفع ذلك البناء المهيب إلى مستوى النظر الآني ".
إذا ما كانت الفلسفة " وعي المعرفة "؛ فلا بد من النظر علواً, في بصـيرة علوية من أجل نيل الفلسفة هناك في عالمها, عالم الوعي,وليس عالم الأغراض والمصالح, إذا ما كانت تلك الفلسـفة التي ننشـدها اليوم " فلسـفة أغراض ومصـالح ", تتحقق من وراء كواليس الفكر الجهنمية، إذاً لا بد من السمو إلى عالم الغائية الإرادية.
هناك قد نجد صـــفوة الزمان, ليتســـامى العبق الندي من حدائق المكان, هناك يحقق الوجّد ذاته , ويستقر الشوق في جنائن ذاته, ويتغنى في ذاته الهيام, فعلى وترّ الحب البديع الصافي. ينشد الكل أنشودة الحقيقة ؛ ينشد الكل أنشودة السلام.
فقد نعرف الجمال حقاً؛ إذا ما تناغم مع الجمال في أقداســـنا,وقد نعرف الحياة حقاً؛ إذا ما كانت الحياة تحقيقاً لوعي تلك الأقداس.

ويتكشف في مرآة الوعي كل فعل رائده الضمير, وكل فعل رائده الضمير؛ إنما هو من أجل بناء الحياة في أسمى معانيها.

يتوق الإنسان إلى فعل الخير استجابة إلى وحي الضمير,لكنه يفعل الشر حكماً؛ كونه يخضــــع إلى ذاتية الفكر وهذا التناقض فيما بين ما يريد وبين ما يرغب وفعله الدائم لما يرغب, قد أقصـــاه عن إرادته الإنســانية حيث ســيادته الحقيقية, وجعله في موقع لا إنساني حيث أصبح خاضعاً إلى رغبات الفكر المتجسدة في كيانه المشبع بتلك الرغبات.

ومن خلال نظرة جلية إلى هذا الواقع الشقي بما يحمل من آلام وهموم,لا بد من البحث عن سبل الخلاص,لابد من علم يرقى بالإنسان من بؤرة العذاب هذه,ويحرره من قيود أثقلت كاهله عبر وجوده المأساوي في ربقة الفكر.

إن هذا الإنســـان الذي يجهل كل شـــيء حتى جوهره, كونه يقاس في مقياس الفكر على أنه قيمة مادية خاضعة إلى معادلات ذلك الفكر فيما بين الربح والخسارة.

هنا يصبح الإنسان عجلة حياة متحركة طوعاً بحركة خارجة عن إرادة ذاته التي لم تظهر بعد من أجل أن تتحرر من الخضـــوع,تحت ســـقف أدنى وأرخص من تصوراته.

وهذه العجلة تتحرك حســـب ما يقتضـــيه الأمر؛ حيث تبقى بعض من قواها خارج الفعل المحقق لأنه خارج عن الاستحقاق الفعلي الذي يراه الفكر.

لنجد أن العالم يســاق إلى العمل لقاء أجر معيّن, وليس من أجل واجب يجب أن يتحقق بكل إمكانات العالم وقواه التي تبقى كامنة في ذلك الجســـد الإنســـاني ليختزلها الزمن تحت غائلة المحسوبية الشكلية الغرضية.

إذاً, لا بد أن نعلم, أن العلم في واجب الحياة قد يفتح لنا بوابة ضـــاحكة هي غاية في الاتســـاع والبُعد من أجل تحرير الحركة الإنســـانية كلياً, وإنعتاقها من جميع القيود, من أجل أن تكتسب إرادة الحياة التي قد تصبح بالوعي إرادة عطاء أغنى من التصور.

إن كل ما يحيط بالإنســـان الحالي هي جملة من القيود التي تثقل كاهله, وهي تزداد تباعاً, وقد طغت على قواه المادية والمعنوية, حيث أصبح العالم اليوم؛ يئن من وطأة الحياة وثقلها وشراستها . فما هو الحل إذاً؟

لا بد أن يكون الحل الحقيقي في التغير الشـــامل,من خلال العلم الحقيقي العلم المنقذ من هذا الظلال المضني لإنسانية الإنسان, الخافض لإمكاناته المادية والمعنوية.

فمن أين نبدأ؟..إنما هو سـؤال يحمل في ذاته أسـئلة جمة, سـؤال لا بد أن يجد له محلاً في الذات وفي الضمير والوجدان, ذلك من أجل أن يصحو الضمير,هذا إذا ما ولجنا إليه بنوره, لأنه لا يسـمع صـراخ الفكر الذي كان قد وضـع بينه وبين الضمير ألف حجاب وحجاب.

إذاً, من أين نبدأ؟ بعد أن شـــابت فينا البدايات والنهايات ونحن ندب في قفار البُعد من غير أمل أو رجاء, ندب وراء فكر مهيمن على كل شـــاردة فينا .. وفي الوجود.

نحن افتقدنا صـراط أمرنا وسـرنا بأقدامنا إلى بؤرة الشـقاء المظلمة, بعد أن ظللنا غاية وجودنا, وغايتنا في هذا الوجود.

نحن تجاهلنا ســواء الســبيل حتى جهلنا أن ما بين العلة والغاية يتبدى جمال الصورة وجمال التصور, في الجمال المتصور , في مرآة الجمال ذاته.

غاب عنـّا عالم الوجود الحق, عالم الحياة الحق,عالم الوعي الذي ينشد ذاته فيما بين العلة والغاية , من البداية وحتى اللانهاية.

فمن مواقع البداية .. تجلـّت علة الوجود الحق , تجلت من أجل غاية كانت في غاية التصور, وغايتها ,إنما هي كمال ذاتها في وجود دأبه الكمال في ذاته.

فالكل ينشد غاية في ذاته,والغاية تنشد الكل في كمال صفاتها , ويتناغم النشد بين العلة والغاية تحقيقاً لترنيم الوجود فيما بين ناشد ومنشود.

ويصـــبح النشــد نغماً , يصـــبح نغم الوجود, نغم يتناغم في ذاته, مع كل نســمة وجـدّ؛ مع كل نشرة حب واجدة في حنايا ذاتها عشقاً لذاته, وشوقاً وهيام.

الناشــد يترنم في غبطة نشــده, والمنشــود يترنم في غبطة ذاته المتصــورة في كينونة الناشد,وحين يترنم الناشد في غبطة ذاته,يصبح الوجود ترنيماً في ذات الكل وفي ذاته

فمن العلة نبدأ,ولكن؛ أين هي العلة؟فإذا ما كانت البداية من كل أين, وإذا ما كانت العلة في كل أين؛ إذاً, لا بد من القول: نحن البداية,ونحن النهاية,ونحن السبيل, ونحن الواصلون.

هي الكلمة لغة حرة هائمة في جنان ذاتنا,علنا نكون حروفاً تائقة لوعي ذاتنا الهائمة في عالم الغاية عبر مدارها السرمدي.

فهل نلتقي على شواطئْ الغبطة الأبدية؟ وما هي سبل اللقاء من أجل أن نكون في مواقع العلة التي كنّا قد ظللنا كل سبلها الفرحة.

فالكلمة تســألنا لنكون جملة حروفها الدالة إليها فينا, هي تســألنا في لغتها الأبدية الواحدة, لغة التوحيد .. لغة الله فينا .. وليس في لغاتنا الفانية.

إذاً,علينا أن نتعلم, علينا أن نتعلم لغة الوحدة الدالة إلى العلة والغاية معاً, الدالة إلى ذاتنا الحرة وإليه, إنما هي لغة صافية كنور الحقيقة, هي لغة الصمت الجميل.

عاشق أنا من الأزل , تاقني لحن الخلود

إن في عشق الأزل , نعلم سرَّ الوجود

هي الكلمة قطر من الحب الصــافي تروى بها حدائق المحبة، إذا ما كانت من ماهية النور الذي وحّد حروفها وسطرّها على صفحات ذاتنا الحرة.

لكن الكلمة التي تحدث ضــجة وصــخب إنما هي فكر, إذا ما كانت الكلمة التي تتصور في الأعماق بدون أقلام ولا مِداد, هي وعي .

هي تسـأل الأعماق من الأعماق, هي تتصــور بوحي من الضــمير, من أجل أن تصبح نغم الوجود.. من أجل أن نصبح هي .. وهي نغم الوجود..

فالغريب الغريب أن نصبح غرباء في عالم غريب, غرباء عن هويتنا الحقيقية, في عالم غريب عن الحقيقة.. وتصبح الحقيقة غريبة عن حياة هي في ذاتها حقيقة .

هنا نكون قد خرجنا من عالمنا الحقيقي, إلى عالم مزيّف, وعشـنا الزيف الذي لا يتناغم أبداً مع الوجود الحق ولا مع حركته الغائية.

إن كل ما في الوجود من صور ناظرة متأملة, تحدثنا عنّا , ونحن بكل ما نحمل من قيم؛ نتحدث عن الأغراض التي لم تكن أبداً فينا .. ولم تكن أبداً منـّا.

فكم هو جميل أن نعلم,أن علة الوجود تحركه منه في دائرة الإطلاق,حركة شـوق وهيام , ونحن جوهر هذا الوجود, نتحرك عنه حركة غرضـية ذاتية لا قيمة لها, مع أن الحركة منـّا ولأجلنا.

و هل نحن كصـور غائية نقع في آخر حدود المطلق؟مع أننا ندرك حتمية وجودنا فيما بين العلة والغاية.

إذا كنـا في هـذا الموقع الإرادي,لا بـد أن نكون في نطـاق دائرة الإطلاق المتحركة إرادياً.

هنا نجد أن الواجب يطلب منـّـا أن ننتظم في دائرة نحن وجودها الحقيقي, ولن ننتظم فيها ما دمنا نجهلها , ونجهل وجودنا فيها.

إذاً, لا بد من العلم الحقيقي, العلم الذي يضعنا على صراط أمرنا, هو العلم الذي قال به الرسول الكريم(ص) : " من عرف نفسه عرف ربه".وقال به سقراط: "أيها الإنسان أعرف نفسك". وقال به الحكماء: " العلم نور, والجهل ظلمة", وهذا العالم يجهل. والجهل مصيبة الكل معاً. ...

**سليمان**

# كمال جنبلاط

من عالمه الغريب من موطنه الغريب، قَـدِمَ إلينا من أجل أن يجسّد غرابة الغريب فينا– من أجل أن يلغي حدود الغربة بين المواطن والوطن- في وداعة من ذلك التناغم البديع الذي استوحاه بين الكلمة والقلم ، في وداعة نغم الوجود– وجمال الحقيقة– ومع صـفاء تأملاته وتذكراته كتب بعض مذكراته، فكانت من أهلةِ عالمه إلينا– ومن أدلة له علينا– إنما كانت بلسم شفاء لمن عرف أن البلسم شفاء من كل داء.

قدِم بعلم الكمال ، من أجل كمال السطور، من أجل كشف الحجاب من أجل أن يتصور فينا كما تتصور الأنجم في الظلام، فكان رسالة غريبة من عالم غريب.

رأيناه متصوراً في جوهر الكلمة– وقرأناه فيها ومنها– ونشدناه من صميم جوهرنا إلى صميم جوهره حيث جعل للكلمة فينا جوهراً ومعنى.

مع إشـراق النور أتى – وفي مداد النور كتب كلمته المشـرقة-ومن جوهر النور صاغ حروفها المشغولة بالشوق إلى جوهر الكلمة التائقة للوجود.

ومن مواقع العتمة كانوا يلتمسـون كلمته– علها تكون شـاهداً لهم – في تحقيق مآربهم حيث لم يعلموا أن كلمة الحق هي من جوهر النور – ولن تألو إلا لجوهر النور – ولم يتعلموا أن غبائهم لا يندرج في عالم النور.

كان يبني صـوامع الحكمة في الوجود– وكانوا ينصـبون له الشـراك– ويصنعون ميادين الصراع بكل حدب وصوب ليقتلوا غرابته فينا ليقتلوا الغريب وكل غريب.

فلم ينظروه بعين إنسـانيته كما هو – إنما رأوه بعين جهالتهم كما هم– فتألم علينا وعليهم، تألم من أجلنا ومن أجلهم، و نادانا جميعا من منابر الحب والسلام– نادانا بعبارات الحب والسلام- من أجل أن يجسّد فينا جمال كلمته وثراء محبته –

من أجل أن نكون معاً رسـالة حب وأمل– لكنا كنا في حالة حرب، في حالة من الغضب.

هو بسط لنا سبل الحياة الفرح – مفروشة برياحين ذاته البيضاء – من أجل بسط ذاتنا في جنان الفرح من أجل أن نبني بيوت الحب والسلام في حدائق الفرح.

هو كمال العلم والمعلم – كمال الحرف في الكلمة – كمال النهج والغاية هو من رسم لنا درب الوصول إلى غاية الكمال – غاية الحياة والوجود – لكنهم عجزوا عن رفع جبـاههم– ليروا جمـال العلو– الجمـال في ذاتـه– في كمـال العلم - في كمـال المعلم– في عالم الكمال – في عالم الجمال الذي أراده لنا- صـــانع علم الحياة - حياة الفرح.

هي التعاسـة دين الأغبياء – وقد تذوقوا مرارتـها– حين وضـعوا علم الجمال في زاوية منسـية، كما وضـعت جهالة من قبلهم مصـباح النور تحت المكيال عناداً من مصدر النور، عاشوا التعاسة لأن عنادهم قد أفقدهم نور الحقيقة وكل نور.

كمال الإنســان– تســامى إلى مواقع النور- ونادانا إليه– من أجل بســطنا في جوهر النور- يا للفضـيحة إذا ما كشـف النور خباياهم – كيف تفعل هذا وهم يطفئون كل نور حتى لا تـُعرف لهم حقيقة ترهبهم بثقل خطايهم- وقالوا لماذا النور يا معلم فالعصــــر ظلمة؟ ولمن تكتب أيها الغريب ما دمنا لا نقرأ؟ ولماذا تعود لنا مســـيحاً قتلناه ألف مرة ومرة، إذا ما كنا تجار أوطانٍ و بشـــرٍ و أديانٍ ومذاهبٍ ودماء؟ وإذا ما كنت ميزان عدل بيننا ؟ فلن نقبلك – لأننا قتلنا العدل فينا من قبل أن تولد .. فهل في الغاب من قانون؟

# ما بين نور العلم - ورسالة المعلم كمال جنبلاط

لقد كان أغنى القرون على الإطلاق في السلب والإيجاب, القرن العشرين,الذي حمل إلى الحياة ما عجزت عنه العصور كلها, وسلب منها ما لم يتصوره عقل أبداً.

جملة من الرسائل قد تحققت في ذاك القرن,منها الرسائل التي جلبت إلى الإنسانية ويلات ومحن, ومنها رسائل تسامت بإنسان ذلك العصر إلى مواقع في غاية العلو والتصور.

وقد تكون من أغنى تلك الرسـائل في ذلك القرن العجيب, رسـالة غريبة, لرجل غريب, رسالة الأستاذ " كمال جنبلاط ", المعلم في علم الحقيقة.

" غاية العلم هي معرفة الحقيقة الأخيرة للوجود". ج١ ص١ وموسـوعة من العلم والمعرفة, بقلم الدكتور صالح زهر الدين. تحت عنوان :

{سيرة الشهيد كمال جنبلاط}

لنقل: إن لكل شيء حقيقته الذاتية, وجميع حقائق الأشياء تدل وتشير إلى حقيقة كلية واحدة,هي الحقيقية التي أرادها المعلم,وهي نحن في ذاتنا الحرة من كل قيد, هي الجوهر الغائي الذي يحرك الوجود من ثبات مطلق .. من علة الوجود .. إلى غايته.

وقد كان المعلم فلسفة في ذاته, والفلسفة حسب رأينا " وعي المعرفة ", إذاً لا بد أن تكون غاية العلم هي المعرفة, وغاية المعرفة هي الوعي, وغاية الوعي هي العقل .. والعقل هو وجه الحقيقة التي ينشدها الجميع..

يقول الكاتب:" من هنا كان لكمال جنبلاط موقف ونظرية, فقد شـدد على أن العلم يجب أن يتوجه إلى الإنسان ويحقق إنسانية الإنسان. أما ( إذا اقتصر إلى الوجه التطبيقي يكون خطراً على الإنسـان وعلى الجماعة وعلى الحضـارة". ص ٣١

إذا ما كان الإنســــان هو الفاعل, لا بد أن يكون الفعل من أجله, ومن أجل إنسـانيته, هنا يصـبح البناء الإنسـاني في غاية الانسـجام والوحدة مع حركة الوجود التي رأيناها " حركة شوق وهيام من أجل كمال صفاته".

وبما أن الإنســان من روح الوجود ومن صــميمه؛ إذاً,لا بد من معرفة الوجود معرفة جلية, بل لا بد من وعي الوجود , من أجل أن تتوحد الحركة في صــــراط الغاية الإرادية إذا ما كان محركها عقل الوجود الجوهر.

هنا بقيت حركة الوعي في بوتقة الوجود الحقيقية مفقودة منذ أن وضــــعها الفكر فيما وراء الرؤية المعنوية, وخارج البحث كلياً. حيث راح الإنسان يفقد في كل زمن وســيلة من وســائل علاقاته مع كينونة الوجود وكينونته؛ وقد اســتحوذت ضجة المادة على كل شيء.

إن الديمقراطية التي حققها الفكر المبني على الســلب؛ قد حققت ما في ذاتها من مفاهيم قائمة على السلب, كونها مبنية على أغراض ومصالح.

وقد تحقق الديمقراطية غاية الإنســـان, حين يعي هذا الإنســـان واجب الحياة , ويعلم أنه رسالة عطاء ، ويستطيع أن يحقق بالعطاء ذاته ورسالته ووجوده وغاية الحياة وغايته معاً .

يســـتطيع الإنســـان أن يحقق جنته الحقيقية,حين يعي أن الجنة الحقيقية هي في ذاته, وما عليه ســوى رســم ما في ذاته من صــور على صــفحات الوجود الحق , فيتحقق الوجود الحق وإنسان الحقيقة معاً.

فقد كان يريد جنبلاط بناء "نظرية شـــاملة للحياة والوجود" من خلال حزب سياسي .و هو يعلم أن مساحته السياسية صغيرة صغيرة في لبنان المحكوم طائفياً ولا يمكنها الاتساع.

جنبلاط يرفع مسـتوى النضـال السـياسـي في لبنان إلى مواقع التحدي الواضـح بوجه الجهل والفســاد والأحلاف والمؤامرات حيث التقى في نهجه مع جمال عبد الناصر والوحدة بين سوريا ومصر, والتقى أيضاً مع منظومة عدم الانحياز وقادتها الكبار.

لكن الغاية الحقيقية من بحثنا هذا, إنما هي تلك الرحلة المبســـوطة في ذاتها, فيما بين الذات والكينونة, كما هي رحلة مهيبة واجدة في صميمها شوق العاشق وتوق المعشوق.

يقول جنبلاط: " وعلى أي حال فقد كتبت أنا نفسـي عن هيراقليطس, عملت فيه أكثر من ثماني سنوات وسأقوم بنشره قريباً".

ويقول أيضاً :" والدرزية هي ملة الوحدة الأساسية بين الأشياء والكائنات, إنها وحدة الكون الجوهرية في صيغته الروحية والطبيعية والفيزيقية في آن معاً, أي كما لو كانت العناصر ترى من ذات الخلفية ومن ذات الجوهر الباطن. ففي بدء الأشياء كلها, لم يكن الله والعالم والروح يشكلون إلا كلاً واحداً ٠٠٠٠ " ص ٧٧

التوحيد, إنما هو توحيد الجوهر في بوتقته الغائية, والدرزية " لقب ســـلبي" أساسه " قاتلي الدَرَزي " ذاك السفير الذي نقض العهد فقتله الموحدون.

التوحيد,إنما هو الانعتاق من الترابية الدنية, والتحقق في الوحدة الجوهرية الكلية, حيث تتحقق غاية الناشد والمنشود في حدائق الأبدية والإطلاق .

التوحيد هو أن نتعدى الفكرإلى العقل, والاختلاف إلى الوحدة, والمادة إلى الجوهر, والكيان إلى الكينونة, والرغبة إلى الإرادة, والأمة إلى الأممية, والحرب إلى الســـلام, والحب الجســـدي إلى الحب الجوهر. أن نتعدى الخطأ والخطيئة,أن نتحرر من جميع القيود حتى ننال الحرية الحقيقية, إذا ما كانت الحرية الحقيقية " الإنعتاق من جميع القيود " فالتوحيد هو {توحيد الذات الإنسانية في الذات الكلية من خلال الوعي} . أن الفكر قائم على الاختلاف,إذا ما كان لكل مصـــالحه الذاتية المختلفة وذات المنشـــأ الترابي, اختلاف عن الآخر, و هذا الاختلاف قد يؤدي إلى صراع , والصراع يؤدي إلى حرب من أجل تلك المصالح المختلفة, لذا, فقد كان التاريخ تاريخ حرب أقامها الفكر من أجل امتلاك القوة التي أنتجت بفعله " شـريعة الغاب".

التوحيد, إنما هو الاغتسال من أوحال لفكر بماء الجوهر, من أجل السمو إلى الجوهر الواحد, أي التجرد للحق والحقيقية بوعي غاية الحياة في هذا الوجود.

في التوحيد كلنا واحد, واحد ينشد الواحد, لأن الموحدين يعلمون أن الدين واحد لمعبود واحد, والذي وضع هذا الاختلاف, إنما هو الفكر,ذاك الذي دس في نصوص المذهب بعض العبارات الغريبة على المعتقد التوحيدي من أجل الاختلاف.

وقد تكون تجربة الشـــيخ الجليل " جمال الدين عبد الله التنوخي" في دمشـــق خير دليل لأنه كان يعلم, فالجميل الجميل أن ننســـب المعتقد لمن يعلم, وليس لمن يجهل.

كلنا ننشد غاية إنما هي في نقطة بيكار الدائرة, هي الحقيقة الكلية الجوهرية المجردة التي لا يمكن الوصــول إليها إلا بعقل مجرد. إذاً, نحن جميعنا بالوعي نتجه إلى نقطة بيكار الدائرة, وكلنا حب وسـلام وإخوة وإيمان, لأن الذي كان يفتت شـملنا قد زال منـّـا ومن الوجود, إن في زوال الفكر, يزول الاختلاف, وفي زوال المادة المتعلقة بالفكر, يزول الفكر أيضاً.

إن وعي الوحدة الجوهريـة للوجود الحق,يضـــعنـا في تلك البوتقـة النورانيـة الشـريفة حيث نصـبح في علم الحقيقة،نصـبح منها وإليها,معتوقين من جميع القيود, إذا ما كان الجوهر حراً أبداً, وكل ما عدى الجوهر, لا بد أن يكون خاضعاً إلى قيود.

حين قرأت فيثاغورس,وبوذا,وغاندي,والســـيدالمســـيح, والرســـول الكريم, وهرمس وكنفشـيوس, وزرادشـت وجنبلاط ....ألخ. ورأيت أنهم واحد؛ علمت أن الذي يفرق بيننا هو الفكر. وعلمت أن الموحدين قد كشفوا لعبة الفكر المخادعة تلك.

التوحيد هو التجرد للجوهر الواحد, إذاً, لا داعي للتحزب,إذا ما كانت الغاية هي الوحدة الكلية لإنســـانية تجردت عن المصــــالح والأغراض,واغتنت بالعلم والمعرفة والوعي, فوصـــلت إلى وحدة الكل في بوتقة جوهرية واحدة, إنما هي وحدة عقلية إرادية غائية حرة من جميع القيود, وحدة تنشـــد الواحد معل علة وجودها, تنشده بإرادته وبعلمه وبحكمته, وبنوره البار, وبجميع السبل المتسامية إلى الكمال.

إن الإنســـان الذي يقطن في آخر المعمورة ويعلم,هو خيرإليّ من أخي الذي يقطن في جواري وهولا يعلم.ومن أجل ذلك أقول:إنني سوري الهوية؛ أممي العقل والروح والضمير. فالذي توَحد في جوهره,وأصبح نجماً ساطعاً في مدارالأبدية,ينير سبحات الوجود الهائم , وينير ذاتي " هو معلمي الحقيقي ".

إننا نحترم ونقدر ونهيب بكل داعٍ إلى خير الإنســانية, ونجلّ الأديان والمذاهب والمعتقدات جميعها , والقائمين عليها. نقول هذا لأننا نعلم أن الجميع يتجه إليه بكل جوارحه, بكل كله الجوهري.

ملاحظة: إن ما قدمناه عن التوحيد هو خارج البحث,وقد أتينا عليه للتعريف فقط.

" إن هدف الحياة هو تأمل العقل" أرسـطو. نحن لسـنا مع هذا القول, إذا ما كان التأمل هو من أجل غاية مهيبة هي " تحقيق غاية الحياة في الكمال الإنســاني إرادياً.

وجنبلاط يصــف شــري أتماننندا وهو يتحدث إليه في مطار القاهرة فيقول:" ذلك أنه حين يجســد الحقيقة فإنه يشــع بها... فعندما كنت أنظر إليه, فإن مرآه كان يتغير في كل ثانية كما تموج الصــور التي تتعاقب فيه وتتتالى في أبدية ذاتها. كان يعكس حضور السرمد في هذا الدفق من التغير الحسي والعقلي والجسمي..." ص ٧٨

نسـأل لماذا هذا التصـور؟ لنقل: إن لحظة مباركة قد جمعت وعي جنبلاط ووعي أتماننندا , فترجم الوعي ذاته في لغة الجوهر.. فتجلت صــور الحقيقة. ولو نظر آلاف من البشر إلى شري أتماننندا بعين الفكر لما قالوا عنه شيئاً, لأن أفكارهم لم تجد في هذا الرجل من أغراضها ومصالحها ما يلفت النظر.

إن عين الفكر تترجم رغبات البشر, وعين العقل تترجم غاياتهم السامية. لذلك لا يجد في جنبلاط سوى عقبة , من هو في مواقع الرغبات .

يقول جنبلاط:"فأنا أمقت الانتماء إلى جماعة مقفلة ســواء كانت دينية أم غير ذلك. وأنا أعتقد إن الإنسان من أرومة الله وعليه أن يسعى وراء ماهية الحقيقة عبر

شـــتى الديانات, ولكن بأن يتجاوزها جميعاً.وهذه الطريقة أنموذجية في التفكير لدى الدروز, فهم غير متزمتين ولا يتمسكون بالشكليات".ص٨١

لماذا يبدي جنبلاط هذا الرأي؟ فمن أجل أن نســتوي على جادة الحقيقة, لا بد من النظر ملياً إلى المراحل الزمنية التي أنزلت خلالها الأديان وتشــعبت فيها المعتقدات, فنجد الجواب الذي أقام عليه مسيرته الصوفية تلك.

فقد يكون على حق ذاك الرجل الذي يضـــرب جســده بالحديد في كل ذكرى لمقتل الحسين ( ر) وتسيل الدماء احتجاجاً وتيمناً.

وبكل أمانة وصـــدق وثقة ومودة, أطلب وأرجو وأتمنى"أن يكون ذلك الحدث عبرة لنا جميعاً, بأن نتفق على الحب الجوهر الذي غرســه الدين الحنيف في صدورنا, وألاّ نقتتل أبداً, أن نكون رسالة حب وسلام, وأن نرحم أجسادنا التي ليس لها جرم في ذلك, وأن نترجم حكمة الأولين بما في أفئدتنا من حب, وبما في كينونتنا من عقل".

فقد كان بوذا رسولاً للإنسانية,وقال رسول الإنسانية آنذاك :" خـُلق الرجل للقتال" وقد أجبت بوذا بقولي : لا يا سيدي , فقد خـُـلق الإنسان من أجل بناء إنسانيته بالحب والصدق والسلام,من أجل بناء الحرية,من أجل الحياة ".حيث إن بوذا قال في عصـــره ما وجب عليه القول, ومن واجبي أن أقول في هذا العصـــر ما يجب من الكلام.

إن التوحيد في جوهره هو الارتقاء من المادة إلى الجوهر, ومن الأغراض إلى الغايات, ومن الفكر إلى العقل, ومن الفردية إلى الكلية, ومن الازدواجية إلى الوحدة.

إن العالم كله من الله وإلى الله, من الحقيقية وإلى الحقيقة, من الوجود الجوهر إلى الوجود الجوهر. والتوحيد هو التجرد إلى تلك الغاية, إذا ما كانت غاية كل غاية.

فأنت أخي بالله أينما كنت؛ وأن الله هو الحب الجوهر, وفي توحيد الحب فينا؛ تتوحد الغايات جميعها في غاية الغايات جميعها, وهي كمال إنسانيتنا بالله تعالى.

فالتوحيد, إنما هو غاية الإنسان,وغاية الوجود, وغاية الناشد والمنشود في رياض الأبدية . فالعيب أن أنظرك بعين جهلي, وأنت تعاقب بي جهلي.

أنت الموحد إذا ما توحد بك الظاهر مع العقل والنفس والروح والضمير من خلال الوعي في بوتقة جوهرية واحدة توحيداً عقلياً إرادياً . في الوعي تتجلى وحدة إرادتنا.

هنا تعلم أن الدين كان وسيلة إرادية من أجل تحقيق غاية عقلية إرادية يحققها الوعي الذي ينعتق من جميع القيود , لتصبح حراً أبداً , سيداً أبداً, موجوداً أبدياً.

فحين يبقى البشر يتكلمون بظاهر الدين حسب مشيئة الفكر,والدين كان في أزمنة الاختلاف ؛لا بد أنهم يتحدثون عن الاختلاف في لسان الاختلاف,وليس عن الدين في جوهر الدين. فالأنبياء والرسل جميعهم قالوا بالحب والسلام, بينما البشر جميعهم راحوا يقتتلون باسم الدين والدين براء مما يفعلون. لنقل: إن التوحيد في جوهره هو مرتكز الديانات جميعها, والحقيقة هي هي مرتكز الديانات جميعها.

ويرى جنبلاط "أن الموحدين الدروز لم يغادروا فلسطين,لأنهم مؤمنون بمعتقدهم وبأرضهم وبقدرهم,ولوأن جميع المواطنون العرب تمسكوا بأرضهم آنذاك, بدلاً من الهرب,إذاً لما كان هناك مشكلة إسرائيل, لأنهم ما كانوا سيتركون هذا الفراغ الذي يبلغ حجمه ١٢٠٠٠٠٠ إنسان. كما أن الفلسطينيين كانوا سيشاركون بسهولة وعلى مستوى واحد في اقتصاد إسرائيل وبالتالي في السلطة السياسية. كانوا سيشاركون في الحكومة ويكونون أقلية قوية فعالة في البرلمان,أي ما يوازي أغلبية صغيرة".ص٨٣ يقول الكاتب "المعلّم تراث قائم بذاته" فقد "رأيتُ أن جنبلاط كوكباً دريّاً استلهم الثرَّيا فأشرق بنورها على الوجود فابتسم الوجود بالنور والحكمة والسلام ,وابتسم كل من سطع في ذاته ذلك النور".

يقول الكاتب عن جنبلاط : " آمن منذ البدء , بأن حرية الكلمة هي المقدمة الأولى للديمقراطية.. ذلك لأن الإنجيل قال: في البدء كانت الكلمة.. كذلك كانت الكلمة الأولى في القرآن الكريم : إقرأ..

قدّس حرية الرأي, وبإيمان أقوى من الفولاذ ,طبّق عملياً قول فولتير : قد أخالفك الرأي, لكنّي مستعد أن أموت دفاعاً عن حرية رأيك "..

كان رجل أخلاق ومباديء وحكمة عزّ نظيره في هذا الكوكب .. غاص في بحر العلوم الواسع, وأدرك لجته الحقيقية. وعَصَرَ حضارات البشرية في " ميثاق "هو بمثابة النسغ في شجرة الحياة..

وفي عملية بحثه عن الحقيقة, احترف " ركن الصــــدق" .. وقلما ترك علماً دون أن يطرق بابه, فنبع معلماً.

وعندما اغتيل, اغتيل عالماً,وفيلسوفاً, وسياسياً,وحكيماً ومفكراً وموحداً,وكبيراً.. ورغم ذلك, بقي فكره وعصارة دماغه , نسغاً صافياً لكل المتعطشين إلى ولوج باب الحياة نحو الخلود.

بقيت مؤلفاته المتنوعة الشـــاهد الأكبر في محكمة التاريخ.. بقي ما كتب, وما كُـــــتب عنه, جزءاً من تراث أمّة عجزت كوارث الســنين والدهور عن إزالة أثره ومحوه من قاموس الزمن.

حوالي أربعين كتاباً في مجموعة لا يســـتغني عنها أيُّ مثقف وأيُّ كاتب وأيُّ رجل علم وفكر وســـياســـة . كما تشـــكل الغذاء الفكري والروحي لكل الكادحين والفقراء في زمن القهر والمجاعة.

- نال إجازة الحقوق سنة ١٩٤٠
- عّين محامياً رسمياً للدولة اللبنانية سنة ١٩٤١
- انتخب نائباً لجبل لبنان في أيلول من عام ١٩٤٣
- عُين وزيراً للاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية سنة ١٩٤٦
- ساعد في إنشاء الحركة الاجتماعية اللبنانية .

- في ١٧ آذار ١٩٤٩ أسس الحزب التقدمي الاشتراكي رسمياً .
- أسس في نيسان ١٩٥١ الجبهة الاشتراكية الوطنية لمحاربة الفساد الداخلي.
- دعا باســـم حزبه إلى مؤتمر الأحزاب الاشـــتراكية الذي عُقد في بيروت ١٩٥١.
- فاز سنة ١٩٥١بالمقعد النيابي عن جبل لبنان للمرة الثالثة.
- مثّل لبنان في مؤتمر حرية الثقافة الذي عُقد في سويسرا حزيران ١٩٥٢.
- عقد في آب ١٩٥٢ مؤتمراً وطنياً في دير القمر باسم الجبهة الاشتراكية .
- عام ١٩٥٣ انتخب نائباً للمرة الرابعة.
- أسس الجبهة الشعبية المعارضة لعهد كميل شمعون ١٩٥٣.
- شارك في مؤتمر الأحزاب العربية المعارضة الذي عقد في بيروت ١٩٥٤.
- ساند كفاح مصر ضد العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦.
- أسهم بالعمل المباشر في اعمار ما تهدم في زلزال ١٩٥٦ .
- قاد الانتفاضة الوطنية العارمة عامي ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ سياسياً وعسكرياً.
- تولى وزارة التربية الوطنية ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ .
- تولى وزارة الأشغال العامة ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ .
- تولى وزارة الداخلية ١٩٦٠ ــ ١٩٦٤ .
- وضع نواة جبهة الأحزاب والقوى التقدمية والشخصيات الوطنية ١٩٦٥ .
- مّثل لبنان في مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي ١٩٦٦ .
- ترأس وفداً برلمانياً وشعبياً إلى الصين عام ١٩٦٦ .
- وقف إلى جانب مصــر وســوريا والأردن في مواجهة العدوان الإســرائيلي ١٩٦٧ .
- تولى وزارة الداخلية ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ .
- قلّد وسام لينين للسلام ١٩٧٢ .
- ترأس اللجنة العربية لتخليد جمال عبد الناصر ١٩٧٣ .
- انتخب بالإجماع أميناً عاماً للجبهة العربية المشــاركة في الثورة الفلســطينية ١٩٧٣ .

- تصـدّى في عامي ١٩٧٥ – ١٩٧٦ للمؤامرة الإسـرائيلية – الانعزالية على لبنان وقاد نضال الحركة الوطنية اللبنانية ١٩٧٥ .
- كان على موعد مع الشهادة يوم ١٦ آذار ١٩٧٧ .

حاز على أوسمة من عدة دول أهمها :

- الجمهورية العربية المتحدة.
- الجمهورية العربية السورية.
- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
- الجمهورية الجزائرية .
- المملكة المغربية .
- الإتحاد السوفييتي .
- الهند .

كتب أكثر من ١٢٠٠ افتتاحية صحفية باللغتين العربية والفرنسية.

عقد مئات المؤتمرات الصحفية, وألقى مئات الخطب السياسية في مؤتمرات وطنية وعربية وعالمية , وفي المجلس النيابي.

أغنى المكتبة العربية والعالمية بمؤلفاته السياسية والفلسفية والأدبية , نشر منها حتى تاريخه أكثر من خمسة وثلاثين كتاباً ٠ " ص ٢٢٣

بديع هو قول فولتير ..لنقل: {حرروا الكلمة من الخضوع ,من أجل سيادة الرأي}.

وفي سيرته الفكرية يقول الكاتب:"السيرة الفكرية هي تعريف بتراث كمال جنبلاط الفكري, الذي يزيد على المئة والخمسين ألف صفحة من الحجم الكبير.

إلى البؤساء الذين تنبض وتغمر في نفوسهم الفضيلة العطشى إلى العدالة,والجياع إلى ملك الحق, والمتمردين في سبيل الحياة،إلى الذين يطلبون المعرفة,إلى الذين يريدون التحرر,إلى أبناء النور ... مجموعة الحياة والنور .

من كتاب الحب والنور.

بعضـهم يسـتجدي الألم , نفسـه بالشـقاء, لكي يصـل, ولكن طريق الفرح هي أكمل وأجدى .. هذه لمحات من توجهات تعبدي وتطهيري في مسار العروج إليه. جاءت كما هي دون رغبة أو طلب .. لست بشاعر, ولكنه الشعور, أحياناً, هو الذي يشعر.
من كتاب فرح
" وكم من محبة أثمرتها شجرة المعرفة, وأية محبة تعلو الحقيقة وتسمو عليها. فإذا عرفت, تعبّدها العارف وتمتلكه.
ثورة في عالم الإنسان
فهو في الحق " فراشـــة الوحي فوق النار تبعثها ٠٠٠٠ بموتها يقظة من يقظة النور وهو" الصـــوت المشـــع للحق الخالد, حيث يظهر الوعي - النور " . هو : لبناني المولد , عربي الهوية والانتماء , عالمي الأفق .. وهنا تكمن إنســانيته الحقة.
هو كمال جنبلاط " ص ٢٣٥
ونبقى نتطلع علواً , نســتلهم الحرف وتوقه إلى كمال ذاته بالكلمة, والكلمة كانت الأولى نسجتها حروف من الأزل, من أجل أن تشرق أبدياً.
ونبقى في توق الكلمة إلى مُعلها, وكأننا بها مجرد إشـــارة منها إلى مُعلها, علنا نعقل السـبيل إليه, وفي الأين الذي ننشـد , نرى دليلاً وإشـارة خطها قلم المعلم, فنتطلع علواً, حتى صار ذاك العلو هو نشدنا.
في الحين كنـا نتـأمـل موقع الحرف من الكلمـة, كـان المعلم يتـأمـل العقل بنور الكلمة التي استوت فيها تأملاته.
وبعد أن زفـّــت عرائســها الأعوام وذهبت مع الريح,علمتُ أنني لن أكون بعض من المعلم كما كنت أنشــد, غير أن ذاتي قد ناشــدتني أن أكون هي .. ومنها أنشد معزوفتي على وترٍ يحقق لها نغمها هي من أجل وحدة النشد, ووحدة النغم, حتى يتجلى اللقاء مع كلٍ من ينشد معزوفة الذات, حتى المعلم.
فلم يكن يســألنا الزمان عن نشـدٍ وعن نغمٍ, حين ذهبنا عنه إلى عالم حرٍّ يشـتاق إلى جمال الروح كشوق الروح إلى جمال الحرية , إلى جمال النشد والنغم ..

بلى, لقد مات تاريخ الناس جلهم مع موتهم,لأنهم أفكار فانية. غير أن تاريخ كمال جنبلاط ؛ بقي مشرقاً أبداً, لأنه .. وعي .. لأنه عقل .. لأنه جوهر, والجوهر لا يفنى ولا يموت.

فقد أبدع ذلك المعلم لحناً يتناغم مع لحن الوجود, فصـــار اللحن نغماً تعزفه قيثارة الوجود , تعزفه أبدياً.

كمال جنبلاط يختلف مع والدته التي تريد تجســيد زعامة نجلها العائد من فرنسا بشهادتي علم النفس وعلم الأخلاق وناقلاً ملفاً جديداً إلى كلية الحقوق. هي تريد له زعامة تقليدية في لبنان, حيث إن العائلة الجنبلاطية الإقطاعية والارستقراطية لم يكن يناسبها ميول وريثها الوحيد إلى الاشتراكية. وهو يجيب بقوله : " أنا لست حجراً مزخرفاً في قصر المختارة, بل حجراً أساساً لبناء مجتمع مناضل في سبيل الأجيال القادمة ".

وأدرك جنبلاط,من المنطق النقدي والعقلاني,النظم الاجتماعية المختلفة سياسياً, اقتصاديا وأخلاقياً, وبدأ يطالب بتغيير النظم التي تبدو غير منطقية.

" لم تقم حتى الساعة في صلب الشعب اللبناني حركة سياسية تقدمية اجتماعية شـــاملة وعميقة من حيث نظرتها الفلســفية للوجود, تهدف إلى إذاعة الأســس الفكرية الصحيحة للإصلاح المنشود وتعميقها وجعل الشعب بأسره يعتنقها ويعمل على تحقيقها ".ص ٣٤

"فقد خصـــص ريع المطحنة في قصـــر المختارة ( ٧٥- و ١٠٠ ) ليرة ذهبيه إلى فقراء المختارة . - أسس ورش العمل لتشغيل العاطلين عن العمل.

- قام بطبع نقد على كرتون بقيمة ٥ , ١٠, ٢٥قرش – ليرة ذهب .
- نظّم نقل الحبوب من فلسطين ولبنان إلى الشوف.
- وضع بالتعاون مع الياس رزق وعبدو غانم ( مشروع حماية العصافير ومشروع تحسين أوضاع الحبوب).
- وزع على فلاحين سبلين مئة هكتار من أراضيها.

كان هذا التوزيع تعبيراً عن شعوره بآلام الناس " ص ٣٥

# رحلة بديعة إلى حدائق النفس

بديعة هي حدائق النفس.. تلك المتصـــورة في وجود .. هو في ذاته أغنى من التصور .. إذا ما كان هو الجوهر الذي أبدع الصورة الحقيقية.تلك الصورة التي آلفت مراسي الوجود بفعل الشوق..لتشكل مع الهيولى وحدة الكون والمكنون.

هي حدائق النفس .. غرس الحياة في الوجود..هي هي غرس الأزل..هي الأبدية والخلود, حيث هي من الأزل .. من ذاته الجوهرية ..

وفي غبطـة البســط والفرح..نحن وعبق الزهور,وأطيـاف الأثير .. وترنيم أنفاس العطور..في وجود هو في ذاته نغمة شـــوق وعبير..نفحة حب في الحنايا والصـــدور .. نحن هو في روعة الضـــمير .. نحن الحدائق والزهور .. نحن نفحات الأثير.. وأنفاس الورود والعطور .. ونحن زراع الأماني كلها .. وباذرون الحب في الصدور ..

ومن غير زمان ومكان .. ذهبت بنا أمانينا على متن أشواقنا, إلى حديقة الحدائق هناك بين دوحات غريبة, حط هيام رحالها.. فالكل هنا في غبطة البسط .. في غبطة النشد.. مع ترانيم الأزل .. وأنغام سكرى بخمرة الحقيقة ..

هنا يقف الزمان مشدوهاً من علو المكان .. هنا نرى المكان فسيح الجنان , حيث يطيب المراح والرواح .. وترقى البصائر إلى عبارة متوهجة بالنور .. عبارة تقول: {هذه صـــومعة الأنبياء }.. وتســـبح طيور الجنة على أنغام الســـلام .. وآية تتجلى بذاتها تتجلى من جوهر ذاته .. { إن المتقين في جنات وعيون دخلوها بســـلام آمنين } ..

ولا من جواب.. ولا من خبر عن فلاســـفـة أوروبـا جُلهم.. فخجلنـا من تكرار السؤال عنهم .. حين علمنا أن هذا المكان لا يتسع لفلسفتهم ..

وقف أوميروس ونادانا بجمال الكلمة وعلوها قائلاً : تمهلوا أيها الغرباء .. فما هو غرضكم هنا ؟

- أجبناه بعزيمة الطالب المريد : نحن طلاب حكمة.. يا معلم الحكمة ..
- قال : الحكمة هي أن تدرك صورة العلم بالعمل.. وأن العمى خير من الجهل.

- زدنا أيها المعلم ..
- قال:العتاب حياة المودة..قارن أهل الخير تكن منهم..وباين أهل الشـــر تبن عنهم.

وقد رحّب بنا أقلبيوس ثم قال لنا .. قد يســـرّ عالمنا هذا أن يســـتنير بشـــمس عصريتكم أيها الغرباء.. فهل تخبرونا عنكم .. علنا نتزود منكم .. ؟

- أجبناه بقولنا: إن غايتنا أيها الحكيم..أن نعرف ماهية تلك الأنوار .. المشـــرقة في هذه الديار .. نريد معرفة ماهية النفس .. نريد للنفس قرار ..
- تبسـم أقلبيوس وقال في بشـاشـة الحكيم .. مشـيراً إلى من غمرت دموعه حدائق النفس ورياضـها.. ها هو معلمنا أفلاطون الذي سوف يجيب على ما تريدون ..

-وقف الشـــيخ الجليل .. وقد غمرتنا منه إبتســـامته المهيبة ثم قال : النفس الإنســانية ذات جوهرية لأنها جوهر بسـيط أحادي الذات لا ينقسـم إلى مادة وصـورة ولا إلى قوة وفعل وإنما هي مبدأ بسيط والبسيط لا يفسد.... ثم راح يعلل ذلك بقوله: فدليل جوهريتها خلودها, ودليل خلودها أبديتها..ودليل أبديتها أنها جوهرة إلهية دائمة النور.. ثم قال في لســـان غبطته.. وأدعكم مع معلمنا وحكيمنا سقراط من أجل أن تتزودوا من حكمته ..

- نحن والبســـط والغبطة والســـمو والحكمة ..بين يدي معلم الحكمة ســـقراط الحكيم, ليقول لنا بلســـان المحبة : فإن كمالها { أي النفس } الخاص بها أن تصـــير عالماً عقلياً مرتســـماً فيها صـــورة الكل والنظام المعقول في الكل , والخير الفائض في الكل مبتدأً من مبدأ الكل , سالكاً إلى الجواهر الشريفة ..
- وحين كنـّـا في بسط وغبطة .. كان الواسطي يسكب لنا من حكمته كؤوساً ... معطرات ويقول : خلق الله درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت ...

نحن هنا مع نفس سقراط وأفلاطون وأرسطو .. النفس الجوهرية .. الصورة المشرقة من مكنون الوجود .. الذات الإلهية المتجلية كمشكاة نور .. تنير سبحات هذا الوجود .. بنور الأزل .

لكن المفارقة هنا هي في قول الدكتور فيصل عباس في موسوعته الفلسفية ج ٥ ص ٩١: " كان ديكارت من عام ١٦١٩ أخذ يستتشف إمكانية تغيير جميع العلوم, بمفرده عن طريق النور الطبيعي للعقل , ويُعد ديكارت أب الفلسفة الحديثة بإخضاعه إدراك الوجود لأولوية الكائن المفكر"..

إن ما أراده أرسطو في نظريته { الإنسان صورة محركة .. ومادة متحركة }, أن المادة تحقق إرادة الصورة من أجل إلغاء الازدواجية .. والسمو إلى الوحدانية.. إلى كمال الوجود الإنساني .. إلى كمال صفاته الإنسانية ..

ولا بد من أن تكون الصورة جوهرية .. إذا ما كانت من روح الله حسب الآية الكريمة { ثم سواه ونفخ فيه من روحه } السجدة – ٩ ..

إن أشرف السبل إلى تلك الغاية هي .. المعرفة .. معرفة جوهر النفس .. بنور جوهرها .. وليس بنور الفكر الذي لا يرى سوى نور المادة خليلته ..

إن النفس جوهرة مكنونة قائمة بذاتها .. مشرقة من الأزل على الوجود المادي من خلال إتحادها بالهيولى ..وبفعل الشوق .. والسبيل إليها معرفة سقراط .. وليس معرفة بيكون التي تعتمد على القوة والسلطة كما جاء في { الموسوعة الكبرى لعلم النفس والتربية } للدكتور فيصل عباس الذي يقول : { المعرفة هي القوة , والقوة هي المعرفة , والمعرفة هي السلطة } ج ١ ص ٨

نحن عرفنا ان سقراط معرفة.. وأن هتلر قوة.. وشتان فيما بين القوة والمعرفة.

أبدع لنا ديكارت عقلاً طبيعياً من فكره الميمون .. ووضع لنا هذا العقل بالرأس من أجل استخدامه بكل عملية حربية من قِبل الفكر,ووضع لنا الكاتب من بين علوم النفس { علم النفس الحربي } ص ٤٦ ... .. لنقل : إن النفس من صميم جوهر العقل.. من صميم الوجود الواحد..واحدة من

صميم الجوهر الواحد..من صميم الحب المحض.. والسلام المحض .. والوعي المحض.. بريئة من دماء الشعوب .. براءة الفلسفة من بيكون وديكارت وأفكارهم المختلفة التي أسست عصر النهضة القائم على استعمار الشعوب وفقرها وإذلالها .

إذا ما كان الجوهر واحداً .. مبثوثاً بكل ثنيات الوجود .. ومحركاً لهذا الوجود من ثبات مطلق..هو في علو..لا يطاله الاســتخدام.. ولا تناله القوة.. ولا يدركه الفكر محرك الحواس الخمس ..{ أســدد الخمس الكوى , تعرف مســكن العلة } سقراط..

إن الذين عملوا على إسـقاط الفلسـفة إلى حيث أغراضــهم ومصــالحهم.. *إلى* حيث هم عرفوا أنهم ســقطوا .. في حين بقيت فلســفة الوجود الجوهر متألقة في علوها .. لا ينالها إلا من حققها في ذاته .. وحققته في ذاتها ..

نحن لا نرى علماً للنفس .. إنما نرى معرفة الســبل إليها .. فالنفس مســتقلة عن الشخصية التي هي حقيقة البحث لعلماء قالوا أنهم علماء النفس وهم يجهلونها .. إذا ما قالوا أنهم يبحثون عن الجانب الســيكولوجي للنفس وهي بريئة من هذا الجانب, وأنهم قالوا عن إبتعادهم عن النفس فيما وراء الطبيعة .. وهذا يعني أنهم أقاموا صنماً لأفكارهم .. وراحوا يعبدون ذلك الصنم ..

ونحن قلنا في كتابنا .. { الحقيقة ومرآة العقل } , لا يوجد علم للنفس , بل يوجد علم اجتماع,إذا ما كان الفرد ابن مجتمعه.. ينشأء حسب وعيه لواجب الحياة .. فإذا انتحر فرد في مجتمع ما .. يكون ذلك المجتمع هو القاتل .. حســب جبران خليل جبران ..

فإذا ما كانت المعرفة قوة وسطوة وقائدها فكر بيكون الذي تحدث عن أوهام العقل , وإلغاء الكنيسة , وسيطرة الإنسان على الطبيعة , والنزعة التجريبية عما هو جوهري .. والمجردات من خلق البشر وما إلى ذلك .. نقول : إن هذه جميعها تحقق شروط شريعة الغاب القائمة حالياً على أنقاض تلك الفلسفة العقيمة .

إن تلك القوة الغاشـــمة , قد دمرّت الإنســـان والحياة والطبيعة وجعلت كل ما يحيط بهذا الإنسان عدواً له ..
فكان من الواجب .. معرفة واجب الحياة .. معرفة الحقيقة .. معرفة الذات التي هي ماهية الوجود.. ومعرفة السبل إليها..من أجل عقلها.. والسمو بالحياة من خلال وعي الحياة .. من أجل تحقيق الغاية الإنسانية .. في كمال جوهرها .. في تحقيق البسط والسعادة والفرح ..

## الجزء الثاني من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

"إن السياسة هي ( علم السيادة ) و ( سيدة العلوم ). أرسطو . بلى, إذا ما كانت قائمة على الوعي,ومعتوقة من المصـــلحة وناشـــدة غاية الوجود. لأن المصـــلحة خاضعة أبداً, والسيادة قد تعدت كل أسباب الخضوع.
إن ســـقراط الســـيد قال للملك : " ليس لســـقراط حاجة إلى حجارة الأرض وهشيم النبت ولعاب الدود. أعلم أيها الملك : الذي يحتاج إليه سقراط هو معه حيث توجه".
فالســـيد,إنما هو ذاك الطائر الذي قال لي:إن حبتين قد تشـــبعاني أيها الإنســـان, وأنت لا يشـبعك شـيئاً،لتنام كل يوم على عزاء وتنهض على عزاء جديد .. وخوف ووجل.
والسـياسـة في نظر جنبلاط, إنما هي أخلاق ومبادىء " إنها مسـلك شـريف لأن لها علاقة بقيادة الرجال وتوجيههم " كما جاء في " أدب الحياة ".
ويرى أرسـطو " أن أسـوأ ما يصـاب به شـعب هو أن يُحكم ممَّن هم أسـوأ منه", ويؤكد المعلم كمال جنبلاط أن " السياسة لا يجوز أن تمارس أو يُنظر إليها وكأنها كنيســـة من نوع جديد. إنها علم وفنّ في آن واحد ... وهي في معناها تربية الجماهير وتعويدها على الطريق الأفضل والمسلك الأشرف ".

"إن السـياسـي الحقيقي,أي رجل الدولة,يجب أن تكون له دائماً عين على المبادىء يستلهم منها مواقفه وتصـرفاته, وعين أخرى على الواقع المحيط بتطبيقها " ..ص ٦

وقد تعجّب تشـرشـل من إلصـاق كلمة صـدق بالرجل السـياسـي فكتب قائلاً : " رأيت وأنا أسـير في إحدى المقابر ضـريحا كتب على رخامته: هنا يرقد الزعيم السياسي والرجل الصادق ... فعجب كيف يدفن الاثنان في قبر واحد".

وقالت موسـوعة السياسـة :" إن السياسـة هي فن ممارسـة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم. هذا حسب الكاتب, لكن رأي المعلم هو الأغنى لقوله : " إن السياسة شرف "

لنقل : " إن السـياسـة المثلى هي وعي القيادة , لا بل وعي العلاقات الإنسـانية فيما بينها وتحقيقها من خلال الوعي حتى في الطبيعة والوجود".

قد تكون الديمقراطية هي الأغنى إذاما حققها الوعي الذي يتعدى القوة إلى الإرادة, والمصلحة إلى الغاية من الوجود.

بلى, إن السياسـة شرف حسب جنبلاط, لكن هذا الشـرف الذي يتحقق في واقع يجهل؛ لا بد أن يكون محكوماً وخاضعاً , في حين يكون الشرف الذي يقوده الوعي سيداً في ذاته وفي واقعه.

لا بد أن تذوب السـلطة في الوعي وتتلاشـى مع حركة الوعي؛ من خلال وعي الحق والواجب, من خلال وعي الغاية الحقيقية من الوجود, من خلال الثراء المعنوي للإنسان ليكون هو المحرّك والدافع نحو الكمال الإنساني من صميم الإرادة الإنسانية, وليس بالقوة المادية وسلاحها القاهر.

إن عيب المجتمع البشـري الفاضـح,هو أنه تأدب وتأبد بوسـائل القوة ومن خلالها وضع قوانين الحياة الجائرة ,مرتكزة على القوة الخارجة عن نبع إنسانيته, القوة التي اتجهت بسلاحها إلى إنسانية الإنسان من أجل قتلها.

نحن نتطلع إلى خلق مجتمع يحقق الغـايـة من وجوده, إذا مـا كـانـت الغـايـة الحقيقية هي كماله الإنساني. وأن السبيل الفعلي إلى تلك الغاية هو .. الوعي.

إن هذا الإنســـان الذي راهن على الفكر معلماً وملهماً وقائداً, قد فشـــل فشـــلاً ذريعاً في رهانه, حيث جسّـــد الباطل القائم على الجهل عنوة, من أجل تجســـيد الصــراع بين البشــر، هو صــراع مبنيّ على القوة , فمن يَقهر يسـود. إن الفكر قد جسـد القهر بين البشـر , وغايتنا هي تجسـيد الحب والنور والسـلام, فما دمنا من جوهر النور, لماذا نعيش في الظلام؟

إن تحييد الإنسان عن واجبه الحقيقي في الحياة من خلال العلم والمعرفة والوعي, هي جريمة في رقبة الفكر.. فعلى قارعة الطريق خلال عودتي من العمل في دير الزور , سـألت شـيخاً تقياً السـؤال التالي: " أيهما أولاً , الدين أم العلم؟ فأجاب قائلاً : الدين؟. فقلت له : لا بل العلم , من أجل أن نعرف جوهر الدين لنهتدي إلى سبل الحياة في بصيرة جوهرية.

بالوعي نعقل الحقيقة التي نحن من صـــميمها,بالوعي نعقل إنســـانيتنا المباركة, نعقل سـيادتنا الحقيقية, لنصـبح إرادة حياة تحقق واجب الحياة , وجنة الإنسـان على الأرض.

ليس الوعي بتحصـــيل العلم من أجل لقمة العيش, بل هو الإبحار في عالم المعرفة, معرفة العلة والغاية والبداية والنهاية,معرفة الجســـد الإنســـاني والذات والوجود, معرفة السبل التي نرقى بها إلى السعادة التي ننشدها.

نتطلع إلى الإنسان الذي قد يصبح عَالمَاً في ذاته,عالم قائم على الحب, وليس على تلك التناقضات الفاسدة,

إن الوعي قد يلغي جميع تناقضـــات الفكر, من أجل أن يصـــبح الإنســـان في صــميم حركة الوجود الســرمدية هذا إذا ما كان الوجود وجوباً محضـــاً لاســلب فيه حيث يحتويه الجوهر, هنا تســـقط جميع مكونات الفكر القائمة على لعبة الســـلب والإيجاب في حركة المادة, كما تســـقط المادة القائمة على لعبة الخداع الماكرة وسيادتها للفكر وللحياة.

هنا يتكشـــف الغطاء عن الحقيقة التي هي مهد الحياة وجنة الوجود, وتتألق المادة من خلال إرادة جوهرية من أجل تجســـيد الصـــورة الإنســـانية الحقيقية في الوجود.

قد يختار العصر سياسات مختلفة ومبنية على الاختلاف,غير أن الوعي هو غاية في الاتساع الذي يذيب كل اختلاف .
..
.. وفي نظرة عابرة إلى هذا الكتاب قرأت العبارة التالية "الإنسان حيوان يعيش في محيط جغرافي ويعتمد في بقائه على الموارد الطبيعية ومشتقاتها"ويتابع الكاتب قائلاً:

" وبعلوم الاجتماع لأن السياسة هي جزء من حياة الإنسان الاجتماعية متفاعلة مع الأجزاء الأخرى " ص ٩

قال الفكر:" الإنسان حيوان يعيش في محيط".هو الفكر الذي أسقط الإنسان من موقع ملاك طاهر, إلى حيوان, وحرمه من المعرفة الحقيقة حتى لا يعرف كنه ذاته.

قلنا في أحد مؤلفاتنا : " الفن هو قيمة جمالية للحركة". لنقل:" إن السياسة هي فن الحركة لكل كائنات الوجود,مبنية على علم الحياة والوجود, فبقدر ما نعلم نستطيع أن نهب الحركة مما يجب من تلك القيمة".

إذاً, لا بد أن تكون السياسة علم ما يجب من أجل تحقيق الواجب, وقد تصبح السياسة أغنى مع جمال المعرفة, لا بل تصبح السياسة قائدة للحياة بكل شموليتها, إذا ما تحققت بالوعي, حينها تصبح السياسة شرفاً عظيماً حيث تكون سياسة بناء الحياة في أسمى معانيها.

إن علم الاجتماع هو المقدمة الأولى إلى علم السياسة, ثم علم الاقتصاد والدين والفلسفة , والأهم في الأمر"توحيد مناهج العلوم جميعها عالمياً وفي لغة واحدة، قد يكون النواة الأولى لوحدة النظم الإنسانية في نظام واحد, وفي لغة واحدة.

هنا يجب أن يتحقق دخل الفرد الواحد عالمياً فيتساوى الأفريقي مع الأمريكي, والشرقي مع الغربي في ظل جمهورية واحدة , يحققها الوعي.

إن فشل جميع المنظمات الدولية القائمة حالياً, والتي يقودها الفكر,هي شاهد حيّ على فشل ذلك الفكر.

لنقل: نحن بحاجة إلى المنقذ من هذا الظلال, إنما هو .. الضــــمير الواحد القائم في أقداس كل منـّــــــا, فحين يقود الضـــمير حركة الحياة, لا بد أن تتحقق غاية الإنســان في الوجود, لأنه ثروة الوجود الحقيقية, ثروة تثري الوجود بجميع القيم الإنسانية التي حجبها الفكر عن الإنسان, وقتل كل من تكلم بها منذ البداية حتى كمال جنبلاط.

فمن هو ذلك الضـمير؟وأين هو؟وما هي الوسـيلة للوصـول إليه؟ لنقل:الضـمير إنما هو الجوهري فينا, هو إرادة وجودنا الأبدية والذي يحتوي كل خلية في كوننا, وهو واحد في الوجود, وبيننـا وبينـه فقط رفع أحجبـة الفكر عنـه من أجل أن يشرق أبداً ونكون هو.. وهو واحد.

نتطلع إلى التاريخ من أجل أن يكون شـاهداً لنا, وليس شـاهداً علينا, إذا ما كان قد حقق نظرة لأجله, فمن الواجب أن نســتلهم الغد من أجل أن يكون عوناً لنا في اتسـاع نظرتنا المستقبلية,فنحن قد نبني بيتاً إلى غدنا, لأن بيت التاريخ أصـبح متحفاً للذكرى.

إن كل مقدس ســوف يصـــبح أكثر تقديســـاً حين ننظره بعين الوعي,إذا ما كان الوعي والقداسة واحداً.

هنا لا بد أن يســقط الفكر الذي أسـقط الدين, حين يرقى الوعي بالدين الواحد إلى مواقع الإهابة والقداسة حيث هما في تلك المواقع حقيقة.

فلم تكن شـعرة معاوية موفقة في سـياسـتها حين وضـعت أمة الإسـلام بين فكي الشدة واللين,ولم تسمُّ بتلك الأمة الغنية آنذاك إلى مواقع الحضارة الحقيقية,فبقيت تلك العقلية القبلية البدائية القابلة إلى الزوال.

إن غرس الدين في الكينونة والكيان للفرد آنذاك ؛ كان واجباً مقدســاً من أجل أن يكون هو الجوهر المحرك للحياة بكل معانيها , لتحقيق غاية الإنسان في الوجود. إن أهم الأسـباب التي أنتجت انقســام الأمة الإسـلامية إلى مِلِل ونِحل هي,العمل عن ظاهر الدين حسب ترجمة الفكر, وتحييد الإنسان عن جوهره.

فالدين الإســـلامي الذي جمع الأديان في بوتقته الجوهرية الواحدة؛كان من الواجب أن يكون للإنسانية جميعها, لكن ترجمته في لغة المصالح والأغرض قد حرم الإنسانية من جوهره الشريف.

يقول الكاتب : " السياسة هي الشرط الاجتماعي الحتمي نحو الحرية " ص ١٩

نقول : لا شرط في الحرية.

وفي رأينا, لم يكن موفقاً جواب الدكتور حســـن صـــعب في جوابه التالي: " ندرس علم الســياســة لأننا بحاجة إلى ثورة منهجية في نظرتنا الســياســية, وفي ممارســتنا لها, والثورة الحقيقية هي ثورة منهجية. إنها قبل كل شــيء ثورة العقل المرتاب في مسلماته الخاطئة, لأننا إذا أحسنّــا استعمال العقل استطاع أن يكون المحرر الأعظم للإنسانية... " ص ٢٠

الحق إن قيام الثورة واجب حتمي من أجل التغيرالدائم والتجدد والتطور والإبداع, والثورة في ذاتها لا بد أن تكون تحقيقاً لنظرية شــاملة بحجم تلك الثورة, لكنها ليست ثورة العقل في عالمنا هذا,ولا من عقل مرتاب,ولم تكن مسلماته خاطئة, ولا يُستخدم.

إذا ما كان العقل هو الجوهر المبســوط في الوجود, ولا من عقل غيره, إذاً يكون الكلام عن الفكر صاحب القوة والجبروت.

يقول الدكتور أدمون رباط: "وموطن الخطأ الرئيسـي في نظرتنا للسـياسـة هو أننا اعتبرناها حتى الآن نشـاطاً سـلطوياً محوره ( الحاكم ). والنظرة الصـحيحة إليها هي أنها نشاط إنساني محوره ( الإنسان) . ص ٢٠

## السياسة في شرعة العقل الأرفع

**أدب السياسة:**

يقول كمال جنبلاط :"أدب السـياسـة هو خلاصـة كل نظام وزبدة جميع الآداب, لأن الســياســة في معناها الأصـيل هي:" إدارة الأشــخاص وإدارة الأشــياء",أو بالأحرى علم الأشخاص والكائنات والأشياء ". ص ٤١

حين وضـــع جنبلاط بوتقة الآداب للحياة, لتصـــبح الســـياســـة أدباً من آداب الحياة, ومن خلال تلك النظرة نرى واجبنا نحو الأشـــخاص والكائنات والأشـــياء, نكون حقاً في مسارنا الفعليّ.

إن الســياســة هي " فن الحركة " والفن قيمة جمالية للحركة, وتلك القيمة تنتظم في بوتقة الأدب؛ هنا قد تصبح السياسة شرفاً عظيماً, ورسالة مهيبة للعالم كله.

فنحن لا نأخذ درس الســياســة من الســيد "تشـرشـل" أحد أقطاب الحرب التي قتلت الإنسان, إذا ما كان درس المعلم غنياً بأدب الحياة.

جنبلاط والعبارة الشوفية المشهورة " إن سيد القوم خادمهم". ص ٤٣

هنا تتجلى الســياســة الحقيقية حين تصــبح من أجل الآخر, من أجل الشــعب, من أجل الإنسان.

يقول جنبلاط : " الخدمة تعني في مفهومها الحرفي, ســياســة الأمور, أكان ذلك في نطاق البيت,أم الأهل,أم المجتمع,أم الدولة,وفي جميع المســتويات وألوان نشــاط الحياة ..أليســت العناية بالجسـد وفق أصــول طبيعته خدمة؟ أوليســت رعاية النفس والعقل, فيما تتضـمنه نشـاطات متوافقة مع شـرعتها الطبيعية, هي أيضـاً خدمة؟ وكذلك الحرث والزرع والحرفة والصـنعة, وكل ما تعمر به دنيا الإنســان من مواجهات ومهام ووظائف ؟ ... إنها كلها ســياســة في القصـد الصـحيح للكلمة...أما سياسة الناس وإدارة شؤونهم,والحكم بالقصد فيما بينهم,فهي اكتمال وتتويج لإدارة البيت الصـــغير ولســـياســـة العائلة, ولنهج المهنة ولمســـلك المعاطاة مع الناس في المجتمع". ص ٤٣

جميل ما يقوله المعلّم في ترجمة الواقع بصـــدق وأمانة, لكن جملة الأشـــياء التي هي جوهر الأمر, تندرج في عبارة واحد وهي "إن هذا الواقع تحركه مصـــالح تجهل, والجهل قائم على باطل", وأن كل أمريء يترجم هذا الواقع حســـب مصـــالحه التي تختلف مع الآخر,إذاً,لا بد أن نكون في واقع يقوده الاختلاف القائم على جهل الواجب الحقيقي في الوجود.

نحن في واقع قائم على التملك بالقوة إذا جاز الأمر,والتملك يغذي ذاتية الفكر, من أجل أن تبقى بوابة الصراع مفتوحة أبداً سواء في داخل الكيان الواحد للفرد ؛ أو بين الناس كأفراد.

إن ما استطاع تحقيقه الفكر هو وضع البشر جميعاً تحت سقف الواقع الذي حدده هو من أجل مصالحه ورغباته, حتى يبقى الإنسان منحنياً تحت سقف لا يصل هامته.

والذي نريده نحن هو رفع هذا السقف كلياً, من أجل تحرير الإنسان من الخضوع أبداً ، إذا ما كان من روح الله , والله في صميمه, وهو بالله يرفع كلمة الله ويرقى بها.

حين يعلم الإنسان أنه كوكب درّي ينير الوجود بالعلم والمعرفة والوعي, سوف ينعتق من قود الفكر , ويعي أنه من روح الله صدقاً , والله هو الحرية المحضة, ومن نور إرادته العلية تشرق شمس الحرية الأبدية.

أنت في مطلق الحرية يا أخي حين تنعتق من الأخطاء والأغراض والمصالح, أنت حرٌ يا أخي حين تغتسل من أوحال الفكر وتصبح وعياً في عالم يعي ماهيته وماهية وجوده.

حين كتبت كتاباً عن الطب البديل, علمت أن الجهل هو المرض, وأن في العلم صحة,علمت أن هذا الجسد الإنساني هو من صميم حركة الوجود,وأن الإنسان يجهل والجهل قائم على معانات هذا الجسد الذي به ومن خلاله يصل الإنسان إلى الغاية التي ينشدها .

إن الوجود حركة, إلى الأغنى والأمثل , والكل متجدد أبداً, ولا وقفة في وجود غائي, ولا وقفة لإنسان ينسجم بكل كله مع غائية الوجود حين يعي أنه من واجب الوجود,لتصبح الحركة في ذاتها ,حركة شوق تنشد الغبطة, غبطة تنشد غبطة أغنى.

هنا نرى أننا نعيش خارج الحياة الحقيقية, نعيش في قفار جهنمية قد وضعنا فيها الفكر ونهانا عن التعدي. إذاً , نحن طلاب فكر حرمنا من رسالتنا

الإنســانية, حرمنا من إحراز شــهادة واحدة في علم الحياة,و وهبنا شــهادات في علوم التملك بالقوة, والقوة هي هي التي أخبرتنا في لســـان التاريخ والواقع أنها " شريعة الغاب".

يقول المعلم: "ولا مفر لنا من تقرير نظام شامل للأجزاء وللكل, في جميع مراتب تجلي باطن الوجود في ظاهره... ولا شك أن العقل هو قائم في جميع المسارات والنشـــاطات, وهو تقدير ظاهر في كل ما نشـــهد وما نرى, ولولا مُثُل المقادير للعقل في جميع ألوان مســاراته لما كان بالإمكان ظهور العلم, ولما كانت شُــرعه وقوانينه الثابتة ... وفيما عدا ذلك, وباستثناء هذه القوانين والشرع – وهي عقل كل شيء – لا يوجد شيء ثابت على حاله في التكوين الظاهر ... بل الكل يتحرك,وكأن الحركة هي وحدها الوجود الظاهر الحقيقي ولا شـــيء ســـواها... وإنما الوجود الظاهر مسارات لبنى ترتفع ثم تنهدم. وهكذا على الدوام ". ص ٤٥

صـــدق المعلم جنبلاط حيث أتى على جوهر الأمر, لكننا نرى أن هذا العقل الذي تكلم عنه ليس هو عقل **الوجود الجوهر ذاك الذي من خلال وعيه يتجلى مكنون الوجود** على أكف الوجود, لقد تكلم جنبلاط عن عقل ديكارت الذي جمعه ذاك العبقري من أودية أفكاره.

نحن نتصور أن عقلاً جوهرياً شاملاً لصفات الخير كلها, يجهله كل من لا يعي واجب الوجود الحق, وهل من يعي واجب الوجود الحق؟ إذا ما كان الوعي إرادياً, غائياً, جوهرياً , من أجل أن تتجلى روح الحياة الجوهرية.

فـالوجود الظـاهر ليس ســوى غطـاء للوجود الجوهرالـذي يحرك الوجود الظاهر من صـــميمه, فالحركة,إنما هي حركة شـــاملة, ومحركها في صـــميم هذا الوجود.

يقول المعلم:" بل,بالحقيقة, ما من شـــيء أو كائن له مســـتقرّ في تجواله وتبدله سـوى ذلك السـكون والسـلام الأخيرفي صـميم المادة الهيولية التي تعود إليه وتتحلل فيه جميع الظواهر,وتفنى جميع الأشكال والصور,أو تحجب فيه مثالاتها الصور إلى حين, يوم تنقضـي فيه دورة الدور, وينطوي كل شـيء في سجل باطن الطبيعة".ص ٤٦

بلى, "ما من شيء أو كائن له مستقرّ في تجواله".حيث إن الكون في سفر, سفر الوجود بذاته الكلية, إلى ذاته المطلقة. ولما كانت الحركة دائرية, لا بد أن تكون ســـرمدية. وحين تكون الحركة غائية لا يوجد فيها الســـكون,إذا ما كانت حركة بسط وغبطة.

وتنقضـــي دورة الدور مع زوال الفكر, حيث تنطوي مادة الفكر والفكر أيضـــاً مع ســـمو الحركة من الهدف المادي, إلى الغاية الجوهرية لتصـــبح حركة إرادية سرمدية.

يقول المعلم:"وهكذا يتخذ مفهوم النظام الطبيعي للأشـــياء والكائنات معنى متحركاً في ســـياق التبدل الكوني, هو ذاته مفهوم الحكماء والفلاســـفة اليونانيين والشـــرقيين, ومفهوم الجدليين المعاصـــرين هيغل وماركس وانجلز عندما نعود بهم إلى الينابيع التي

اســـتقوا منها بذور أفكارهم ومبادئهم...وهذه النظرة هي طبعاً مخالفة لمعنى الجمود والثبات التي كان يتصـــورها في النظام الطبيعي– الإلهي على حد تعبير بعضـــهم–معظم فلاسفة واقتصـــادي القرون الوسطى, وما بعدها, في أوروبا". ص ٤٧

إن نظام الوجود مبني على دقة لامتناهية وشـــمول تام,وحركته حركة تطور وتغير واستحالة, ولا فناء فيها, إنما هي حركة إرادية غائية لا يعرف حقيقتها فكر.

إن نظام الوجود يتجلى كإرادة كونية لكل من يعي تلك الإرادة, والذين الحركة في ناظرتهم الحسية, لا بد أنهم رأوا مظهرية الوجود فقط.

فالطبيعي,إنما هو مادة الوجود الظاهرة للعيان,والإلهي هو الجوهر المحرك لتلك المادة من ثبات مطلق,ولا من جمود في الحركة الدائمة والمتغيرة بشـــكل مستمر.

إن أدب السياسة حسب المعلم " هو استيعاب جميع العناصر والاتجاهات التي يؤلف تضادها وتفاعلها واجتماعها وتعاقبها ما يمكن تسميته بالظواهر السياسية ...

فالسياسة علم وفن في آن واحد كما هو حال الطب تماماً...فهناك قواعد وشرع في الطبابة ثابتة, أو مماثلة , ولكن تطبيقها على المريض يقتضي الكثير من التبصر والمهارة والحدس والتخمين والتحليل, لأن ما من مريض بعلة معينة يشبه تماماً مريضاً آخر تنتابه هذه العلة نفسها". ص ٥٣

إن هذا الاستيعاب الذي يتحدث به المعلم, إنما هو بالحقيقية " وعي" فحين يقود الوعي جميع أغراض الحياة, يحررها من التبعية والهدف, ويرقى بها إلى الحرية في عالم الغاية الذي يحقق غاية الكل معاً.

لقد أفل نجم ذلك العصر, بعد أن شاخ وهرم وتعداه واجب الحياة, والغاية من تحقيق ذلك الواجب, هنا تصبح السياسة وعياً يحقق واجب الحياة الحقيقية, وليست تلك التي يعبث بها فكر الإنسان وذاتيته المفرطة.

لن تستطيع التغيير ثورة قائمة على مفاهيم المصالح والأغراض , كونها تعلمت لغة المصالح والأغراض, وقادتها تلك القوة التي خرجت بتلك المفاهيم.

فمن آلاف السنين والبشر يدفعون الحياة إلى الأمام, يدفعونها بآلة الفكر, الذي لم يستطع تحقيق واجب الحياة بالصدق مثلاً , وكأن الكذب قد أصبح من أهم مرتكزات الواقع البشري, فإلى أين يذهب المجتمع البشري بتلك المفاهيم إذاً؟

هنا يأتي المعلم جنبلاط على غاية البحث فيقول: " وفي الحقيقة هناك ثلاث نوازع أساسية وجوهرية للإنسان – لكل إنسان– ومنها تتفرع النزعات أو الرغبات أو الإرادات الأخرى :

أولاً – نزعة الديمومة وتوق الإنسان إلى الخلود الشخصي من خلال إبداعه للفلسفة والدين وشغفه بهما ... " وكيف يمكن لهذه البنى جميعها أن تكون خالدة , أي أن تتعدى الزمن, وهي بطبيعتها المحدودة بالزمن ".

"رغبتنا بألا نموت تنبع عميقاً من الأثمان– أي حقيقة الإنسان الجوهرية– التي لا يلحقها موت ".

والخدعة الكبرى أن نطلب الديمومة لكل متبدّل بدأ في نطاق الزمن وسينتهي حكماً في نطاقه أيضاً ...

ثانياً - نزعة السعادة... ونطلبها أيضاً في العالم الخارجي,وفي تقصي الفكر, وفي التعبد, وفي كل شيء...ولولا السعادة وطلبتها لما تحركت فينا جارحة وتوجه حسّ... وكأن السعادة هي في صميم التكوين" ...

ثالثاً- نزعة الحرية,وهي لا تنفصل عن العقل وتكوينه وصيرورته..." ص ٥٥

لنقل: إن القيود التي فرضها الفكر على الحياة, قد أثقلت كاهل الإنسان وأرهقته, فالديمومة والسعادة والحرية سبلهم واحدة وهي الوعي وترّ الخلود, صداه فينا, وعزفه فينا, ومعزوفته جوهرنا الواحد المتجلي أبداً.

فالتوحيد الذي هو غاية الوجود وغايتنا, يتحقق بالوعي الذي يتعدى عالم الفكر هذا, عالم القيود المتجذرة في كل شيء, يتعدى الزمان والمكان.

إن ما يبسط السعادة الحقيقية في الوجود هو أن تكون المادة وسيلة وليست غاية, إذا ما كانت الغاية هي الوعي , من أجل أن يعقل الإنسان واجبه في الوجود , الواجب الذي يتناغم مع واجب الوجود , والذي لا يمكن عقله إلا بالوعي.

فقد قلت في كل مؤلفاتي "إن السعادة هي وعي يحقق مسار الغاية من الوجود ". ومن ينتظر السعادة في جهنم الفكر هذه, قد يخسر السعادة والسيادة والحرية والوعي, ويخسر ديمومته الجوهرية التي لا ولن تتجلى إلا بنور الجوهر, بنور الوعي, بنور العقل السيد الحقيقي للوجود الحرّ.

إن السيادة كلية في عالم العقل,حيث ينعتق الوجود من جميع القيود... السعادة كلية في عالم الوعي حيث يسمو المرء ويرتقي إلى عالم الحرية الأبدية,حيث يعي كل منا أنه سعادة في ذاته,حين يصبح بالإرادة أبداً حياة, أبداً وجود, أبداً حقيقة,حين يعي أنه هو من صميم الجوهر المحرك لقانون الطبيعة ... فيذوب الزمان والمكان وتتجلى الأبدية والخلود.

ومن يطلب السعادة الحقيقية بواسطة أوحال هذا الفكر, عليه أن يعلم أنه يطلب البقاء من الفناء, وهذا لا يجوز.

ألم يقل جنبلاط في كتابه ثورة في عالم الإنسان ص ١٥٧ : " علينا أن نفتش عن الإله المجهول فينا ". بلى , إنما بنور الجوهر, وليس بأوحال الفكر.

وفي مقدمة كتابنا " الإنسان والوعي " أتينا على هذا الموضوع بهذه العبارات:

- إذا ما تحققت الأغراض كلها بالوعي, فالوعي يحررها.
- وإذا ما تحررت الروح من أصفاد الفكر, تتجلى الحقيقة.
- وإذا ما رُفع الحجاب , يتجلى الجوهر.
- وإذا ما ذابت قيود الجهل في نور الوعي تتجلى الحرية.

لا شك أن جمال الحرية يتصور مع جمال الوعي.

يقول أتمنندا ألمعلم , الذي ترجم معلمنا جنبلاط كتابه الفريد بعلوه وجماله:"أنا لســـت فكراً وليس لي فكر..أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال"ص ٤٩

ويقول: " المعرفة عندما تكون غرضـــية, تصـــبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا" تبقى كالشاهد على الفكرة ." ص ٥٤

ويقول أيضـــاً : " إذاً وبمعنى أدق, لا يوجد فكر. يوجد فقط وعي, وفكرة الزمن هي محض افتراض سببه الخداع" ص ٤٢

إن المعلم أتمنندا يشـــهد على صـــحة نظرتي,وقد خطها المعلم جنبلاط على صـفحة ذاته وعلى صـفحات كتبه من أجل أن نلتقي جميعاً في حدائق الوعي, إذاً, أتمنى أن نلتقي جميعاً على ينبوع الحقيقة , وهذا ما يبســط ذاتي بســطاً أبدياً. فقد كانت العبارة الأولى في مقدمة كتابي "ضــياء العقل" عالم العقل هو شــاهد على عالم الفكر,إذا كان عالم الفكر هو القائم بالفعل, وإذا حضـــر عالم العقل , غاب عالم الفكر ". وحسب ما أرى , ليست الأنا هي الشاهد على الفكرة , إنما هو العقل " جوهر الوجود, المبثوث بكل ثنياته, والذي يحركه من صميمه , هو الشاهد على كل فعل يقوم به الفكرعلى مظهرية الوجود.أي أن الجوهر شاهد على المادة كونها عرضية بفعلها العرضي.

" فحيث لا توجد الحرية , يظل الإنســان خاضــعاً لأبشــع ألوان الارتهان, ألا وهو قيام وصي على عقله... ".

"إن الرغبة بالحرية تنجم في أســـبابها ومصـــدرها من الأتمان–جوهر حقيقة الإنسان الذي هو الوجود الوحيد غير المشروط وغير المقيّد". ص ٥٦

في محاضرة لي أقمتها في المركز الثقافي بمدينة السويداء, أتيت على هذا الموضـــوع بقولي هذا: " إن الســـيادة الحقيقية لا يعرفها فكر, لأنه مبنيٌّ على القوة التي تقهر السيادة, فكل حاكم خاضع,وكل محكوم خاضع, وكل خاضع خائف, وكل خائف هو تحت قيد العبودية".
والذي أراه هنا, أن الرغبة والحرية لا يجتمعان في موقع واحد أبداً, فالحرية, هي نتاج الإرادة,والإرادة هي عقلية غائية منسجمة مع حركة الوجود في شوقه وهيامه.
" فالفكرة القائلة بأن الديمقراطية يجب أن تلتزم بما يريده الشـــعب ويبتغيه ويشـتهيه أحياناً هي فكرة خاطئة٠٠٠٠٠وكم من قائد قد اضـطر مراراً إلى الوقوف في وجه ما يطالب به الشـــعب ويظن فيه مصـــلحته,ويكون في الواقع مضــــرته أو هلاكه".ص ٥٩
لنقل: إن مصـــدر جميع الأخطاء التي أتت على قيم الإنســـان كلها مصـــدرها الجهل الذي جسـدّه الفكر من أجل تحقيق أغراضـــه ومصـــالحه, إذا ما كانت جميع الحكومات التي أقامها الفكر, قد حكمت على شعوبها بالجهل, خاصة في المجتمعات الفقيرة, من أجل نهب ثروات شعوبها, وأن حكومات المجتمعات المتقدمة حضارياً, قد حرصت على بقاء شعوب العالم الثالث متخلفة من أجل استثمارها بجميع السبل, فهذه سياسة الفكر عبر التاريخ والعالم.
إذاً , قد تتحقق الديمقراطية من خلال وعي الشعوب وليس من خلال المصالح, إذا ما كانت المصالح مختلفة, والاختلاف يجلب الصراع الذي يستقدم الحرب.
لنقل: كفى تلك الإنســـانية ويلات ومحن في نظام لعبة الثعالب والثعابين, فالحاجة قد أصبحت ملحة إلى العلم الحقيقي, والمعرفة الحقيقية, والوعي الحقيقي.
نحن لا نريد نخبة تحكم الجهل بالعصا, بل نريد عِلماً يحرر الإنسان من كل حكم, نريد عِلماً يغسل موبقات الفكر وتاريخه عن جسد الإنسانية وروحها الجوهر, نريد عِلماً يصنع فينا إرادة الحياة الأبدية, نريد علم الأبدية والخلود.
في أدب الســياســة يرى جنبلاط " إن الســياســة مسـلك شـريف, لأن لها علاقة بقيادة الرجال وتوجيههم ٠٠٠٠ وأول شرط للسياسي أن يكون متجرداً عن الهوى .

. ولذلك قيل في الحكمة التوحيدية " طالب الولاية لا يوّلى".(لأنه يكون له هوى أو مصلحة في ذلك). ... " ولا ينبغي للقاضي أن يجلس للقضاء وهو غضبان أو نعسان, أو جائع أو عطشان,أو خائف أو مشغول الفكر. ولا ينبغي لأحد أن يسأله حاجة , فإن الحقوق ليس فيها شفاعة ..."لُـــعن القاضي الذي يحابي أحد الخصمين بكثرة النّظر, وحضور الذهن, والاهتمام به دون الآخر. ..... الخ" ص ٦٤

إن سـيطرة رأي القلة يبدو واضـحاً عبر التاريخ حسـب شـري أتماننداً حيث يقول:

" هل يمكن تحقيق الديمقراطية عملّياً؟ - لا؛ إنكم قد تقولون إن الأكثرية هي التي تحكم في عالمنا المعاصـــر. ولكن إذا حلّلتم الوقائع بتجرد وموضـــوعية , تجدون عملياً وفي كل بلد, أن القلة هي التي تحكم الكثرة وأن هذه القلة يقودها ويرشدها فرد واحد, إذاً الديمقراطية هي عملياً أسطورة ". ص ٧٣

" ومرة أخرى نردد مع الناصــري : " إذا فســد الملح فبماذا يملح". أو مع الآية الكريمة : " إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم". ص ٧٤

" فالأعمدة التي ترتفع عليها الديمقراطية هي أعمدة النخبة القادرة السـليمة.وما من شك أبداً في ذلك." ٧٦

ويرى جنبلاط أن قاعدة الإبداع هي التنوع لا المســـاواة, على أن يكون التنوع ملتزما بالوحدة , وفق المبدأ الذي لم تبدّله ولا تسـتطيع ذلك لا الإيديولوجيات ولا العقائد : " التنوع ضمن الوحدة". ص ٧٤

الحقيقة حسـب رؤيتي"أن الفقير يرى الغني أحياناً لكن الغني لا يرى الفقير أبداً" إذاً ليس أمام المجتمع الإنسـاني سـوى المسـاواة , وسـبيلها إنما هو " الوعي ", فالوعي يلغي المســافات التي صـــنعها الفكر بين البشــر,ويغســل الجميع من كل فارق أو اختلاف.

" ألم تفشــل الشــيوعية والإشــتراكية نسـبياً في عصــرنا, في بناء الإنســان والمجتمع المتكاملين لأنهما لم يأخذا بعين الاعتبار القيم الإجتماعية والمعنوية والروحية والإنسانية الدائمة " ص ٧٧

لا بل فشل الإنسان في قدرته على الافتراق عن أغراضه ومصالحه, فشل في وعي الشيوعية على أن المادية والمثالية يصلان إلى الكمال الإنساني في نشدهما,ولا يختلفان إلا بالوسيلة.

فعلى البوابة الفاصلة بين برلين الشرقية وبرلين الغربية تتجمهر المغريات الوافدة من الغرب متحدية قدرة احتمال الديمقراطيين في الشرقية , وهكذا على كل تماس بين الشيوعية والرأسمالية. فحين علم الفكر أن الشيوعية سوف تهدمه كفكر.. فهدمها.

إبراهيم بن أدهم قد تخلى عن كل الأغراض من أجل خلوده في ضمير الحياة, وقد مات كل الذين لم يتخلوا عن تلك الأغراض, فلمن ننسب ذاك الملك الشاب؟

كان بإمكان المجتمع البشري أن يضيف اللازم وأن يلغي الذي لا يلزم في تلك النظرية مع أن العديد من الفرق الإسلامية كالقرامطة مثلاً , وكثيراً من المجتمعات و بالأخص في عصر الإسكندر المقدوني كانوا على قدر كبير من تحقيق نظرية كهذه.

فقد كان المرحوم والدي يقول: " فتْ الشبعان على الجوعان فتٍ بطيء" وهكذا عالم اليوم قد يتحرك بوسائل العون إلى الذين يموتون جوعاً, إنما بعد وفاتهم .

هتلر قال بلسان غوبلز: " الديمقراطية نظام سلطة مرتبط بالشعب" وكم قتلت ديمقراطية ذلك السفاح . ص ٩٣ مع التصرف.

العلامة الأستاذ لفور في كتابه " معضلات الحقوق الكبرى "ص ٥٣ يلاحظ : " أن الديمقراطية في شكلها الحالي هي مفهوم حديث. وفي الحقيقة أن الأسس الأولية للديمقراطية الحديثة هي:

١- حرية الإنسان في المعنى الحالي لهذه الكلمة .

٢- المساواة الطبيعية أو الجوهرية.

" إن لكل بشري,حراً كان أم مسترقاً,يونانياً أم بربرياً,يهودياً أم وثنياً,نفساً خالدة, وضميراً مستقلاً عن كل سلطة بشرية. فالبشر جميعهم إذن يملكون مساواة طبيعية جوهرية دون أي تمييز لعنصرهم أو لجنسهم. هم متساوون أمام الله أبيهم المشترك هذا هو الأساس الحقيقي في المسيحية للمساواة بين جميع البشر". لفور

إن تعريف المعنى الحالي للحرية,هو أقل من معنى الحرية,إذا ما كانت الحرية وعياً يعتق الإنسان من جميع القيود, فلا حرية بلا إرادة صانعة, ولا إرادة بلا وعي. إذاً, فمن أجل الحرية, يجب أن نعي الحرية.

وكان يجب أن يبدأ في القول : إن لكل بشري حق الحرية , وهذا الحق يهبه المساواة. لأن الحرية تُلغي التملك,إذا ما كان التملك عبودية. لأن جوهر الإنسانية واحد,وضميرهم واحد, منهم مَن يعيه, ومنهم مَن يجهله. ملاحظة : أعني بالتملك أن تقود المادة الإنسان وتحرمه من إنسانيته, والوعي يحرر صاحب الأموال من التملك.

وليس صحيحاً إعلان برغسون " أن الديمقراطية الحديثة هي جوهر إنجيلي وأن محركها هو الحب لا الإلزام أو بالأحرى الإلزام المحب ". ص ٩٦

كيف نقول عن تلك الديمقراطية أنها جوهر إنجيلي,والجوهر الإنجيلي لا يقبل التملك "دع الموتى يدفنون موتاهم واتبعني" و "لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح يحصد حيوات أبدية" بولس -٨

إن الديمقراطية المعاصرة قد جمعت إمكانات البشر جميعاً ووضعتهم في خدمة فكر يمتلك أعناق الشعوب.

لكن المغالطة الكبرى في قول برغسون هذا: " إن الديمقراطية ( عنصر توحيد محض عقلي" ص ٩٦

إن هذا الخداع لا ينطوي على عاقل , إذا ما كان عالمنا هو عالم فكر, والعقل شاهد على موبقات ذلك الفكر القائم بكل تناقض وتضاد وصراع وحرب في تاريخ عالمنا كله.

إن العقل نقطة بيكار الدائرة الكونية ومحركها من ثبات جوهري إرادي يجهله الفكر الذي من آخر مبدعاته صنم ديكارت العقلي.

يقول برغســون وذلك بعكس أنظمة القوة والعاطفة والتقليد, وهذا النظام " يتحقق في طاعة إجماعية ومحض اختيارية لتفوق في الذكاء وفي الأخلاق"

وهو الذي قال أعلاه:"إن الديمقراطية جوهر إنجيلي وأن محركها هو الحب" والحب عاطفة, والواقع إنما هو تقليد بقيادة الفكر المبنية على القوة .فأين الخيار إذاً؟إذا ما كان الخيار مبني على الوعي,والواقع يجهل,وأي ذكاء في تجويع العالم جله, وأين الأخلاق أيضــاً , إذا ما كان التاريخ بمجمله مدرســة حربية فائقة القوة ؟ إذا ما كان العالم الأخلاقي يخســر يومياً حوالي أربعة مليارات دولار أمريكي من أجل قتل البشــر حتى في غياهب أفريقيا؟؟

ويصـــل بنا المعلم كمال جنبلاط إلى روح الديمقراطية ليقول:"والآن وقد أوضحت لكم أسس الديمقراطية الصحيحة,فاسمحوا لي أن أنوه عن روح المحبة والعدالة التي تغرسها وتنشرها الديمقراطية الصحيحة,في تكوين الفرد والمجتمع:

.. ففي المجتمع الواعي ديمقراطياً تسيطر روح من التفهم العميق لقيم الشخصية البشرية والمصلحة العامة والحق الطبيعي لا أجد لها بياناً أجمل من هذه القاعدة التي عبّر عنها الإنكليز منذ مئات السنين بقولهم:

" القانون هو أعلى ميراث يملكه الملك, لأنه هو نفســه وجميع رعاياه يحكمون بالقانون, وإذا لم يكن قانون فلا ملك ولا وراثة".

نرى جمال الكلمة والمعنى فيما يقوله المعلم,إنما الذي أتوق إليه هو"أن نعي غاية وجودنا المرتقية عن المصلحة" فالمصلحة تسيطر, إنما **الروح الجوهرية هي في علو عن السيطرة لأنها جوهر مطلق الحرية" والمعلم يعلم ذلك.**

**إن قانون الإنكليز قد خدمهم وظلم الآخرين الذين نُــهبت بلادهم تحت مظلة ذلك القانون. فالقانون العادل هو" الذي يحرر من الظلم وليس الذي يظلم"**

ونعود إلى المعلم الذي يخبرنا عن القانون الإنكليزي حيث يقول: " ودعوني أعيد عليكم تعريف المشرع الإنكليزي ( ديسي) " لحكم القانون " هذا الذي يفتخر كل بريطاني بأن يتمتع به في بلاده :

١ – هو السيادة أو الغلبة للقانون المعتاد الذي يتعارض مع السلطة الاستبدادية, إن الإنكليز يحكمهم القانون وحده.

٢ – والمساواة أمام القانون أو تساوي جميع الطبقات في الخضوع لقانون البلاد المعتاد الذي تطبقه محاكم البلاد المعتادة". ص ٩٨

.. لقد فشل الإسلام في تحقيق الحضارة المرجوة في عصر نهضته, ونجح الغرب في تحقيق حضارة أقامها على هامات مستعمراته, هنا يصبح القانون لعبة الشاطر.

وقد حقق الغرب تقدماً رهيباً في تقنيته العلمية, وحقق الغرب تقدماً عظيماً في مجالات الحياة المادية الأخرى, خاصة التزامه بالقانون, واحترامه له.

يقول المعلم: " فالبريطاني متدين في عاداته الاجتماعية وفي معتقده وروحيته- ولكن فوق كل شيء ترتكز هذه النظم وهذه الديمقراطية على أساس واضح ونير من الثقة : الثقة بالنفس والثقة بالمثل العليا والثقة بالأمة. وبذلك يقول الأستاذ الكسندر:

" أما الدستور الإنجليزي فإنه يدع كل جيل حراً في أن يشرع لنفسه. ذلك أن الإنجليز على استعداد لأن يثقوا بالأجيال المقبلة. والحق أن الدستور البريطاني كله تسوده روح الثقة والحرية, " ص ١٠١

ويورد المعلم فقرات من خطاب ألقاه القاضي لنردهاند في سنة ١٩٤٥في جمع غفير إذ كلف هو بتولي قيادة ١٥٠٠٠٠ من الذين تجنسوا حديثاً بالجنسية الأمريكية في حلف يمين الولاء للعلم:".. وماذا نعني حين نقول إننا ننشد الحرية أول ما ننشد؟ .. وما هي هذه الحرية التي يجب أن تعمر قلوب الرجال والنساء,إن روح الحرية هو ذلك الروح الذي لا يبلغ من يقينه أن يعتقد أنه على صواب. روح الحرية هو الروح الذي يحاول أن يفهم عقول الآخرين من رجال ونساء. روح الحرية هو الذي

يضع مصالح الغير في كفة ميزان,ومصالحه هو في كفة بغير تحيز. روح الحرية يذكر أنه حتى العصفور لا يسقط على الأرض دون أن يعبأ به أحد"ص ١٠٢

إن روح الحرية هو الوعي,وعي الحرية أنها حرية الروح,وأنها ليست خاضعة, فحين نتكلم عن الحرية, يجب أن تـُلغى جميع الأغراض والمصالح,لأن عالم الحرية لا يدنسه شيئاً.

قال سقراط : " الحرية هي الالتزام". هو يعني حرية الحركة المادية. لكن معنى الحرية لا يتجلى إلاَّ بالوعي كمعنى في هذا العالم, وهذا المعنى مبني على التساوي المطلق المتحقق في الضمير, فالتمايز نسبي, تذيب نسبيته حركة السمو نحو الكمال الذي هو في ذاته الجوهر.

إن الحرية في روحها حلم لا يتحقق في عالم الفكر, لأسباب جمة أهمها:

- الحرية لا ترى الفكر,إذا ما كانت هي من عالم الوعي المرتقي عن الأغراض.
- الحرية لا يعرفها فكر حركته مادية خاضعة إلى رغباته,ورغبات المادة خليلته.
- الحرية, إنما هي عالم الإرادة العقلية الغائية المنسجمة مع غائية الوجود.
- الفكر هو المحرك إلى عالم المادة بواسطة القوة المادية الفاعلة والمنفعلة حسب الغرض والمصلحة والحاجة. ونتاج حركته هي القهر.
- الحرية ثبات جوهري لعالم فسيح متسام عن الحدود والقيود والإنفعال.
- الفكر قائم على التناقض المحدث من خلال حركته المادية المنفعلة بما يستهويها من الأغراض, ورغبة المادة وما يشغلها من الذاتية الجاهلة المواجهة إلى رغبات الفكر.
- الحرية هي الشاهد على كل فعل وانفعال بين المادة والفكر قد أوصلا العالم إلى صراع حقيقي, وإلى حرب حقيقية .
- إن معركة المادة والفكر المستديمة قد شغلت عالم الأرض عن واجبه الفعلي في تحقيق إنسانيته الخلاقة, وبناء جنته المباركة في هذا الوجود.

- وفي النهاية نرى أن الحرية هي " الانعتاق من جميع القيود,لأنها وعي" . والفكر إنما هو " جملة القيود القاهرة لإنسانية الإنسان".

نزعة الديمقراطية الجديدة

يترجم جوزيف ديفيس سعادته كأمريكي في قوله التالي:

- نملك الحرية والإستقلال الشخصي.
- نملك الحق في حرية الكلام.
- نملك حق الإجتماع بهدوء وحق الجمعيات.
- نملك حرية الفكر.
- لنا الحق بأن نعبد الله كما يمليه علينا ضميرنا .
- حريتنا, حياتنا,حقوقنا جميعها مصونة ومحمية حتى بوجه الدولة".ص ١٠٤

إن ترجمة ديفيس لم تكن موفقة كونها قائمة على التملك, فحين يقول: أنه يملك الحرية ، فهو يخبرنا أنه وضع قيد الذاتية في عنق الحرية.

نحن نريد أن نرفع قيد عن كاهلنا المتعب من كثرة القيود التي تتملكنا. إذا ما كانت غايتنا تحقيق الحرية من خلال السمو إلى موقع من المعرفة والوعي نكون فيها معتوقين من أغلال معينة.

إن الحياة في سمو حسب ديالكتيك هيجل " تطور الفكر التلقائي" لكن تلقائية هيجل لا تفي بحاجة الإنسان وتوقه نحو السمو والارتقاء.

فحين نهب الحركة قيمة معنوية غنية بالمعرفة ، لا بد أن ترقى تلك القيمة إلى مواقع سامية يصبح فيها الإنسان سيد وجوده.

ونعود إلى المعلم جنبلاط الذي يقول في محاضرته تحت عنوان " رسالتي كنائب: "إن الديمقراطية,كما أوضحتها, هي صورة لمدنية معينة, هي أحد مظاهر هذه المدنية,لا تنفصم ولا تنفصل عنها ..إنه يصعب علينا التصور أنه ستقوم في العالم مدنيات ترتكز إلى غير الأســس العلمية وإلى غير الحقوق الطبيعية والحقائق البشــرية التي أبرزتها إلى الوجود مدنية الغرب. إذن ففي الجوهر لا يمكن لمدنية أن تنفصل عن تراث بشري غني وخلاق وحقيقي,

لكي تبدأ نهجاً آخر في حياة البشـرية. فالمدنية,في جوهرها,لا يمكنها إلا أن تكون واحدة,لأنها صـــورة وانعكاس للحقيقة,على تنوعاتها الســياســية والاجتماعية والاقتصـادية والثقافية, في الخلق وفي الوجود. والحق واحد والإنسانية واحدة في جوهرها". ص ١١٠

وتحت عنوان قافلة السياسة,عندما يتنزل حكم المماليك على الطريقة البيروتية, يقول المعلم: " فالمملوك – وليست هي الإدارة,ولا الأكثرية النيابية ولا المصلحة العامة طبعاً – هو ركيزة الحكم.. وعدد المماليك يتفرع ويتنوع ويزيد كلما طالت الإقامة في الحكم, فيضج الناس من تحكم الوساطات وغلبة الأخذ والعطاء في المعاملات العامة – وكأن مصالح الناس العامة والخاصة أصبحت سلعة تحجز وتمنح وتتقيم ولها بدلات- وتهيمن روح الأكثرية وتملك المحســوبية, ويتحكم هوى النفس".ص ١١٩

يرى المعلم كمال جنبلاط, أن إصـــلاح الواقع يجب أن يبدأ من الواقع. لذلك قال عنه الأستاذ عفيف السراج: "كمال جنبلاط الرجل الواقعي المثالي". قال عنه ذلك في كتاب ندّر مثيله من حيث الجوهر.

لنقل: إن مجتمعاً لا يقرأ, هو مجتمع لا يعلم, والمجتمع الذي لا يعلم, لا بد أن يكون مجتمعاً يجهل, والجهل قائم على باطل, إذن, لا بد من القول: إن مجتمعنا قائم على باطل, ولا يمكننا إصلاح الباطل في الباطل.

إذن,ومن أجل الاغتسال من تراكمات الباطل المتجسدة عبر قرون خلت, لا بد من تغيير ذلك الباطل بالعلم والمعرفة والوعي,بالحب والسـلام والأمان والإيمان, بالصـــدق والخير والوّد والعطاء, بالجود والطيب والمعزة والألفة والوئام, بالرضـــاء والقبول والصـــفح والنبل والمثل والقيم والأبعاد الإنســـانية الخيرة جميعها.

لتكن هذه الســـمات النبيلة من صـــلب مناهجنا التعليمية والأدبية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والرياضية والفنية, لتكن هذه السمات المُثلى منهجنا في الحياة, لتكن طعامنا وشرابنا وتفكيرنا وتطلعاتنا وتأملاتنا وأحلامنا وأمانينا ورجاؤنا ورجوتنا في السرِّ والعلن,والحلم والحقيقة نقسم عليها

بكل شـــاردة فينا,نقســـم عليها بالله والضـــمير والشـــرف والعرض والكرامة والوجدان,من أجل أن نحيي قيمنا التي باتت في ســـبات من جراء تعديات الزمن وأحجبة الفكر.

من أجل أن نحيي المقدّس فينا؛ يجب أن نقدّس المقدّسات جميعها سواء في المكنون أو على مظهرية الوجود, حتى تتجلى قيمنا الإنسـانية من مكنون جوهرنا الواحد.

إن جميع تلك المناهج الحالية,قد أفرغها الفكر من كل محتوى , فأضـحت خاوية لا قيمة معنوية لها, أفرغها من محتواها الجوهري,فأصـبحت مادة جافة دنيّة لا قيمة ولا معنى لوجودها,وقد أفرغنا هذا الفكر من محتوانا الإنساني,وبهذا أصبح الإنسان من أرخص السلع على الإطلاق, أصبح الإنسان جسداً بلا روح.

إن غايتنا هي العلم عنّا أيضاً وليس عن سلع السوق فقط ،فقد غصّ السوق بتلك السلع الرخيصة حتى امتلأ الإنسان كهيكل ولم يعد يتسع, مع أنه يحتاج فقط إلى لقمة خبز فيها نفحة من حب أهله ووطنه وإنسانيته, وحب الخير والصدق والعطاء.

نحن في عصر الغزو الرهيب " غزوّ الفضاء على حساب لقمة عيش البشر, غزوّ الطبيعة بكل أسلحة الدمار تحت عنوان الصراع الأرعن مع الطبيعة, غزوّ الذات الإنسانية من أجل إخضاعها إلى القوة الغازية. والغزوّ على مستقبل الإنسان بجميع سبل الكذب والدجل. والأهم هو غزوّ الجوهري في الإنسان بكل السبل.

من أجل ذلك راح إنسان العصر هذا,راح يستغيث بالماضي التليد؛ ماضي العزة والكرامة يوم كان يأكل خبزه النظيف بعرق جبينه النظيف مع حنان نور الشمس الدفيء,أو تحت عيني القمر,أو نسمة الغروب العاشقة روح الحياة البريئة من عيوب التقنية الحديثة. فنحن نتفق مع المعلم,حين يتفق معنا بواجب التغيير, لأن الإصـــلاح لا يجدي بعد أن وصلنا جميعاً إلى زاوية مظلمة سوداء لا نتبين منها السبيل إلى أين.

نعلم فقط أننا وسيلة يتحقق بنا أغراض ومصالح ليست لنا , وليست لأجلنا, بل هي غريبة عنّـــا , فنصـل إلى نتيجة واحدة هي " أننا غرض في الحياة فقط " مع أننا نرفض أن نكون غرض الحياة , بل نرفض أن يُطلق علينا صـفة الغرض , إذا ما كنّا جوهر الحياة وروحها وضميرها و قيمة وجودها.

إن الديمقراطية الحقيقية تلغي الطائفية, كما أن الطائفية تلغي الديمقراطية وتلغي حرية الكلمة.

## الجزء الثالث من موسوعة كمال جنبلاط

إن من أهم عوامل الفوضى في المجتمع الإنساني هو الفساد, إذا ما كان يفسد كل شيء, إن الفساد يفسد كل شيء حتى طعم الحياة.

يقول جنبلاط: "منذ وجد الإنســـان- ككائن اجتماعي- على وجه الأرض, وتحديداً في أطر مجتمعية تكرّس اجتماعيته وتجسّد إنسانيته كمخلوق يتميز عن غيره من المخلوقات الأخرى, منذ ذاك الوقت, تطاحنت في ذاته وكينونته نزعتا الخير والشر, العدل والظلم,الحب والكراهية... لخ.وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكه مع الآخرين, في نطاق الفساد والإفساد من جهة, كما في نطاق نقيضه: الإصلاح, من جهة ثانية".ص ٥

ما هو " الفساد "؟

يقول الكاتب: " وبادىء ذي بدء لا بد من الإشـــارة إلى أن الأقوام التي اسـتوطنت أرض العراق التي تؤكد الشـواهد التاريخية أنها أولى الحضـارات في العالم, قد عرفت ظاهرة الفساد, لذلك نرى إشارات إلى جرائم الظاهرة في القوانين[ مجلس أرك], حسـب آراء [ السـير كريمر] كما أن الوثائق التي عثرعليها وتعود بتاريخها إلى الألف الثالث[ق م] تبين أن[المحكمة الملكية] آنذاك كانت تنظر في قضايا الفساد,مثل [استغلال النفوذ], استغلال الوظيفة العامة, قبول الرشوة وإنكار العدالة". ص ١٠

لقد كتب التاريخ على صفحته الأولى,وبقلمه الثاقب, وبخطه العريض, كتب عن الفساد وأسبابه ومضاره وتبعاته.

وفي هذا الجزء من الموسوعة العظيمة وضع أمامنا المعلم الحكيم صورة جلية عن تاريخ الفســاد وتبعاته. وبعد أن تزودنا بزاد حكمته في هذا الموضــوع؛ نرى أن من واجبنا عرض ما يجب, من أجل الوصـــول إلى الواجب, لنقل: إن العودة إلى البداية , قد تهدينا إلى صراط الأمر

– العقل هو الأول, لمن يعتقد أن العقل هو الإبداع الأول في الوجود, والمبدع الحقيقي للوجود بالإرادة العلية. هو جوهر مكنون, كامل الصـــفات, هو صـــمت محض, وصفاء تام.

– إنما الفكر هو الآخر,لكنه لم يكن يقبل أن يكون الآخرفاختلف مع ذاته عن الأول الذي هو فوق الاختلاف.

- إذا ما كان العقل من صـــميم الوحدة الجوهرية المحركة للوجود من ثبات مطلق,
- نجد أن الفكر هو الذي صنع الاختلاف على مظهرية الوجود, فاختلف الظاهر عن المكنون، إذا ما كان المكنون هو الحق؛ والاختلاف عن الحق لا بد **أن يكون قائم على باطل.**

**ولا بد للفكر من تجســـيد ذلك الباطل فحجب الغاية من الوجود بأغطية المصلحة**

قام الفكر على تجسيد الاختلاف بين البشر تمشياً مع مصالحه المختلفة, تلك التي كان قد جسّدها في أدمغة البشر.

والعقل يشهد على فعل الفكر من علو موقعه شهادة أبدية تحققها إرادة علية فتتنزل على البشر آيات الرحمة من المبدع الحكيم هادية إلى سواء *السبيل*.

لكن عبث الفكر بما تنزل من أجل الاختلاف, فاختلف البشر. إذا ما كان كل منهم يرغب في تنمية ذاتيته وتقوية شكيمته.

تختلف أفكارهم على تنزيل وتأويل وتقليد وشـرح لا بد أن تختلف حسـب اختلاف مصالحهم.
مما أدى إلى نشوب صراع من أجل التملك والثراء,ويشتد الصراع فيجسدّ العداء بينهم, والعداء يشعل نار الحرب.
إن الإنسـان جوهر في ذاته, والحرب قائمة في مظهريته. فهل من مصـيبة أكبر من هذا الاختلاف الذي جلب مصيبة كبرى وهي ذلك التضاد الذي راح يجسّد ذاته في جسد الإنسانية.
هو الإنسان صورة ومادة حسب أرسطو, والحق أن تكون الحركة تلقائية إرادية بفعل الصورة الثابتة أزلياً. لكن مصالح الفكر تقضي بحجب الصورة وقيادة الحركة من خلال قوته خضوعاً إلى مصالحه.
إذن, نحن يحكمنا واقع قائم على باطل, وتجري عمليات إصــلاحه في باطل قائم على الواقع, وبين هاتين الجملتين تسرح الأحزاب وتمرح في ميادين السياسة.
وقد تأبد البشر فيما بين الشك واليقين, والصدق والكذب, والفناء والبقاء .....إلخ فلا يقين في نظر الفكر, فالكل في مواقع الشك من قبل ديكارت وبعده.
إن تأبد الإنسان في الوسيلة, جعل من الإنسان وسيلة لا غير, وسيلة تحقق عبودية فكر يحقق بتلك النظرة جميع طموحاته, حتى أصـبح الفكر هو القوة, والقوة هي هو.
هنا, لا بد من وعي الواجب, واجب الحياة والوجود, حيث إن الوعي يغسـل الحياة من الباطل, فيتجلى الحق, وتتحقق غاية الإنسان في وجود أُبدع من أجله.
إن الخطيئة هي حرمان الإنسان الواقعي من الخطيئة,نظراً لوجودها في صميم الواقع. وهذه الخطيئة تزول مع زوال الواقع فقط, إذا ما كان الواقع قائماً عليها, فالكذب في الواقع خطيئة, وهو في صميمه.

لنقل: إذا ما تحرر الإنسـان من الخطيئة,وأصـبح في موقع الصـدق مثلاً, عليه أن يقطن في جبل عالٍ منيف حيث لا يرى أحداً ولا يراه أحد. وحين يرقى الجميع إلى هذا الموقع الرفيع, تكون قد تحققت غاية الناشد والمنشود في حياة حرة كريمة.
هنا نكون قد أتينا على حقيقة فريدة هي " لا يمكن غسـل أوحال الفكر بأوحال الفكر, ولا بد من غسل تلك الأوحال بمياه الوعي.
فمنذ البداية وعمليات الإصـلاح قائمة بجميع السـبل,لكن الذي حققه حمورابي قبل آلاف السنين بالنسبة إلى الفساد حين تولى هو نفسه التحقيق في هذا الموضوع, عجز عن تحقيقه عالم عصرنا هذا الذي قاد الفساد بكل أبعاده.
إذن, يجب التغيير,يجب تغيير الجهل بالعلم, والسـمو بالعلم إلى المعرفة من أجل أن ترقى بنا المعرفة إلى عالم الوعي,عالمنا الحقيقي, عالم البسـط والحرية والحب والفرح, حيث يصبح الإنسـان عالماً يتسع إنسـانيته كلها. حين يصبح عالماً بذاته.
فحين سـمعت ترانيم الطائر وهو فوق الشـجرة,علمت أنه حين كان ذاك الطـائر في القفص كـان يبكي.فقد نعلم حين نتعلم علم الحيـاة الفرح ..أننـا قضـينـا العصور نبكي.

## الجزء الرابع من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

إنني نظرت إلى عقل مجرد,يدل على الحقيقة الكلية الجوهرية المجردة, ورأيت أن كل من تحزب لا بد أنه يكون قد تحزّب عن الحقيقة وليس إليها .
ورأيت أن اختلاف الأحزاب اختلافاً أبدياً, لأن ذلك التضـاد القائم بين أحزاب دأب كلاً منها مصلحة ما , والمصالح كونها ذاتية لا بد أن تكون مختلفة ومتباينة ومتضـادة , وأن كل هذا كان يؤدي إلى الصـراع والحرب, إذا ما كانت ثقافة كل حزب تختلف عن ثقافة غيره من الأحزاب.
بينما نريد ثقافة واحدة ترقى بنا إلى وعي الحق والواجب في الحياة, نريد ثقافة دأبها العطاء وليس السلب,إذا ما كان الإنسان في كيانه وكينونته رسالة عطاء .

حين يصـل الإنسـان إلى موقع كهذا في الوجود, "يعي الحق والواجب من خلال إرادة حرة جديرة بأن يكون بها رسـالة عطاء" يتحقق بالحرية والحب والسـلام والسيادة .. يتحقق في البسط والسعادة والفرح .. يتحقق في الأبدية.

إن موقع الأسـتاذ كمال جنبلاط قد وضـعه حكماً في حلبة الصـراع من أجل لبنان , لا بل من أجل الإنسـان , وتلك الحلبة ألزمته أن يدرس المحاماة وأن يشـكل حزباً سياسياً,وأن يخوض غمار السياسة بكل الميادين, وأن يقول إلى الجميع : ( إن السياسة شرف ).

يقول الكاتب: ( ألم يقل كمال جنبلاط "الحزب رسالة لا تنزوي ولا تتقلص عن المعرفة الدائمة, ولا تضـيق بها. بل هو ينبثق من هذه المعرفة ذاتها,إنما هو إطار من الاتجاهات الكبرى للتفكيرالبشـري وللتفتيش الإنسـاني عن الحقيقة في كل شيء "؟ .. وعلى هذا الأساس يجب أن ترتبط " الرسالة بـــ "حامل الرسالة", بقدر ارتباطها بـ " موضوع الرسالة وهدفها".. ص ٦

كمال جنبلاط الرجل الارستقراطي يناضل من أجل الإشتراكية, ويسأل قائلاً: " لماذا أنا إشـتراكي "؟ في محاضـرة ألقاها في سـوق الغرب في ٢٧أيلول عام ١٩٦٤ ويجيب كما هو في ضميره , وكما هو في ذاته, يجيب قائلاً:

( لأنني أُحب العدل والإخاء والحرية. لأنني أشـعر إن عدلت مع غيري فكأنني عدلت مع نفسي, وإن ظلمت غيري ظلمت نفسي .

لأنني أنزع إلى التوافق مع الجميع والانسـجام الشـامل, كاللحن الذي لا يتمّ إلاّ إذا تحققّت هذه التسـويات والموازنات بين الأنغام المختلفة التي تكوّنه, وكذلك يجب أن يحلّ الانسجام والتوافق بين الناس وبين ما اعترف لهم به القانون والشرعة الطبيعية من حقوق, هذا الذي نسميه عدالة.

أنا اشتراكي, لأنني أعتقد أن العمل بدون رأسمال لا يقوم .. والعمل ذاته المدّخر في القوى الطبيعية وفي زند الفرد الذي هو ضـمن هذه القوى – هو رأسـمال.. والرأسـمال لا تتنفذ إمكانياته ويظل مجرد طاقة إلى أن يتحول إلى عمل..فالعمل لا يمكن أن ينفصل عن الرأسمال,أي رأسمال إطلاقاً.

إن الصـــراع التاريخي بين الطبقات,الذي اســتنزف قوى العنصـــر البشـــري وإمكانياته, واستنزف وجوده في خلافات ونزعات داخلية مستمرة,يجب أن يزول .
أنا اشــتراكي لأنني أؤمن بأنّ الشــرّ,والخطيئة الأولى, في النُّظم الشــيوعية وفي النـُّــظم المســمّاة بالرأســمالية الفرديّة هو في الفصــل الاعتباطي بين العمل وبين الرأسمال هذا الفصل الذي كرّس أفضلية فئة على فئة في هذا النظام وأفضلية فئة على فئة في ذاك النظام.
أنا اشــتراكي لأنني أؤمن بضــرورة التأليف والانســجام والتوحيد بين العمل وبين الرأسمال,باعتبارها عناصر لايمكن طبيعياً وعفوياً أن ينفصل بعضها عن بعض.
أنا اشـتراكي,لأنني أعتقد أن الاشـتراكية روحيّة يجب أن تتحقق في النفوس فوق وقبل تحققها في الأنظمة والمؤسسات. " ٧٦
بلى, فقد شــهد له عصــره الذي رآه في علوٍ لا تناله أحلام العصــور, فحين قال جنبلاط: أنا أحب العدل والإخاء والحرّية,فقد أحنى العصر هامته, وحين قال: أنا اشـــتراكي فقد خجل العصـــر من طروحاته الفارغة من المعنى,وحين قال: بتوحيد العمل والرأســمال,كان يعلم أن فصــلهما عن بعضــهما يعني إقامة الصــراع الذي لا ينتهي إلا بتوحيدهما في إرادة فاعلة واحدة, إذا ما قادهما الوعي إلى مواقع الغاية منهما. وحين قال:أنا اشتراكي,لأنني أعتقد أن الاشتراكية روحيّة يجب أن تتحقق في النفوس فوق وقبل تحققّها في الأنظمة والمؤســســات..أي أن يتحقق الوعي للذات الجوهرية من أجل أن تصــبح هي القائدة إرادياً لتحقق نعيم ذاتها على الأرض, حيث تكون إرادتها عقلية جوهرية.
يرى جنبلاط أن " الحق, الحقيقة أو الله أو المطلق أو ما يســـمونه كذلك, وفق الأديان والمذاهب والأزمنة والأمكنة, هو الحقيقة الأخيرة للوجود التي ينشـــدها المؤمن والعابد والصّوفي, والكاتب والشاعر والموسيقي والفنان, والعالِم والملحد والكافر ذاته على الســواء. لأن ما من أحد إلا وينشــد الحقيقة؛ والحقيقة كالســعادة لا تنفصــل عنها, هي مطلب كلّ كائن, هي مطلب الوجود فينا, مطلب الحياة, هي عودة الوجود الظاهر إلى محوره ومصدر انطلاقه, إلى نقطة بيكاره على حد التعبير

الشـهير, والاسـتنارة, فيما نقوله ونسـتشـعره ونعمله ونكتبُه ونتقصّـاه ونتصـوره ونرجوه ونتأمله,بهذا المحور الأخير, أكنا متنبّهين لذلك أم لم نكن متنبهين ... " ص ٧٩

إن ما يطلبه الواجب هو العلم بذلك, فكل نظرة متأملة في علم الحقيقة, تفتح سـبل الحياة وتزيدها اتسـاعاً و توقاً و علواً, وكل تحقيق في هذا الاتجاه, يفتح باباً من أبواب السـعادة والغبطة والفرح لتضـع الإنسـان على جادة الحب والسـيادة حين يعلم أنه يسـفر بذاته الكلي, إلى ذاته المطلق, إنما هو سـفر من قطب في الدائرة,إلى نقطة بيكار وجوده,إذا ما كان الوعي يضعه في صميم دائرة الإطلاق بعد أن يحرره من أثقال ترابيته الجاهلة لسبل غايته الحقيقية.

لا بل ينشد من عَلم لغة الحقيقة وتاقه نغمها وصارعلامة في نغم الوجود, وأصبح النشد في كونه وكيانه وكينونته ليصبح هو الوجود والوجود هو.

يطلب الحقيقة من يعي,ويرهب الحقيقة من يجهل,إذا ما كانت هي الوعي المحض, وفيها ومنها وإليها حركة الوجود السرمدية,وأن في وعيها سعادة, وفي جهلها شقاء.

يقول جنبلاط:"إن سلامة العنصر البشري–جسداً وحواساً وأغشية وعقلاً وخلقاً وذهنية فاعلة خالقة – أسـاس لبقاء ونمّو الإنسـان وتطوّر الجماعة والمدنية,وأن إحدى وظائف الدولة الأسـاسـية أن تتدبّرما به تحقق[ المحافظة على سـلامة النسـل وازدياد(الأفضل) وحيوية العنصرالبشري وقوّته ونبوغه المتنوع المتناهي ".

ولا يتم ذلك إلا :

" بنظرة جديدة للعناية الصحية. واعتماد التدابير اللازمة" ومنها :

- إزالة الأمراض الوراثية.
- نشر مبادىء الوقاية والمناعة الصحية وتعزيز مناعة الجسد.
- وضع تصاميم للمدن والقرى حيث أصبحت المدن الحديثة مقابر للأحياء.
- الحرص على تطبيق تشريع صارم يقي الصحة العامة شرّ التزوير.
- رفع مستوى الدروس الطبيّة واستثارة البحث العلمي.
- مكافحة الانحلال الخلقي .

- تقوية فكرة الأسرة.
- توضيح حرمة الجسد ( والابتعاد عن الإسراف في كل شيء).
- العناية المنظمة بالرياضة الجسدية.
- تحبيب النشء بالرياضة الطبيعية.
- إعادة الرياضة إلى جوّ الطبيعة.
- التشديد على الإفادة فردياً واجتماعياً من نمو الروح الخلقي الرياضي.
- تظهير الناحية الجمالية للرياضة ... " ص ٩٨

صـــورة هي يحتويها جوهرالمعلم من أجل أن تتجلى صـــوراً يتوق الوجود إليها,هو في ذاته رسالة توق واشتياق؛ رسالة تصورت على صفحات ذاته, وحين تمازجت ذاته وذات الوجود , صار الوجود في ذاته صوراً لذاته.

هناك في ذاك العلو كان يحيا جنبلاط , جنبلاط العلم والمعلم, جنبلاط الرسالة التي لم تقرأ بعد.

لكن جنبلاط المثالي الواقعي, أنا لم أره ؛ كوني قرأت جنبلاط التبدل والتغير والإبداع , جنبلاط الوعي.

غريب أنا,وقلمي أيضـــاً غريب,غرابة نشـــدنا لعالم غريب,ترســـمت معالمه في وجودنا ، فأصبح لنا في جنانه وجود.

فالغريب أن يكون نشـــد بوذا وصـــداه, ونشـــد غاندي وســـقراط وأخناتون وجنبلاط ومن ترنم على وتر ذلك النشد..هم ذلك العالم الغريب الذي يتألق في ذاتي نعيم جنانه وهداه.

فقد وصل جنبلاط إلى كلمة فريدة , وقد تصور فيها وتصورت فيه, لكنه لم يقلها.

يقول الكاتب: كان ســـولوفســـكي يقول:" إن الحضـــارات والشـــعوب التي تفقد إرتباطها بالأرض لا تلبث أن تذوي وتزول ". ص ١٠٤

بديع هذا القول,وبديعة تلك النظرة الخلاقّة للأرض, إذا ما كانت الأرض هي الأم التي تعطي وتهب وتصفح وتسامح وتصبر وتتسع, ليكون موقعها هو موقع

الوقار,في حين يصغر موقع الإنسان إلى موقع المرابي والمستلب ولو كان يعلم أنها تطهره من كل دنس, وتصونه من الجوع, وتكسوه ثوب الصحة, وتحضّه على العطاء وتنهيه عن دس السموم في أحشائها, لأن تلك السموم سوف تقدمها إليه حكماً.

يقول جنبلاط: "ويجب أن لا يغرب عن بالنا أننا أولاد هذه الطبيعة, نحن نتاج التيار المرتفع الأخير في ُسلّم تطور الطاقة المادية النباتية الحيوانية.

وهذا الجسم يتكوّن,بمادته وأنسجته وأغشيته وسوائله وأعصابه وأقنيته وشرايينه وخلاياه المتنوعة اللامتناهية, من هذا الغذاء والماء والشمس والهواء... " ص ١٠٥

ومن أجل أن نعلم موقعنا في الوجود, وأين نحن من دقة نظامه وشموله وغائيته , فقد وضعت كتاباً من أجل الصحة العامة,يحمل غاية الإنسان على هذه الأرض في التآلف والوحدة والانسجام مع غائية الوجود ودقة نظامه علنا نصبح حركة شوق وهيام كالوجود أبداً, هذا حين نرقى إلى نظام غذائي في الوقت والنوع والقيمة الغذائية ومراحل العمر.

إن الجميع يسألون مع جنبلاط قائلين:

- هل ظّل هذا الغذاء الذي نقدمه لأنفسنا ولأولادنا نقياً فعلاً ؟
- هل الماء الذي نشربه,وتعبق به المطهرات الكيماوية التي وضعت فيه لقتل كل حياة كهذاالسلسبيل الفضي الشفاف الذي يتقطرمن فم ينبوعه؟
- هل يصح أكل الميت والمحنط والمعلبات منذ أشهر أو سنوات؟
- هل تبصرّنا بأثرالأدوية الزراعية والأسمدة الزراعية والصناعية على نتاجنا الزراعي على مدى طويل.
- وهل هذه المعادن المصطنعة من مواد اللدائن المتنوعة وسواها, هل يجوز استخدامها لغاية العيش قبل اختبار فعلها وأثرها؟
- وهذه الأدوية الصحية التي يعالج بها الإنسان مرضه, هل ندري ما هو فعلها وأثرها وما ينجم عن المعالجة بها على المدى البعيد؟

- هذه العادات في السـهر والنوم والانتقال السـريع,وهذاالعالم من الإشـعاع الكهربائي والموجات الكهرطاسيّة المختلفة التي نعيش في وسطها,كل ذلك لا نتميّز مدى تأثيره في جسد الإنسان ونفسيته وحياته.
- واستخدام تفجير الذرة لأغراض السلم, خاصة في محركات السفن والطائرات والسيارات فيما بعد.... ألخ
- وفي كبرياء التسابق والغلبة وتطلّب النجاح وابتغاء النفوذ.. دون أن يهتموا, بشكل مباشر وأساسي, بخطر تلوث مياه الأنهر والبحار والأرض المجاورة والهواء والغبار من الإشعاعات السامة.
- وهل تبصرّنا في أثر هذا الصخب وهذا الضجيج,على أغشيتنا وأعصابنا وفي صميم خلايا أدمغتنا وأوتار قلوبنا وأحشائنا.
- وأخيراً وليس آخراً..الراحة في حياتنا..فالنشاط ينبعث من الراحة, كما تنبثق الحياة من النوم عند بزوغ فجر اليقظة العادية.
- فقد ارتفعت نسبة المرض والمرضى في الولايات المتحدة– وهي أكثر البلدان تقنية فشملت مائة وعشرين مليوناً بشكل دائم من أصل مائة وسبعين مليوناً من سكان هذه البلاد سنة ١٩٦١".ص ١٠٥

إذا ما كان هذا الفكر في سباق مستميت على نهب الشعوب, قبل أن تعي هذه الشعوب حقها في الحياة, فيسّر أمر الحرب في حفظ الغذاء, والماء والدواء إلى تلك الشعوب, وهو الذي أحرز الثمن الذي يرغبه, وهو الذي باع الدماء, وابتاع المصير, وجعل العالم دمية في يده يحركها كيف يشاء ومتى يشاء.

فالنغم الهنيء على شفة الوتر الهادىء,يدغدغ الأعماق ويبسط الروح, إذا ما كان الصخب يحرك فقط غرائز الجسد, ويلبي فقط رغبة الفكر.

إن حركة الشغب العنيفة تستهويها مصالح الفكر, إذا ما كان هو العنف في ذاته, لنجد أن ما يصنعه في عالمنا هذا, يحمل في ذاته أسباب فنائه.

إن عصرنا هذا قد شابت عوارضه من جراء الخوف والحزن والألم الذي يعتصر في مآقيه؛ بلى , لقد شاخ هذا العصر, ولم يعد قابلاً للحياة.

ويسأل جنبلاط , ماذا يعني التطور؟
فيجيب قائلاً: "هو ظهور كل باطن من الأشياء والكائنات وفيها في الزمان والمكان المعد والمحدد لظهوره. وطبعاً لا ينفصـــل الزمان عن المكان لأنهما قياســـان من مقاييس الحدث ذاته. والتطور لا ينطلق من العدم, ومن العدم لا يخرج سوى العدم. فهنالك طاقة دفينة في أعماق كل وجود و وجودنا لا ينفصل عن الوجود الكلي – تتكثف في مجرى الظهور والتحقق وفي تنزّله٠٠ تماماً كما أن الشـــجرة الكبيرة, هذه الســـنديانة مثلاً,كانت منطوية, مغلّفة, مُســـتبطنة, أي متصـــورة بشـــكل لطيف, في البذرة التي أنبتتها, كذلك كل ما يبدو من واقع التطور فينا وبواســـطتنا, يكمن في أعماق أعماق كياننا الفردي والســـلالي والوراثي والحياتي العام. ولا يمكن مثلاً لبذرة السنديانة أن ينبت منها السرو أو التفاح.
وفي هذا الســـياق من التبصـــر تبرز حقيقة التطور: فهو ليس شـــيئاً يأتي من الخارج أو يزيد فيما نحن عليه أو نســـتزيد به, بل هو ظهور ما حوته الطاقة الحية فينا وما هو مستبطن ومغلف ومطوي في لطافة البذور والتصـوّر فينا. فلا تطور ممكن بدون انطواء الصـــور والمظاهر التي يبديها, في أعماق الذات البشـــرية في أعماق تيار الحياة الزاخر بهذه الكائنات والحامل لهويتها اللطيفة منذ فجر إنطلاق الكون.
لا تطور ممكن بدون اســـتبطان لمكونات طاقة. فالتطور عملية نشـــر لانطواء باطن دفين" ص ١١٠ لا تنبت الحبة مضـــطرة,لا بل هي منتظمة في نظام الوجود,نظام الحركة الدائبة,هي كالوجود أبداً في حركة شـوق وهيام,تســـتنبط ما في ذاتها,هي تجدد ذاتها, وتجدد الحياة, تعطي وتجدد العطاء, وتتجدد بالعطاء,هي ذاتها رسالة عطاء,رسالة حياة.
إن في أعماق كل منـّــا توق واشتياق, في أعماق كل منـّــا رسالة و رسول, رسالة قابلة للتصـور في قلم رسول غريب البعد والعمق والتصـور, رسول يبحث عنـّا, بنور الوعي, ونحن نبحث عنه بنور الفكر, فتزيد المسافات بيننا بعداً وافتراقاً.

فقد تتصـــور في حافظة هذه الآلة الكاتبة ملايين العبارات,وفي الكينونة يتصـــور العالم كله,يتصـــور في ريشـــة الوعي لتلك الكينونة,ولو ســـألنا أحد لماذا؟نقول له: لأن الوعي هو سبيل الإرادة العقلية العالمة في كل شيء,حيث إن العقل" قلم الوجود".

إن ظهور كل باطن هو تجلِّ الجوهر بعد رفع غطاء الفكر, فيتجلى الجوهر في الوعي, وليس في الحس, إذا ما كان الوعي يرقى عن المحسوس.

إن كل ارتقاء عن الحس هو تعدٍ للزمان والمكان,لأنهما يرتبطان بالفكر ارتباطاً كلياً, والحرية تتعدى كل ارتباط.

إن التي في أعماقنا ليســت طاقة, إذا ما كانت الطاقة تابعة إلى الحس , فالذي في أعماقنا هو أعماقنا التي تتعدى الحدود, إنما هي إرادة عقلية جوهرية, تحرك ولا تتحرك حيث هي بسط من ثبات مطلق.

وهي ليســت دفينة, إنما هي يقظة ســرمدية نعقلها بالوعي, هي تكثف ولا تتكثف لأنها بساطة مطلقة.

إن الوعي الحقيقي يكشف لنا حقيقة التطور, والعلم يكشف لنا ظواهر الحركة الدائبة في البحث عن سبل تطور الحركة ذاتها بالعلم والتقنية.

هو الإنســان طاقات وقدرات وإمكانات لم يســتطع تفجيرها أبد الدهر من أجل أن يصبح إنساناً مبدعاً, لذا تبقى كامنة في كيانه الظاهر.

لكنه مع تقديمها قد تتجلى في ذلك الكيان مقوماته الإبداعية تلك التي هي هو, تتجلى إرادة حب وخير وعطاء وغبطة وسلام لأن الوعي سوّاها بنور العقل.

فهل يُحاسَب الإنســان على جهله , أم يُحاسـب صــانع الجهل ؟ إذا ما كانت الحياة علم ومعرفة ووعي من أجل بناء إنسانية الإنسان في ذاته وفي أرضه وفي وجوده.

يقول جنبلاط : " إنما القدر إذا شـئنا التحديد,هو كل باطن من الأشــياء معدّ لأن يظهر.هناك في صميم أغشيتنا كتب القدر الذي نمثل دوره على شاشة

الحياة.ونحن أحرار على قدر ما نتمكن من الاستعلاء فوق مخطط هذا القدر".ص ١١١

هي الحقيقة التي تكشف لنا كل لحظة عن جديد حطه القدر فينا ولنا ولأجلنا, والجميل الجميل أن نعي سرّ الوجود حتى نكون مهداً بديعاً لهذا القدر, وألاَّ نسُاق إليه بعصا جهلنا كارهين لما هو خير لنا. فالواجب أن نعي صميم أغشيتنا من أجل أن نحركها بإرادة عقلنا الجوهر.

يقول جنبلاط: " وهكذا يكون التطور حدثاً طبيعياً له شرائعه في صميم تبلوره واستنباطه وظهوره. فعلينا أن نعد البيئة الطبيعية التي تتلاءم وتتوافق مع هذا الظهور النجيب , والتي بطبيعتها, تساعد على النمو والبقاء وتجّلي الأفضل .. وإلاّ إذا كنّا سنهمل جانب الطبيعة ونخالف قواعدها وسننها الأصيلة, نكون كمن يمنع ولادة النجيب, أو يجعله مولوداً سفاحاً, ميتاً عند ولادته, أو نكون قد قضينا على أنفسنا بالتوقف والتحجر ثم الانقراض .... أو أن التيار الحي سيجد له طريقاً وأداة أخرى سوانا, من خلال الدفق الزاخر بالإمكانات منذ فجر الوجود".ص ١١١

إن الإنسان منسوب إلى إنسانيته تلك التي انبثقت في دور من أدوار الحياة المتعاقبة, واتخذت مساراً من خلال الخلق والإبداع لا بد أن يكون سرمدياً, إذا ما كان منسجماً مع نظام الوجود بدقة وشمول.

فالوجود, إنما هو حركة دائبة التطلع والتصور والنظر بشوق وهيام إلى نقطة مركزية في صميم الدائرة تهبها البقاء والوجود والعناية,وتهديها إلى صراط أمرها وتكسبها الوداعة والجمال والبهاء.

والإنسان في ذاته, إنما هو ذرة صافية بصفاء الوجود. ذرة سابحة في مداره السرمدي. هو ذرة من نور, ذرة عاشقة جمال تلك الصيرورة المباركة,إذا ما عقلت ذاتها أنها من صميم الوجود, ومن صميم الحركة، وأنها هي البداية وهي النهاية.. إنما هي سابحة في بحر الشوق فيما بين العلة والغاية.

إن كل انحراف لهذا الإنسان عن مساره الحقيقي, لا بد أن يحرمه من وجوده الحقيقي, ومن سبيله الحقيقي, ومن غايته الحقيقية.

لنقل: إن هذا الإنسان الذي يفعل الموبقات؛ ليس هو تلك النفحة الجوهرية المشـــغولة بالشـــوق والهيام إلى كمال ذاتها, والفاعلة إرادياً من أجل غايتها الإنسانية.

يقول المعلم: " أوَلم يقل أحد أئمة العرفان في وصـــف عملية الخلق : " إنّ الحقّ (أي اللطيف) تكثّف فصار خلقاً" ؟

إنما نقول: إن اللطيف أبدع وســوّى الوجود الحقّ وهو هو في كل ثنياته يحتويه ويحركه ويدّبره ويصونه ويهديه وينيره.

يقول المعلم: " هذه النقطة الأصـــلية الجوهرية يعود إليها العلم الحديث اليوم في نظرية شهيرة في علم تكوّن المجرّات والأجرام والأفلاك, تتضمّن تصوّر عملية الانبثاق أو الخلق والعودة, في شـــكل ذرّة أولى صـــغيرة جداً لا قياس لها تجمّعت فيها طاقات الوجود المعروف وهو أمر ليس بعجيب, لأن بين الذرّات المتناهية في الصغِر وبين أجزائها, والتي يتألف الكون المادي من المسافات الشاسعة التي تفصلها نسبياً بما لا يتصوره عقل, وبهذا تبدو لنا لطافة ما يتكون منها الكون,الظاهر على غير حقيقته لعيوننا ولمسنا وحواسنا الأخرى, وهل من مجال لنزهة العقول وتسبيح القلوب وسعادة الوجدان أروع وأبهى؟ "ص ١١٣

كنّـــا قد ناقشنا في كتابنا الإنسان والوجود وتحت عنوان " الانفجار الكوني ص ١٠٣ الســـيد "بول ديفز" في كتابه " الله والعقل والكون" الذي قال فيه عن الانفجار الكوني, ثم خرج في نهاية بحثه بعبارة واحدة هي ( والنتيجة في واقع الأمر أن لا نتيجة).

بديعة هي نظرة الانبثاق أو الخلق والعودة, خاصـــة إذا ما كانت بقلم المعلم الذي كتب في العلم والمعرفة, روح العلم والمعرفة, لكننا إذا ما عدنا إلى نظرة أخرى قد تكون أغنى وأثرى وهي (إن الوجود كامل شـــامل لا يعتريه زيادة ولا نقصان).

وكما قال لا فوزييه : " الداخل يســاوي الخارج ", وكما قالت الآية الكريمة ( لا تبديل لخلق الله) .

فقد تنتظم في قانون التساوي المطلق.حركة الوجود السرمدية, حيث هي حركة إرادية عقلية غائية.
إن الذي يحدد ذوبان الكثافة هو وعي اللطافة, ذلك الوعي الذي يحرر الكثافة من أجل أن تصـــبح حركتها إرادية عقلية غائية حيث يصـــبح محركها الوعي .
فالذرة لا تفنى إذا ما كان يحتويها الجوهر ويثبت في ذاتها نظام البســط والقبض وليس نظام السلب والإيجاب كما تراه عين العلماء.
إن معضلة العلماء هي أنهم فكر, ومعضلة الفكر هي أنه مصالح وأغراض لا ترقى إلى البحث الفعلي عن حقائق الوجود, لا بل أنها قد أقفلت بوابة المعرفة عما هو جوهري حين فصـــل بيكون عالم الطبيعة عن عالم فيما وراء الطبيعة , وتفلسف عن عالم الطبيعة رافضاً ما عداه. فصار الوجود حسب فصله هذا جسداً بلا روح.
وقد اخترع الســيد ديكارت عقلاً من محتويات الطبيعة, من أجل اســتخدامه عند الحاجة. في الحين ذهبتْ بنا تأملاتنا علواً , فراحت تغســلنا من ترابية فكر أسقط كل شـيء حتى إنسـانية الإنسـان لنرى أن إنسـانيتنا العظيمة هي هناك في ذاك العلو, هناك حيث الوعي والحرية والسلام, حيث نحن بالحقيقة.
يقول جنبلاط :"ثم بعد انقضــاء مجرى الزمان,يتصــور العلم أن هذا المدّ الجرمي الهائل ينقلب إلى جزر,وينعكس التمدد إلى تقلص,ويحين طرد الفراغ العامر بالخلق من صدر الكون الكبير, حتى يعود كلّ شيء إلى الذرّة الأساسية الأصـلية– ذرّة الذرات– وتعود الطاقة, والحياة من ضـمنها تتغلف وتنطوي فيها من جديد . وتكون قد تمت الدورة, أو دورة من دورات هذا الإبداع الذي ليس له بداية ولا نهاية لا في الزمان ولا في المكان, وكلاهما من عناصـــر الكون ذاته". ص ١١٣

كنت قد وضعت على غلاف كتابي " العقل والوجود" نظرتي هذه (حين يعود الغريب ويصبح قريباً تزول الحدود, وترتفع الحدود, ليقف الزمان في محور المكان, يقف في لحظة تأمل فريدة, ثم يأخذ مساره الأبدي من جديد).

وقد ناشدت القارئ الكريم في كتابي الإنسان والوعي " نظرة في عين الحقيقة" ص ٣٠١ بقولي " أنا وأنت من الأزل كنّا ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية ".

فالدور إنما هو لحظة تأمل لإرادة الوجود الحق, لحظة تجلٍ للإرادة الكونية, تكشف فيها حقائق الحياة الأزل, وتظهر فيها صراط الأمر لأن العالم يستغيث في نهاية هذا الدور من أولئك الأبالسة الذين يعيثون بهذه الشعوب فساداً وطغياناً، من أجل سيادة الإنسان الذي لم يعرف السيادة قط على مرّ العصور. إن فكرة الانفجار الكوني لا بد أن تكون من أهم أغراض الفكر وهي " إلغاء الجوهر".

فمن خلال الفلسفة والدين وما عرفناه من التاريخ والواقع ؛ تستوي في أعماقنا قناعة واحدة هي " إن الجوهر سرمدي وهو يصون المادة من الفناء".

يقول جنبلاط:"فاختبار الإنسان هو في النهاية واحد: إذا تطلع بعقله إلى الأفلاك الدائرة في سُدُم اللانهاية أو تفحص وتقصى انبثاق أجزاء الذرّات من الفراغ المليْء الأخير ومن الطاقة التي هي وراء هذه الأجزاء,حيث لم يعد هنالك حدود بين المادة والطاقة: فالطاقة تتحوّل إلى مادة أي تتكثف فيها, والمادة تستحيل إلى طاقة أي تتلطف فيها وتدق وتشف وتزول من حقل الإدراك الحسّي للمس والسمع والبصر.

واختبار الإنسان واحد في المقابل إذا توجّه,في صميم لطافة ذاته, إلى هذه الكوّة المنفتحة في أرفع تجليّات العقل وانطوائه على ذاته, وترّفعه إلى مصدره, وبلوغه سِدرة العرفان.

فالمعرفة العلمية الأخيرة ومعرفة العرفان هي واحدة,وهي في ذاتها في النهاية. ولا ازدواجية في ذلك مطلقاً أو فرق كما يتوهم المتوهمون. فالعالم الحديث

المتقدم في الاستقصاء وطلبه التفسير هو العارف الصوفي, يتطلب توحيد التفسير ووحدة المفهوم المعبرّ لطاقة الكون الشاملة بأسرها للمادة وللحياة". ص ١١٤

هي الحقيقة في وعيها تتحقق الوحدة ,حين تُفنى أسباب الفناء وتزول من الذهن, حين يتجلى عقل الوجود الجوهر , ويتوحد الكون والكينونة بفعل الإرادة الجوهرية التي تحرر الطاقة والمادة من أجل أن تتكيّفان بخواصهما إرادياً,هنا تتحرر الحركة إذا ما كان الجوهر المحض هو الحرية المحضة , والحركة منه وإليه بفعل الشوق.

إن العرفان والتوحيد واحد, إذا ما كان العقل والوعي واحداً, وجميعهم من صميم الجوهر الواحد.

إن كل إبداع علمي هو كشف عن حقيقة يدركها العرفان حين يعي ذاته,وأن وعي المعرفة قد يرقى بالحياة إلى عالم الإبداع الحقيقي حين يعقل الوعي غايته الحقيقية.

إن الطاقة هي مادة قابلة للفعل حيث هي قوة, والقوة لا بد أن تكون مادية, إذا ما كانت الإرادة فوق القوة وهي جوهرية.

إن العقل في أرفع تجلياته أبدياً, لأنه هو الإرادة الإلهية, والمعضلة هي في وعيه من خلال التأمل بنوره.

إن طاقة الكون ظاهرة لمن يعلم,ظاهرة من خلال حركتها السرمدية,لأن محركها هو جوهر الوجود الذي يحركها من صميمها حركة شوق وهيام.

يقول المعلم: " وظيفة العقل وهبته الأساسية هي التدقيق والتمييز. وإلا إذا كان علينا أن نقبل بكل شيء كما هو وكما يأتينا". ص ١١٩

ليس هنا المعضلة الحقيقية,إذا ما كانت في وعي العقل, وعند وعيه سوف تزول جميع التناقضات التي وضعها الفكر, وسوف يزول الفكر أيضاَ, لأنه هو المعضلة.

يقول المعلم: " والعصر الذي نعيشه أضحى بحاجة إلى قدرة التمييز وكفاءة التدقيق أكثر من أي عصر آخر, لتعدد مظاهر سحر الأغراض وتنوعها أمام أعين الإنسان البدائي المتوحّش القاطن فينا". ص ١٢٠

فمن أجل قدرتنا على التمييز, علينا أن نتعلم من أجل أن نعلم تمييز الأفضـــل من
تلك البِدع التي صـــنعها لنا الفكر حتى يغوينا,فحين نعلم علم اليقين؛ ســـوف نطرد الفكر أولاً, لأنه هو المتوحش القائم فينا, حينها تزول عبارة " فرّق تســـدّ" تلك العبارة التي كانت ولم تزل من أعتا مفاهيم الفكر.

يتحدث المعلم جنبلاط عن نتائج العلم التطبيقي، في عصـــر الصـــناعة القائم فيقول: " هو أبعد ما يكون عن العلم الحقيقي, لأنه يقصـــد منه الربح لا خير الإنسان أساساً وانطلاقاً وغاية.

ونذكر مما قاله المعلم ,انه لا يوجد في الشـــعب الأميركي الشـــمالي أكثر من خمســـين مليوناً من الأصـــحاء هذا في ســـنة ١٩٦١ .. ويبلغ عدد المصـــابين بداء المفاصـــل وحده في مجموع العالم الغربي مائة مليون من البشـــر,ويزيد عدد المعتوهين على العشرين مليوناً .

ويضـــيف المعلم قائلاً: ويجب ألاّ ندهش لذلك. فنحن نتيجة كيميائية ومادية لما نأكل ونشرب وما يسجل في أعضائنا وجوارحنا وأنسجتنا وأعصابنا, من هذا المحيط الجشـــع الصـــاخب الذي نعيش فيه. وماذا تطلب الحضـــارة التجارية؟ أن نتصـــرف عكس ما تفرضـــه قواعد الطبيعة ... وينتهي إلى القول : " هذه ليســـت حضارة". ص ١٢٠

إن ما يبتغيه كل حي عاقل؛ هو أن يعقل. وإلاّ كيف نقول عنه أنه حيّ عاقل: إذا كان لا يعرف العقل,ويحتسب أن جميع أصنام الفكر هي عقولاً جاهزة للاستخدام كما هو شائع على ساحة الواقع.

إن الفكر قد وضـــع لنا مصـــالحه هو, ونحن نريد غايات من أجل وعيها وتحقيق ذاتنا الحرة في الوعي من أجل أن نصـــبح ذات حرة , لها الطبيعة والوجود جنة خلود.

نحن إنســـانية عظيمة لأنها ينبوع إرادة تجعل الإنســـان أثرى وأغنى ما في الوجود من أجل أن نثبت بالوعي أننا وجود جوهري, ولســـنا مادة ســـائبة تنهشـــها وحوش الفكر. إذن,نقف مع المعلم لنقول: هذه ليســـت حضـــارة,إذا ما كانت غابة يحكمها الوحوش. ...

إنما الإيجابي في رأي جنبلاط هو حسب قوله: " وإن تطوّر الحياة قد تحوّل, بفضل هذا الوعي وهذه الحرية, إلى تطور اجتماعي وأخلاقي ونفسي, هدفه استنباط القيم وإنشاء الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية ولعل هذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وعالم الإنسان.

ويضيف المعلم قائلاً "على ضوء هذا الإدراك, يتضح لنا خلال عملية التطوّر غرض الحياة منّا وفينا, وأننا أداة مكلفة في الواقع بتحويل التيار الحي, الزاخر بالإمكانيات منذ فجر الحياة,إلى فكر وشعور وإشراق,وقيم حق ومحبة وجمال". ١٢٢

حين حكم الاقتصاد في الغرب,وضع العالم الغربي كله في خدمة الاقتصاد الذي حقق حضارة اقتصادية عظيمة عملت على خلق تقنية مهيبة جعلت من ذلك المجتمع مجتمعاً غنياً بمعظم جوانب الحياة التي يطورها الاقتصاد. فلن ترى مواطناً يتبرم في شوارع المدن خلال فترات العمل, إلاّ ما ندر.

وإذا نظرت إلى باقي الشعوب التي لم تنتظم في مسيرة الاقتصاد الوطني فقد تجد أن لا قيمة للزمن عندهم,ولا للنظام,ولا قيمة للحضارة والتقنية والالتزام والتمتع,هنا لا بد أم نعلم أن مجتمعاً كهذا صائرٌ إلى الزوال.

قال نابليون:" ويل العالم إذا فاقت الصين". وحين نجد أن هناك مصنعاً في كل بيت صيني, نعلم أن الصين نهضة شاملة بكل أوجه الحياة.

إن جميع الموبقات التي يتعامل بها الشعب العربي, سببها البطالة القاتلة لكل أسباب الحضارة والتقدم, ومن أهم أسبابها هي هروب الدخل ا لقومي وعدم بناء الاقتصاد السليم, وحرمان الشعب من إقامة مؤسسات متنامية مع تنامي الاقتصاد وسلامته.إذا كان الاقتصاد السليم يبني القاعدة الحضارية الراقية ويبني الإنسان الحضاري الذي يبني ذلك الاقتصاد,فحين يكون الإنسان علماً ومعرفة وأخلاق,هكذا يصبح الاقتصاد.

لنقل:يجب أن ينتظم الشعب كله في مؤسسات تنتج جميع لوازم الحياة الآنية, وتبدع ما يتسنى لها من أجل الغد.حيث إن العمل الجاد المثمر يبني الحياة والإنسان

والوجود والحضـــــارة والتقنيـة والرقي والتقدم. إنمـا يبقى الاقتصـــــاد هو القـاعدة الأساسية لذلك.

يقول جنبلاط: " ولا تستحوذنا ذهنية التطوّر, إلاّ إذا أدركنا باديء ذي بدء غاية الوجود والحياة منّا وفينا, فالمعرفة أسـاس وشـرط لمثل هذا المطلب ..... والإنسـان فينا الذي حوى العقل, واستنبط شرائع المادة والكون ولا يزال, هو أعظم من هذا العقل الصغير.

ويتابع المعلم قائلاً : والغاية الأخيرة لهذا التطور هي الوعي والحرية, وهما في الواقع كلمتان لمفهوم واحد,فلولا الوعي لما كانت الحرية, وعلى قدر ما يتكامل فينا الوعي, نشعر بالحرية ... الحرية الجوهرية

وهذا الوعي ليس هو الوعي في مفهومـه السـاذج... بل هو التنبّـه العـارف واليقظة, كمن أضاء نوراً في نفسه يستضيء به على الدوام" ص ١٢٤

لقد أتينا على هذه النظرة الفريدة مرات عدة, وغايتنا أن نتعدى الهدف المادي إلى الغاية الجوهرية التي لا بد من تحقيقها إذا ما كانت هي غاية الحياة والوجود وغايتنا, ولا يمكن تحقيقها إلا بالوعي الجوهر الذي يرقى إلى سبيلها الجوهري.

ولا أظن أن عقل ديكارت المادي هو الذي قد اسـتحوذ نظرة المعلم, إذا ما كان العقل هو إرادة الوجود وعظمته ومعنى وجود الحياة والإنسان.

والوعي الذي نحن نتوق إليه,إنما هو وعي المعرفة,هو الانعتاق من جميع القيود, هو الذي يتعدى المادة إلى الجوهر,ويتعدى الفكر إلى العقل الواحد - إرادة الله العلية.

والنفس , إنما هي الغاية, إذا ما كانت نور الوجود الحق, والغاية وعيها وعياً جوهرياً. فالواجب أن نتجه إليها بنورها الجوهري, وليس بنور الفكر المادي كما هو الواقع .هي جوهرة مكنونة من روح الله واجدة هذا الجسـد الذي ظلّ عنها وسـار وراء أغراض الفكر ومصالحه.

منذ البداية وهذا الإنسـان يتبع, وإذا ما كان الإنسـان جوهراً في ذاته, والجوهر لا يتبع ؛ إذن , هو يتناقض مع ذاته الجوهرية المجردة من كل تبعية.

فحين قال لنا الراعي في ألمانيا الديمقراطية:"نحن صـــنعنا القانون ونحن نصونه" كان علينا أن نعلم أن الراعي كان شريكاً في القرار وليس تابعاً.

وإذا ما كان كل فرد يعي قيمة وجوده ومعنى هذا الوجود وواجبه في مؤسسة يعمل بها ؛ تصبح المؤسسة هي هو , وهو هي تتفانى من أجله, ويتفانى من أجلها. متعلمون نحن, إنما تحركنا مفاهيم جاهلة, فالشـــهادة في مجتمعنا غاية من أجل استحقاق الوظيفة, ثم نعود إلى أمية المفاهيم. هنا نكون قد تعلمنا في مدرسة السلب وليس في مدرسة العطاء الجاد المثمر, تعلمنا كيف نأخذ, ولم نتعلم كيف نعطي.

نحن تعلمنا في مدرســة الفكر, تعلمنا مصـــالح الفكر وأغراضـــه, ولم نتعلم درساً واحداً في مدارس الوعي التي تغسلنا من ذاتيتنا , وتجبلنا مع طبيعة الحياة الحقيقية – مع ماهيتنا الحقيقية وغايتنا الحقيقية وحريتنا الحقيقية وســـعادتنا الحقيقية , ومن نحن حقاً وفعلاً, وكيف يجب أن نكون.

يقول جنبلاط: " وأخيراً فإن روحية التحرر والتمييز الســليم تعتمد العلم الحقيقي ومستنتجاته, لا العلم السطحي الظاهر الذي تسيطر على تطبيقاته, في حقل الإنتاج العلمي روح الربح والتجارة, واستكشافات العلم الحقيقية ونظرياته توصي, بشكل مستمر وملحّ, بالعودة بالإنسان إلى جوّه الطبيعي الذي يتلاءم مع أغشيته وأعصابه وحاجاته الصحيحة لا المصطنعة". ص ١٢٩

يجب وضع المناهج الدراسية التي تحرر الإنسان من ربقة المادة والمصلحة, وتضعه في موقع القائد الحكيم لحركة الحياة في هذا الوجود, بعد أن تجعله إرادة وجود وثبات وبناء وإطلاق.

يجب أن تتغير المفاهيم جميعها,إذا ما كانت تابعة إلى تحكم مصـــالح دنية, من أجل إقامة مفاهيم سيادية لا تخضع حين تكون نابعة من إرادة الشعوب فعلاً وليست دخيلة عليها.

إن تحرير المادة من ربقة الفكر,يجعلها ســيدة حرة تتحرك إرادياً, حيث يتحرر الإنسان أيضاً من عبودية المادة المضطرة لذلك جراء هيمنة الفكر.

هنا يصبح الإنسان والمادة كلاً متناغماً مع نغم الوجود الحر, هنا يصبح الكل واحداً ينشد ذاته الكلية هناك حيث كمال صفاته في حدائق الغاية الأبدية.

تلقائياً إذا ما تجرد الإنسان يصل, حيث يصبح هو المكنون والمكنون هو فلا يحتاج, لأن كل ما يريده معه, إذن , هنا تتجلى السيادة الحقيقية.

وقد أتى المعلم على كل شيء , خاصة " بتقوية فكرة الأسرة بتشجيع وتمكين الزواج الباكر واحترام قدسيته و وحدته ورعاية الأمومة والطفولة.

وقال أيضاً : " بواسطة شرط الزواج بوثيقة صحية ومكافحة منظمة للمرض والانحلال الخلقي"

وقال أيضـــاً : " بتوضـــيح حرمة الجســد وترفيع القوى الحية وتحويلها إلى قوى نفسية واجتماعية خلاقة وبناءة " .

بعناية منظمة بالرياضة الجسدية من نتيجتها مثلاً :

" تعويد الولد ضروب الاعتناء بالجسد ".

" جعل علم الصحة والتربية البدنية مادتي درس وامتحان".

" بتحبيب النشء بالرياضة الطبيعية بما يؤمن له تنمية منسجمة للأعضاء

" بإعادة الرياضة إلى جو الطبيعة .... ".

"بالتشديد على العلاقة القائمة بين الرياضة والبهجة ".

" بإيضاح التفاعل بين الجسد والقوى النفسية ".

" بالتشديد على الإفادة فردياً واجتماعياً من نمو الروح الخلقي الرياضي".

" بتظهير الناحية الجمالية من الرياضة".

" بجعل مواسم الرياضة موضوع اعتزاز للجماعة".

نرى أن الأسـرة " تلك الخلية التي تصـنع الجسد الإنسـاني السـليم " نرى أنها في مرحلة مخيفة من الضياع والتفكك, وعواقب ذلك ضياع المجتمع.

لنقول: إن وحدة الأســرة هو نتاج وعيها لوحدة المجتمع, ووحدة الإنســانية, إذا ما كانت الإنســانية " أســـرة " من العلة إلى الغاية ,وإذا ما تحققت وحدة هذه الأسرة؛ فقد تتحقق غاية الإنسان في إنسانية عظيمة وحرة ونبيلة.

يتحدث جنبلاط عن مجرى التطور في اتجاهات عدة

الاتجاه الأول: الوعي والحرية, ويرى الزيادة المضـــطردة في مقدار وعي الكائن الحي ,وحدّة هذا الوعي وإلى الزيادة في حريته وطاقته في التصـــرف خلال قيود المادة وسننها – كلما ارتقى في سّلم الأجناس والفصائل والفروع التي تتطور باتجاه الدوحة الحيوانية التي يّتوجها ويختمها الإنسان ...

وإن تطور الحياة قد تحول بفضـــل هذا الوعي وهذه الحريـة إلى تطور إجتماعي

وأخلاقي ونفسي هدفه استنباط القيم وإنشاء الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية – ولعل هذا هو الفاصـــل الوضـــعي بين عالم النبات والحيوان وبين العالم البشري.

ويضيف قائلاً: على ضوء هذا الإدراك يتضح لنا خلال عملية التطور غرض الحياة منا وفينا, وأننا أداة مكلفة في الواقع بتحويل هذا التيار الحيّ الزاخر بالإمكانيات منذ فجر الحياة.

- الاتجاه الثاني : التجمع البشري

يظهر لنا من مقابلة الأشـــكال الحية ومن الدرس المتعمق للمراحل والأطوار التي مرت بها الجماعات والفصائل الحيوانية والنباتية في أدوار تحولاتها أن العناصر الحيوانية والنباتية تظهر ثم تنمو وتكبر وتشيخ وتموت.

ويبدو من الدرس والمقابلة أن العنصـــر البشـــري في تطوره الطبيعي خاضـــع كبقية العناصر الحيوانية لهذا التطور المحتوم .. ويبدو أنها وصلت إلى درجة من نموها السلالي يمكن أن نسميها بمرحلة بمرحلة الجمعية أو التجمع البشري.....

كثافة الســـكان المتزايدة في عالم اليوم والناجمة عن نشـــر وتطبيق مبادئ العلوم الصحية والوقاية الصحية وتحسن مستوى العيش,أدى إلى تطور المجتمع

والبشرية,كثافة المجتمع الاقتصادية المتحققة بتعقد وتشابك الأوضاع الاقتصادية المتزايدة.
الكثافة الاجتماعية والمعنوية: فالعلاقات والروابط الاجتماعية أضــحت من الكثرة ومن الإحكام ومن ومن القوة بحيث يشكل مجتمع بشري وحدة عضوية, أي كلاً عضوياً غنيّ الحيوية موحد النزعات كثيف الحياة.

- الاتجاه الثالث للتطور : مظهر وحدة الإنسانية وتكوّرها والتحسس
- أكثر فأكثر بوحدة هذا السيار الذي نعيش عليه" ص ١٦٠

نرى أنه وجود حق, لموجود حق, ماهيته كلية تجلت مع الإبداع الأول بإرادة علية,تجلت في حبة "كن " فكان الوجود هو,وكان الموجود هو,هو الجوهر المحض, هو الصورة والمصور والمتصور في كل شيء وفي كل أين, وفي عين الوعي نرى عظمة إبداعه,نرى عظمة الحرية, وعظمة الوعي حيث هو الحرية المحضــة والوعي المحض.
ونحن من الإبداع الأول ننشــده , ننشــده بعلمه وبنوره وبجوهره على ترانيم آيات الأزل, لكننا عملنا بعد خلق وخلق فرغبنا, فتكثفت رغباتنا لتصبح حجاباً بيننا وبين حقيقة نشدنا, بين مكنوننا وظاهرنا, فاختلف الظاهر وتاه وراء الاختلاف, وزاد البعد حين أصــبحنا نختلف على جوهر علتنا, وعلى ســبيل غايتنا, وراحت رغباتنا عبر العصور تجسّد وجودنا التائه والحائر فيما بين العلة والغاية .
فالحرية الحقيقية إنما هي الانعتاق من كل ما تراكم على هذه الذات من أثقال وعيوب خلال عصور التطور. فكلما طالعنا درساً من حكمة الوجود تكشف حجاب من أحجبة الظلمة التي نســج خيوطها ذلك الاختلاف,وبعد آخر حجاب يتكشــف؛ تتجلى الحقيقة لنا على أكف الوجود, وتظهر الغاية التي كنا ننشــدها, وتتبدى سبلها جلية إلى أعتاب قدسه المبارك حولها.
إن الإنســان يحقق حركة الوجود حين يعلم أنه منه وإليه,ويعي أنه رســالة وجود, حين يعي أن الوجود رسـالة حياة لمن يعي رسـالة الحياة, رسـالة لا بداية لها ولا نهاية ,

إذا ما كانت رسالة حية - متجددة ومتطورة ومرتقية ومتألقة وسامية, من أجل أن تحقق غاية الوجود.

إذن, نستطيع القول : إن الغاية واحدة كالحقيقة أبداً,والإنسانية واحدة, كالأسرة أبداً, إذا ما عرفت كيف تحقق وجودها في وجود هو مهدها الحنون.

إذن لماذا نختلف؟ لنجيب في عبارة واحدة هي "لأننا فكر مبني على الاختلاف" وهذا الاختلاف يضعنا خارج دائرة الوجود الحقيقية,إذا كان الفكر لا يحمل رسالة الوجود الحقيقية.

بلى, لقد تكثف وجودنا في تجمعات كبيرة , وكتبنا فوق قمم الجبال والبيوت والمآذن والكنائس ,كتبنا غاية نشدنا بالقلم العريض, وكنا وما زلنا نؤم تلك الأماكن ونصليّ ونكبّر, لكننا لم نقرأ يوماً ما كتبنا. لأن نشدنا قد راح إلى أودية الظلال السحيقة.

فقد تطورت أجسادنا حتى أصبحت غريبة عنّا,وحملت أفكاراً لا تنتمي إلينا, وتغذت على طعام لم يعد يشبعنا , ونهلت من شراب لم يعد يروينا. فذاب نحن بالحقيقة , وتضخم نحن بالغريب الغريب عنا من أشكال التطور.

وفي هذه اللحظة المباركة من التطور حيث أصبحت الأسلحة الفتاكة جديرة بفناء العالم خلال ساعات معدودة , حيث أصبح الخوف في غاية التطور.

إذن, لا بد من البحث بعمق وروية عن غاية المعلم في بحثه هذا , لأنه بالذات والروح هو معلم .

# الحياة العقلية

يقول جنبلاط تحت هذا العنوان:"إعلان أهمية المعرفة وضمان احترام حقوقها وتعزيز الحياة العقلية وإيجاد وضع يضمن أقصى تفتحها فيما يهم الفرد والجماعة والإنسانية.
١ – اعتبار الفكر قيمة بحد ذاته وموضوعاً لكرامة الإنسان ومرتكزاً لكل نشاط بشري, وقدر المعرفة مقياساً لكل عمل إنساني ومصدراً للحرية والغبطة :

- إطلاق حرية الفكر في البحث عن الحقيقة واكتناهها .
- اعتبار المعرفة شفاعية بطبيعتها فلا حاجز في سبيل نشر الفكر.
- إعلان المعرفة حقاً للفرد وواجباً عليه" ص ١٩٩

إن الفارق الكبير بين ما نوّد البحث عنه, وبين فكر جنبلاط في بناء الدولة , قديكون السبب في هذا البعد الشاسع فيما نوّد التمتع في بسطه على أفانين السطور, إذا كنا كلمة توق واشتياق تقطر حباً على ثغور تلك الأفانين من أجل أن تتفتح ورود حدائق الحياة الفرح لأننا نذوب فيها وجداً واشتياقاً.

فقد نهب منّا الفكر جمال الطبيعة الذي كان يتناغم مع الجمال في أقداسنا, نهب منّا أقداسنا المتناغمة أبداً مع معزوفة الوجود, لا بل نهب منّا معنى الوجود, لنبقى وجوداً بلا معنى.

إن تعزيز الحياة العقلية في عالم الفكر هذا هو خروج كلي من دائرة الفكر الذاتية, إذا ما كانت المعرفة الحقيقية ترقى عن أغراض الفكر.

إن الفكر قيمة , لكنه قيمة مادية لا يمكنها الارتقاء إلى المعنى حيث لا تحتوي جوهراً, ولم يكن يوماً عبر تاريخه المديد إلا حرباً على الحياة, وهذا العصر شاهد عليه. بعد أن نهب قوت الشعوب وكدسها في خزائنه ذهباً ونقود, كما أنه العبودية في ذاتها بعد أن أثقل الإنسانية بتلك القيود.

والغبطة إنما هي للجوهر فقط , ذاك الجوهر الذي ألغاه فكر بيكون وغيره . فلا بد من القول: إن الفكر كان ولم يزل مبعث الجهل والشر والخوف والغضب

الذي دعا نيرون لحرق روما, والذي قتل الإنســـانية في الحربين الأولى والثانية ........إلخ.

إن إطلاق الحرية مفادها فناء الفكر , إذا ما كانت الحرية الانعتاق من تلك القيود حيث إن الفكر هو مؤسس شريعة الغاب على الأرض؛ وتلك الشريعة هي أعتى أنواع العبودية.

في البحث عن الحقيقة واكتناهها , نرى أن الوعي, وعي المعرفة يرقى بنا إلى مواقع البحث عن الحقيقة, حين نتجرد عن كل فكرة وفكر ونصـــبح في عالم العقل, العالم المعنوي.

" المعرفة حين تكون غرضـــية تصـــبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا" تبقى كالشاهد على الفكر". أتمننندا ص ٥٤

ويقول أتمننندا:" أنا لست فكراً وليس لي فكر ... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال". ص ٤٩.

( إن سـبب جميع القيود هي نسـبة الوجود إلى أشـياء ترتفع في الفكر...الأغراض ليس لها علاقة أحدها بالآخر. إن علاقتها تقوم على الدوام مع الفكر وحده. إن الغرض لا يمكنـه أن يوجد أبداً لو برهـة,إلا إذا عرفـه الفكر وعنـدمـا يتبـدل الفكر ويتغير فالغرض أيضـــاً يتبدل ويتغير...الغرض والفكر لا ينفصـــلان أحدهما عن الآخر.فهما إذاً واحد. إذاً, فالاعتقاد ذاته بأن الشـــيء هو محض خداع يرتفع في الفكر). أتمننندا ص ٣٨

هو أتما دارشـــان , بقلم أتمننندا ومن ترجمه إلى العربية هو المعلم كمال جنبلاط وقد تكفي شهادته على هذه النظرة التي تقول " إن الوعي الذي يتوجه خارجاً إلى الأغراض,هو الفكر .. وإن الوعي الذي يتوجه عائداً إلى الذات , هو محض صفاء" ص ٢١ أتما دارشان يحيا في عقل جنبلاط وفي قلبه وروحه.

هذه بعض النفحات الرقيقة تشـــهد على الفكر بأنه هو والغرض واحد, وإذا ما زال الغرض . زال الفكر .... فما هي علاقته في البحث عن الجوهر إذاً ؟

نحن منذ تسعينات القرن الماضي كنا قد وضعنا العقل في موقعه الحقيقي, كما وضعنا الفكر في موقعه الحقيقي , ذلك في كتابنا " ضياء العقل " ص ١٠٤

إن الفكر الذي يقتل في الكنيسة وفي المسجد وفي المشفى والمدرسة والطريق والبيت وبدون ذنب وبلا محاكمة عادلة , وينهب العالم ويستعبده ويستعمره ويرمي الغذاء في البحار والناس جياع ... و يهدم الكنائس والمساجد والمشافي والمدارس. هذا الفكر قد تعدى جميع المحرمات, هذا الفكر هو " وحش يفترس العالم كل يوم ".

فالنور هو النور، نور الجوهر, نور العقل, نور الحقيقة, نور الله. والظلمة هي وليدة الفكر الذي حكم على الإنسانية بالفقر والجوع والخطيئة والخوف والحرب.

إن كل جائع شاهد على الفكر,وكل مظلوم,وكل معتوه,وكل مجرم, وكل سارق, وكل زانٍ, وكل مشـرّد , وكل خائف, وكل جاهل, وكل منتحر, وكل مريض, وكل بـدين, وكـل محروم ...إن هؤلاء جميعهم هم من عـالم الفكر, وفي ظـل عبوديتـه القاهرة, وهو الذي أوصـلهم لما هم فيه وليس غيره إذا ما كان هو صـاحب السـيف والقانون.

إن الفكر هو الأشد عبودية, إذا ما كان محكوماً بالمادة سيدته, ويتحرك عنوة من أجلها, وتتحرك عنوة من أجله, إذاً هما خليلان لا يفترق أحدهما عن الآخر, فإذا زال أحدهما حكماً يزول الآخر عن كيانه الحالي فالمادة حين تنعتق من قيد الفكر, فقد تصبح سيدة تتكيف بخواصها المادي إرادياً حسب إرادة جوهرية,في حين يفنى الفكر كلياً لعدم احتوائه على الجوهر.

قال نيتشـه:"أنا أشـتهي كذا". فقلت له: لا يا معلم ,أنت تشـتاق ولا تشـتهي لآن الشـهوة دنية , إنما أنت الشـوق في ذاته, لأنك منه وإليه. إذا ما كان مصـدره الشـوق المحض.

والمعلم جنبلاط , ليس فكراً, وهو الذي تعدى الفكر إلى الوعي, وتعدى الوعي إلى العقل حتى صـار من صـميم جوهره , ومن صـميم جوهر الوجود,لكنه تكلم في لغة هيجل وغيره من الذين سموا إلى مواقع لا يرون منها فكراً ولا أصحاب الفكر.

فكم سـمعت من علماء الدين قول كهذا " أنا أفكر بعقلي ". مع أن العقل لا يرى الفكر حيث هو جوهر لا مادة فيه, والفكر مادة لا جوهراً فيها . والأهم من هذا كله أن العقل لا يفكر لأنه كمال لصـفات الخير كلها, والكمال لا يحتاج حتى يفكر. إن السيد المسيح لم يفكر أبداً لأنه كان أبداً مع الله , والله هو الكفاية, بينما يبقى التفكير والبحث والتقصي من خصوصيات الفكر من أجل زيادة مكتسباته, فهل من مليونير في هذا العالم لا يفكر ليلاً ونهاراً عله يزيد ثروته ولو فلسـاً واحداً, أليس الجشـع بكل حجمه عند أولئك الأغنياء؟ أليس هم الذين حكموا العالم وقادوه إلى حروب كان الفقراء وقودها؟ أليس هم القانون والسلطة والسيف المرفوع أبداً فوق هامات الشعوب تحت نظريات هيجل وغيره في تأليه الفكر،حتى غدت الشعوب تأله قاتليها بسيف ذلك الفكر.

إن الجميل في ما قدمه جنبلاط في هذا المجال هو أنه قد اتخذ من جمال الواقع صورة من أجل أن يجعل منها أبدع صورة تتألق في لبنان ويتألق لبنان بها, ولا بد أن تكون بقلم الفكر حيث هي من واقع الفكر.

إنني بعد أن طالعت جنبلاط في العديد من مؤلفاته,وجدت أن يكون هو صـورة كتابي هذا وكل صـفحاته التي سـوف تكون به غنية , لأنني أتوق لأن تكون ثروة المعلم هي كتابي هذا,من أجل أن يكون كتابي هذا هو الأغنى, وسوف تتألق الصورة حين أكون مع جنبلاط المعلم وليس جنبلاط الدولة, وقد مرّ بذلك الاختيار سـماحة الشـيخ الجليل " جمال الدين عبد الله التنوخي الذي حمل رسـالة التوحيد إلى دمشـق وكان بها ومنها محل إجلال وتقدير واحترام لدى الدمشقيين جميعهم راجع بحثنا " من وحي الحقيقة" في كتابنا " ما بين الفلسفة والعقل" ص ١٠٧

# الجزء الخامس من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

## قبسات من أدب كمال جنبلاط
## " الأدب نظام الحياة ". جنبلاط

يقول المعلم: "مفهوم الأدب هو احترام النفس واحترام الآخرين. ومن لا يحترم نفسه ويعتبر قيمها فكيف يصحُّ له أن يتوجه إلى الآخرين بالاعتبار والاحترام؟
ويتابع المعلم قائلاً: إننا نكتب هذه الخواطر لأننا نلحظ أكثر فأكثر – ويا للأسـف – موجةً من التحرر المزعوم من قواعد اللياقة والآداب التقليدية, والأخلاق السليمة السالفة, تجتاح لبنان وتحاول تهديم أفضل ما فينا. ومن لا يستوي له تهذيبُ خارجه فكيف يستقيم له تهذيب داخله؟ ص ١١
في كتابنا نظرات في عين الحقيقة الطبعة الثانية,أتينا على هذا الموضـوع تحت عنوان "ما بين الحضارة والاحترام " ص ٣٠ قلنا في الصفحة الأولى
( إن جملة الأشـياء الجوهرية, ينبوعها الوعي, والحضـارة نتاج ذلك الوعي. ... فالحضارة ,إنما هي الاحترام , احترام الحياة والوجود, احترام الإنسانية والإنسان, احترام الطبيعة, واحترام الحيوان والطير والنبات والحجر ....... إذا, إن الاحترام ينبوع الحضارة )
إن الأدب ينبوع الاحترام, إذا ما كان ينبوع الحضـارة. فكلمة " بيتيّ "أي "من فضلك "حسب رؤيتي في ألمانيا الديمقراطية عام ١٩٧٢ هي الأولى والسابقة لكل كلام بين اثنين بغض النظر عن جميع الفوارق بينهما.
إن الذي أرسله الغرب إلى شعوب العالم الثالث, هو نفايات ذرية, وسموم تقتل فيها أصالة تلك الشعوب وأخلاقيتها, إذا ما خرج ذلك الجيل الجديد من دائرة أسرته الأخلاقية, بعد أن وصلت حضـارة غريبة عنه إلى غرفة نومه, وبعد فشل الجيل القديم من تقديم الرسالة التي تقنعه أنها الأفضل والأغنى, حيث تمرّد وكان تمرده سلبياً نظراً لحصول حلقة فارغة عجز الأهل عن ملئها بما ينسجم مع تطلعات الجيل الجديد الذي راح يغرّد خارج المألوف عنوة, في حين أن القادم من

وراء الحدود يغذي فيه ثقافة الغرب التي عملت على ضياع الأجيال, لا بل ضياع الإنسان .

إن المجتمع الشرقي بآدابه الشرقية وأخلاقه وسماته ومثله قد أصبح في الخلف لأنه عجز عن الارتقاء بتلك الأخلاقيات والسمات والمثل وترسيخها بالحكمة والوعي في حاضرة المجتمع حيث بقيت في لونها القديم الذي لم يتآلف مع عصر كان قد فرض أخلاقيات غريبة على تلك الشعوب,إنما استهوت رغبة من يجهل قيمة أصالته الشرقية , ومن لا يعرف أبعاد ما يجهله.

## أدبُ الجمال الأصيل وَطعام الشياطين

" أما آن لك أن تتطهري مما حولك لتصبحي في أعلى عليين ما بين مساقط النجوم"
أمحوتب

يقول المعلم: " أن الآداب والفنون كانت ملهاة لعب الآلهة فلا تجعلوا منها أغراضاً للإلهاء في المعنى السقراطي والباسكالي القديم,أو مصدر للتهديم ولإشاعة الانحلال, أو طعاماً لبعض الشياطين.

ويتابع قائلاً: الأدب الحقيقي هو الذي يرتقي بالنفس, يرفع ولا ينزل, يصون ولا يهدم, يبعث السعادة لأنه يبعث الجمال الأصيل في النفوس حيّاً, وإذا لم يكن الجميل فينا وجهاً لطبيعتنا الحقيقية, فكيف نستطيع أن نتذوق الجمال؟.... والجمال بحدّ ذاته معراج, لا هوة تحوّل و توقف أو انزلاق.

و يقول: الأدب والفن هو تعبير عن هذا الانسجام الرفيع بين العقل والقلب, على ضوء وعي الحقيقة الأخيرة المطلقة,أو هو على الأقل تعبير لانعكاس هذه الحقيقة الأخيرة في الحقائق الجزئية والتفصيلية التي تبرز في نطاق الدين والدنيا والسياسة والوطن والتاريخ والحضارة والحياة بشكل عام...

ويقول: الأدب والفن مسـلك للارتقاء ولترقية الآخرين, وليس هو بضـاعة ينتجها أصحابها في قصد الوصف والإثارة...

ويقول:الفن يتعدى في الواقع الجمال ذاته, ليعكس ما أمكن صـورة تجلّي الحقيقة فينا وحولنا... وهذا التجلّي يكون في النفوس مصدراً وباعثاً للجمال, لشعور الجمال الذي هو بدوره صورة لطيفة لا أكثر لهذا التجلي" ص ١٤

إن الفن هو قيمة جمالية للحركة,والأدب إنما هو قيمة معنوية لكل حركة ارتقاء في إنسـانية الإنسـان,حيث هي حركة نحو الوقار الإنسـاني, إذا ما كان الوعي هو القائد الحكيم لتلك الحركة.

فكل ما يتكشـف من جمال الروح الكلي يتوّج الوجود بتاج الجمال القدسـي ليصبح الوجود هو عرش الجمال الحقيقي المتجلي بوعي ذاته فينا.

إن كل لحظة نرقى بها نحو جمال وجودنا, نحوماهيتنا المتناغمة مع ترانيم الأزل تجعل منّـا وفينا مواقع توق واشتياق إليها,إذا ما كانت هي في ذاتها توق واشتياق إلى جمالها القدسي, إنما هي تترنم في غبطة ذاتها على تناغم ذاك الجمال.

فالكل على قيثارة الوجود يترنم,إذا ما عزف الوعي لحن الخلود على تلك القيثارة التي هي نبع للفن, ووتر للحقيقة , ونغم للحياة الأزل.

## العمل والفن

يقول جنبلاط :" بدأ العمل البشري ..متماهياً ومتوحداً مع الفن ذاته,الفن الذي كان بدوره حركة سحرية دينية بالمعنى الكوني القديم للكلمة, مع هذه الملاحظة بأن الفصل لم يتم إلا في وقت متأخر جداً, بين ما اتفق على تسميته فيما بعد تسمية عشوائية , المادة والروح, المادي والروحاني.

وعليه, فإن العمل البشري يعتبر حركة من حركات النفس البشرية, في كليتها, ولونا من ألوان التكرار الواعي والطقوسي لما يدور حولنا في العالم, حيث

أن الخلق مظهر يتحقق في الحاضر الدائم, ولكن في صمت التغشية وكما لو كان في لاوعي العالم.

ثم يقول جنبلاط:"في يوم ما- قد يبدو قريباً جداً- ســتذوب بدورها التفرقة بين المادة والروح, وهي التي نتجت لاحقاً عن ثنائية خاطئة دينية وسياسية, في منظور أكثر وعياً بالطبع,أو أكثر إدراكاً واعياً إذا أردنا في نور التحقق الفعلي للكائن في ذاتنا". ص ٣٦

إذا ما أردنا فصــل النفس عن الروح, نكون قد جزأنا ما هو غير قابل للتجزئة,وإذا ما قلنا إن النفس أي الروح تتحرك, نكون قد وقعنا في معضــلة وهي علمنا أن الجوهر ينبســط ولا يتحرك,والروح جوهر يحرك ولا يتحرك كما أن كل شــيء بالنسبة إلى العمل يتجدد ولا يتكرر," فكل آت جديد". وقد ذكرنا سابقاً بأن المادة حين تنعتق من قيود الفكر تصبح حركتها إرادية ثم تتكيف بخواصها حسب إرادة مُرادة من مريد ما,إنما تصبح حرة أبداً, وهي مادة مستقلة في ذاتها المادية, ومحققة غاية مرادة, حيث إن ســريّ يكســتوار دخل غرفة يوجانندا شــعلة نور ثم تجسد في جسد سري يكستوار الذي يعرفه يوجانندا .

إن إلغاء الثنائية لا بد أن يكون في إلغاء الاختلاف, فحين تصــبح المادة حرة؛ فقد تصبح جديرة في حركتها السرمدية من أجل تحقيق غاية المُراد الجوهرية.

يقول المعلم:" أحب في هذا المجال أن أشــدد وأعتمد هذه العبارة الرائعة لتيلار دو شاردان , بانتظار ما يأتي وباستشفاف آفاق المستقبل:

"لا يوجد بالملموس لا مادة ولا روح,ولكن يوجد فقط مادة تصــير روحاً, ليس في العالم لا روح ولا مادة, فقماشة الكون هي الروح- المادة فلا جوهر غير هذا يمكنه تكوين الجزئية الإنسانية". ص ٣٧

إذا ما كان الجوهر محض صفاء, والمادة تزول في شكلها الحالي مع زوال الفكر, والعالم صورة متصورة بقلم متصور في ذات الصورة,والحركة في ذاتها سرمدية لأنها حركة غائية, والإنســان غاية الوجود المتصــور من خلال حركة إرادية لهذا الوجود السرمدي. إذن يصبح التوحيد هو الغاية, ونعني بالتوحيد فقط " زوال

الاختلاف " أي وحدة الصـــورة – وحدة الوجود-وحدة الغاية- وحدة العقل- وحدة الدين – وحدة الإنسانية المتحققة بالوعي في نعيم خلودها.

هنا نرى أن شيئاً واحداً فقط قد زال من هذه المعادلة هو" الاختلاف,هو الفكر".

" المادة – الصورة " ، " الصورة – الهيولى " ، " الثبات – الحركة"، "المادة– الروح" "اللطيف– الكثيف" ، "الجوهر–العرض" ، "الحجـاب – المحجوب"، "الظاهر- الكينونة"،"الطبيعة – ما وراء الطبيعة"، "النفس– الجسد".

هي ثنـائيـة مبـاركـة توحـدت بفعـل شـــوق الهيولى إلى إثبـات وجودهـا فـاتحـدت بالصورة,وشوق الصورة إلى ثبات جوهرها فاتحدت بالهيولى. لا جزئية في جوهر بسيط لا يتجزأ, لأن الجسد الإنساني هو حجاب الجوهر الذي يحتوي كل شيء في الوجود حتى خلايا الإنســان, مما جعل المادة ســرمدية الوجود حين تكون حرة من قيد الفكر وتتكيف بخواصها حسب إرادة مُرادة .

يقول المعلم: "لقد قال هايزنبرغ هذا أيضاً.إن وحدة الكون,"بيضة الذهب" الأولى للمادة والروح, كما كان يدعوها بعض أوبانيشـــاد الفيدا, قد انكســـرت, بالنســـبة للأوروبي, نتيجة الفكر الديكارتي وبنظرية الحيوان الآلة. فالفكرانية المحضـــة قد ارتكبت هذه الخطيئة, هذه الفكرانية التي ولدت الآلة والحضــارة الصــناعية الأولى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر".ص ٣٨

لقد كان الفكر الأوروبي تجسـيداً لمادية الحياة, وتطويراً للاقتصـاد العالمي وجعل الإنسان وسيلة دنيّة من أجل خلق الطبقة الرأسمالية التي سيطرت على العالم .

لا يوجد الفكر المحض, لأن كلمة "محض" تدل على الجوهر فقط , كأن نقول: " الصفاء المحض" الدالة على الجوهر المحض وهو الله جل جلاله, ونقول: " صـفاء محض " لندل على العقل. وإذا ما قلنا فكر خالص,أي فكر فان, لأن الفكر لا يمكن أن يوجد إلا بالفكرة القائمة والتي لا توجد إلا بالمادة القابلة.

هم عباقرة الفلسفة الأوروبية,الذين كانوا دعاة أوفياء من أجل بناء الطبقة الرأســمالية والامبريالية الاحتكارية في العالم, فعملوا على تأليه الفكر الذي أرســى دعائمه بيكون وديكارت وهيجل وغيرهم من فلاسفة أوروبا ٠

يقول المعلم: "إن التماهي مع شـــيء ليس ذاتنا الحقيقية كان دائماً في أســـاس أي خطيئة , أو في أساس أي شعور بالذنب.
فعلى سبيل الاختصار : هناك ثلاث مراحل:
المرحلة الأولى هي مرحلة تجسد الفن في العمل – فالتوراة لم تفهم شيئاً من هذا – إنها مرحلة الحركة التي لم تنفصـــل بعد عن النفس, عن الشـــجرة التي هي ثمرة لها.
المرحلة الثانية هي مرحلة الانفصال والمقابلة .. فالشجرة المنتجة لم تعد الإنسان بشـــكل مباشـــر,ولكن الآلة التي يراقب الإنســـان ســـيرها بكل بســـاطة. ومع ذلك فالإنسان هو الذي ابتكر هذه الآلة.
والمرحلة الثالثة التي نستتشـفها من خلال اضـطراب العالم الحديث, هي العودة إلى شـــكل جديد من الوحدة بين الفن والعمل, زواج معين, العودة إلى مفهوم الكل, الكوني, الإنساني.
فالكوني,بعد الآن,هو الطريق الوحيد نحو الإنســـاني, كما كان الأمر دائماً في الواقع. تذكروا الأصـــداء الكونية للحكمة القديمة, والصـــوت الصـــادق لأنبيائكم وحكمائكم وحتى لعلمائكم". ص ٤١
المعلم يقول الحقيقة,إذا ما كان التماهي مع الفكر الذي ينفي ما عداه,وهو ليس ذاتنا التي كانت حرة قبل التماهي مع الفكر, فالحرية تتعدى القيود التي أثقل بها الفكر كاهل الإنســـان.وهو الذي قادنا إلى الخطيئة ورمى بالفعل على النفس وهي جوهرة مكنونة من روح الله معتوقة في ذلك الجسد المظلم لا أحداً يذكرها ولا أحداً يراها , إنما الكل يرمي بالذنب عليها , وهي من روح الله, وروح الله بريئة من أي ذنب.
ويقول المعلم عن تجسد الفن بالعمل. في الحق أن الفن في صـميم كل شـــيء, هو في صميم الحركة , فانظر الأفلاك والمجرات,وانظر وردة صغيرة أو ثمرة تخبرك أنها صناعة فنان عظيم.
لدى الفكر كل شـــيء من أجل المصـــلحة حتى الفن,إنما هو غرض يرمى في سوق النخاسة .

إن الفكر يتاجر بكل شــيء , عبر تاريخه الأســود, ولو لم يتاجر بكل شــيء كان عليه صــيانة المقدّس "فالقرآن يُحرق" صــيانة الإنســان " فالإنســان يُقتل" صــيانة الروح, فالروح تزهق. وكل هذا من أجل المصــــلحة التي هي المقدّس الوحيد عنده حتى يبدّع ما هو أكثر ذاتية له.

هو الفن الذي يتكشــف عن جمال الوجود– عن عظمته, يتكشــف بالوعي, حين يتناغم روح الفن مع روح الوجود– مع ماهيته – مع كليته ليصــــبح الكل نغماً واحداً يتناغم في ذاته – يتناغم مع ذاته.

أليس الإنســان في ذاته نغماً على قيثارة الوجود, إذا ما كان بالوعي صـدى لذاك النغم.

أليس الإنســــان جملـة أوتـار تحركهـا نســـمـة وعي, او نفحـة حـب,أو نغمـة شوق,أوكل هذا وذاك الذي يرتل آيات الأزل في عرش كل امرىء يعي الوجود نغم.

يجب أن نعي نغم الوجود,ثم نجسّد ذلك النغم, إذا ما أردنا غبطة الروح وبسطها.

إن في صـحوة الوجود توق الأشـياء جملة إلى ذاتها ، في صـمت وصـفاء، في شـوق إلى الوحدة – الوحدة التي تردد نغم ذاتها – على قيثارة الوجود، فيتناغم الكل في ذاته– على نغم ذاته- فالكل هو الوجود, والوجود هو الكل المتناغم على نغم ذاته.

إن في صحوة الوجود – توق الأشياء جملة إلى جمال الوحدة,إلى جمال الصمت والصـــفاء, إلى جمال الحقيقة التي ترقى إلى عرش الجمال القدســـي, حين يحققها الوعي.

والسؤال الكبير لدى حنبلاط : " هل ستدمر هذه الحضارة أم تنقذ؟ لأن الإنسان يحتاج بشكل أساسي إلى العفوية, عبر الفن وعبر الانفصال والفرح على شاكلة جده الإنسان – الرسام في الكهوف. هذا ما سوف نعرفه قريباً جداً".ص ٤٣

يجب أن يكون همّ الحضـارة الأول , هو الإنســان الذي يرقى بالحب إلى مواقع ملاك طاهر , ويسقط بالحرب إلى غابة الفكر الوحشية.

إن الطبيعة تنبّه وتحذرّ , والعيب هو جعلها عدوة الإنســـان , وقد تقوم لتثأر منه إذا لم يعقل ما يتصرف به هذا الفكر من عبِّر.

إن العفوية التي يطلبها جنبلاط قد أضحت في عالم الخيال, حتى الطبيعة نرى أنها قد أصبحت ثكلى بعد أن دمّر الفكر عفويتها من جراء هذا الصراع الغبي معها.

والفن الذي عبث به الفكر قد أصبح من جملة السلع المرمية في السوق, ولم يعد قيمة جمالية في حياة البشر.

إن القيم التي يطلبها جنبلاط , هي بحاجة ملحة إلى معلم يحمل علمه بتلك القيم, العلم الذي يفتقده البشر يوماً بعد يوم.

فلا عملية جراحية, تشفي الجسد البشري الذي فقد جوهره العقلي,إنما هو الشفاء من كل سقم في وعي البشر إلى سبل خلاصهم ، إلى صراط أمرهم, إلى تغيير الواقع القائم على المصلحة, إلى واقع يحقق واجب الحياة الحقيقية انسجاماً مع حركة الوجود السرمدية, إذا ما كان البشر هم جوهر الوجود وحركته فيهم ولأجلهم , حركة بسط وغبطة وهيام؛ واجدة في ذاتها لذة الحياة وسعادة الجميع.

إذا ما كنا نعمل في وسائل القتل المميتة,لا بد أن نكون نصنع الموت وليس الحياة, ونكون دعاة فناء, وليس دعاة بقاء,لأن الكارثة الحقيقية التي تهدد الإنسان هي أفكاره الضالة , وليس علمه ووعيه.

هنا يترجم عباراتنا جنبلاط المعلم تحت عنوان ( الفن والعمل) بقوله :" لماذا لا يهتم الفن أكثر من ذلك بالعمل ؟

فيجيب قائلاً: لأن عدداً من فنانينا لهم أدمغة محترقة من جراء ألف هرب نحو عالم اللاواقع المحض, أو أن مخيلاتهم تسكنها أعداد لا تحصى من الأوهام أو الطوباويات المختلفة..أو لأن الفنانين يستمرون,كما في الماضي,بالانتفاض ضد الآلة وضد المجتمع الصناعي الذي خلقته, ضد المدينة-الوحش, والحياة البرجوازية والدولة البيروقراطية,وذلك بدل الاندماج في المجتمع وتحمل المسؤولية التي يعاد تقييمها من جديد. أو لأن الفنانين – وهذا عذر آخر محتمل – يفتشون عن العفوية التي هي عمق وجوهر كل فن".ص ٤٣

نرى أن الأثمان التي دفعها الفكر من أجل تحييد الفن عن مساره الحقيقي, باهظة جداً,حيث أخرج الفن والفنان معاً إلى دائرة اللاواقع,وحيّد نوع الثراء إلى ثراء مادي جشع, وأبعده عن الثراء الحقيقي الذي به يصبح الفن رسالة تحمل القيمة الجمالية إلى الحياة بأسمى معانيها يثرى بها الوجود ثراءً حقيقياً.

فالنغم, إنما هو نغم الوجود وعلى قيثارته الصافية تُعزف أنغام الأزل,تُعزف من أجل غبطة الروح الجوهر, لتهمس في الأعماق من الأعماق,وليست طبلة الصخب القاتلة لنغم الوجود.

في دقائق ثلاث يقبض الفنان " مايكل جاكسن " سبعة ملايين دولاراً أمريكياً ثمناً لدعاية فنية لإحدى المشروبات الروحية. فلماذا الغضب إذا ما كان يصنع العاصفة.

وسألتها بقولي: لماذا أنتِ عاصفة؟ فقالت: كالأديم العليل همست إلى الإنسان أن يسمع نغم الأديم, فكان مشغولاً عني وعنه, فدعدغت ذاته بنسمة الغروب بعد أن مزجتها بشوقي ومحبتي, لكنه كان يلهو في لعبة زهيدة, فرشقت كيانه في رياحي المعاتبة , لكنه كان يأكل بنهم فلم يسمع ولم يجب, فصفعته على جبينه برياحي الغاضبة,لكنه تجاهل حبي وعطفي وغضبي, فصرخت بكل أرجائه من كل أرجائي ... بعد أن صيرني بالكره عاصفة. فازدراني وقال لي: إنكِ عاصفة شرسة لا ترحم.

إن النغم الهانيء على شفاه الأوتار والذي يسري كالعبير من أجل أن يغبط الروح ويبسطها , وتلك الموسيقى الصاخبة لا بد أنها تفعل بالجسد – إذا ما كان عالم الروح هو الحرية الخالصة والصمت التام والصفاء المحض.

إن المدينة والمدنية والحضارة والتقنية, مطلب الوعي,فمن يعي هو هناك في تلك المواقع المهيبة حين تلتقي مهابة الحضارة بكل معانيها مع الوعي الذي يقودها إلى سعادة البشر.

كانت العفوية مســـلك الحياة قبل طغيان الفكر الذي اقتلعها من جذورها,إنما اليوم فلا بد من اغتســـال العالم من آثار ذلك الطغيان من أجل أن يولد بعد أجيال عديدة , من هم أبناء العفوية الخلاقة النظيفة من وباء الفكر.
وقد يسأل أحد عن هذا الإطراء للفكر؟ فنجيب بقولنا: إذا كانت مئات الأجيال قد عرفت أن الفكر مصـــالح ورغبات, وتعلمت بتلك المدرســـة, وتغذت من زاد ذلك الفكر ونهلت من مسـكراته , وحاربت من أجله... فهل بقي من موقع للعفوية في هذا العالم المحكوم باعتا أسلحة للفكر؟
جنبلاط على عتبة المستقبل حيث بدأ الغد فعلاً
ليقول: " في النهاية هناك واقع: إن أطرنا الاجتماعية والسياسية تتدهور وكل تقاليدنا يجري تحديها وتميل نحو التبدل أو الزوال.
مقاييسنا العقلية تتهاوى، فلم يبق سوانا لرؤيتها. لا أزال أذكر هذه الجملة للحكيم والتي تتعلق بالمستقبل والتي كانت السيدة غوديل ترددها لي:
إنها أفكار وآفاق ألقيها عفوياً أمام أعينكم، إنها مقلقة للذي يعرف قراءة علامات الزمن في الســماء المشـتعلة عند أفول عصــر يبدو أنه على وشــك أن يستبدل بعصر آخر.
" أن نرى ؛" كان يقول شاردان أيضاً , هذا هو الأهم". ص ٤٤
لكن جنبلاط كان قد ذهب إلى المستقبل وحيداً حين وجد العالم يغرق في أوهام التقليد والمصلحة والغرضية وصناعة الماضي البعيد, ذهب المعلم والعلم والتعليم شهداء,فصاروا شهوداً على غطرسة العصر الذي شابت الأيام من شراسته.
ذهب جنبلاط إلى المســتقبل,وراح العصــر يبحث عن وســيلة يمنع بها حركة الزمن, فلم يجد ســوى آلة الصـــراع العاتية في ميادين القتال وقد شــاخ العصر,وشاخ من هول موبقاته الزمن, شاخ العصر من كثرة لعنات الزمن.

# أفضل الشعر عند المعلم

حيث يقول: " الشعر, أفضل الشعر, هو الذي يلقي نوراً على كينونة الحياة, أي على الحقيقة وعلى الجمال. والجمال شعشعة الحقيقة ووجهها المختبيء فينا, وهي جوهر ذاتنا وسدى ولحمة طبيعتنا الأصيلة الأساسية.
والشــعر يتكوّن في هذا المرتقى ويتبلور في هذا المســتوى من الباطن الذي يعقل فيه الإنســـان بذور العواطف والأفكار,ويتحســس ببروز الأنا الفردية من حيث تولد الأفكار وتنبع العواطف – أي في نطاق الوعي المتحوّل الذي يقوم بين المعرفة المحض, أي عدم القدرة على العقل وعلى التعبير, وبين القدرة على عقل الصـــورة وتعبيرها – كأن الإنســـان يكون على الدوام في انخطاف يقظة , تحجبه تارة عن ترجمان اللســان وأداة الإخراج,وتدنيه تارة أخرى من التجسـد والحلول في الحرف الملحوظ... وهكذا دواليك إلى أن يتم القصد ويكتمل القصيد.فالشعر هو شعر الداخل الباطن,لا الخارج , والموسـيقى موسـيقى الجنان لا الأنغام المسـموعة والألحان ".
ص ٤٧

بلى, أن أفضل الشعر, هو المتصور من كينونة هي في ذاتها نور- نور الحياة, إذا ما كانت هي نبع النور- نبع الحياة, إذا ما كانت الغاية وعي النور– في مواقع النور- وعي الجمال– في مواقع الجمال– في رياض الحقيقة– المشــرقة بالوعي على مظهرية الوجود.

هي الحقيقة في تجلٍ مطلق لمن يعي الحقيقة, هي جوهر النور المشـــرق أبداً, يراه من يبصر النور.

إن بيننا وبين الحقيقة – حجاب الفكر- حجاب الجهل, ونحن نختبيء وراء ذلك الحجاب رهبة من الحقيقة. والأنا الفردية , إنما هي الحقيقة التي نعقلها بالوعي.

هناك, في مواقع الوعي , الكل يعي الكل من غير كلام , إذا ما كان الكلام وسيلة عبور فقط إلى البسط التام - إلى الصمت التام – إلى جمال الوجود الحق.

فالجميل الجميل هو المتصور لمن صار في مواقع التصور, لتكون الصورة هي الكلمة الأخيرة – حين تكون في غاية التصور. ...

يقول جنبلاط: " هذا النوع من الشـــعر اســتشـــفه وأدركه الحكماء وكبار المتصـــوفين والأبطال والأولياء وشـــعراء الروح الحقيقيون – فكان شـــعرهم ونثرهم- ومن ضمنه غزلهم الوجداني – هذه الروعة التي لا تبارى ولا تجارى.

والنوع الثاني من الشـعر هو الذي يتصـل بحياة الإنســان, فيحاول تصـويرها على أحق وأدق وأفضل ما يمكن.

فهو الشـــعر الذي يتعلق بالرغبات ويعلق بالأغراض,لا بالشـــخص المدرك وبالعقل العاقل الواجد للرغبات وللأغراض, أي بالشـــاهد المنزَّه المجرد عن المتى والأين.

وقد يحاول هذا الشعر أن يرتفع بالإنسان إلى نقطة ارتكازه ومحور وجوده,ولكنه في كل حال لا ينبعث ولا ينشـــقّ , متدرجاً متنزلاً, من هذا المرتكز الأرفع ومن هذا المحور إلى ما دون.

وفي معنى آخر فإن الشعراء على أصناف أو مراتب ثلاث:

منهم من يصـف الأغراض – أي الصـور الحسـية والعواطف والأفكار التي يقع عليها النور.

ومنهم من يصــف الأغراض وانعكاســات النور عليها, دونما أن يلتفت – وهذا شعر المتفوقين.

ومنهم من غاصـــت عيناه في لجَّة النور فغاب في النور وأضـــحت موســيقى النور سعادة ذاته, فإن صدف له وخرج من ذاك النطاق السحري المسحور قال ما قال, لا لكي يسمعه الناس – وهم ليسوا في سكرة الدنيا بموجودين – بل لكي يراقب حقيقة ما يشاهد. وهو أعظم الشعراء وأعظم البشر: فما همه إن صاغ شعراً أو

كتب نثراً, أو سكت جيلاً, فالشعر ملأ برديه وطفح جنانه. والشعر واللحن و روعة الشكل الجميل نغم من أنغام وجوده الممتلىء الفائض" ص ٤٨

هنا ينأى جنبلاط عن متاهات الفكر وينأى الفكر عنه خوفاً و رهبة , فقد تاه الشـــعر في جلال الدين الرومي حين تاه جلال الدين عن متاهات الفكر وتاه في الرومي جميع من تاه عنهم الفكر كشمس الدين والعطار وشكسبير وطاغور وجبران وغيرهم.

فمن ولجَّ البحر لا يخشى منه غرقاً, لا بل يغوص في الأعماق , فيصطاد حباً من أعماق البحر , ويعلم أن الحب في الأعماق,والأعماق هي البحر,لذا فمن الأعماق كتب جنبلاط , كتب عن الأعماق واتخذ من الأعماق مسـكناً , فصـار هو جنبلاط - مسكن الروح, وفي الروح هو. ٠٠٠

يقول جنبلاط: " بعضهم يستجدي الألم, ويمتع نفسه بالشقاء, لكي يصل, ولكن طريق الفرح هي أكمل وأجدى .. " كل شيء هو فرح , هو فرح " ذاتي الجوهرية, المشعة في الوجود الظاهر".ص ٥٠

إن الجوهر في ذاته غبطة سـعادة سـرمدية, هو يترنم على لحن الخلود, هو في ذاته ترنيم على وتر الأبدية؛ هو في ذاته الأبدية والخلود.

وقد ذهب المتصـوفون إلى حدادة النفس حتى وصـلوا إليها, وقد أشـرقت من وراء مطرقتهم الحديدية لتخبرهم بأنهم قد صـنعوا جسـوراً صـلبة إليها, إنما هي " فرح" قبل وبعد , وجهادهم هو في صناعة الطريق إليها.

يقول الكاتب: "وفي مقدمته لديوان "فرح",كتب المعلم كمال جنبلاط الكلمة التالية:

هذه لمحات من توجهات تعبدي وتطهيري في مســار العروج إليه جاءت كما هي دون رغبة أو طلب .. لست بشاعر, ولكنه الشعور, أحياناً, هو الذي يشعر..

وضعتها اليوم, ولا أدري لماذا, وقد تكون عوناً صغيراً– بنعمة المرشد والمعلم - لي ولطالبي العشق أمثالي في وهم موجوداته وفي خدعة لعبة Lia Divine .. ..

في بهاء الشموع

هذه الشموع, أزلها ؛
فالنور من ناره ينسكب
في بهاء الوجود,
في نعيم اليقظة ..
ألف فراشة
من فراشات عقلي
تحوم
تدور
حول نار المجوس ,
حول نار الحق.

***

لا تحجب عني,
في معراجك,
رؤية دموع الشمع ,
وهي تصطلي في جناب الرحمن ..
هي قطعة من صبا وجدي ,
من شآبيب بصيرة لروح
تبكي على ما مرّ من الأزمنة
وتعاقب الأدوار,
قبل أن يتسنى لها
أن تعود إليك,
لتحمى , وتجدد,
في زمزمة نار مجوس وجودك ,
في يقظة الكينونة المحض.

***

مولاي, دنياك هذه
هي من حلم نفسي
ومن حصيد أيامي ولبسي ,
أحرقني وإياها
في معراج براق قدسك
وأطفىء الشموع
فلا يرى أحد غيرك
في بهائك!.
حكايات النجوم

***

نمضي هكذا
ويمضي كل شأن
وضيوف الزمان عيون لها تنظر
ويمتطي جوادنا الغيم
ويحيط بدنيا الشموس ,
يلتهم الشعاع في جريه
نحو القرص الذهبي ,
مسكن الروح
بعد اعتمارها بالحق .

***

ها نحن جلسنا
إلى شاطىء بحر الحقيقة ,
نفرغ منه, في نفوسنا , أباريق الزلال من نوره,
فنرتوي من ضياء ذواتنا.

***

ثم ندنو من الجلال
فينفطر الجمال
في محاسن الربيع الإلهي الدائم
فوق أقمصة أجسادنا المشتعلة..
آه من النور,
كم تغفو عليه ألف حكاية للنجوم,
وكم أسطورة ,
للشموس الغاربة ,
تروي تطُّلع الأولياء الأبطال
إلى مرتقى العقل وعروج السراط,
ووحدة الوجود القدسي
في غيبة الوجود الظاهر في كانون الأول ١٩٦٦

فرح...لمن فاز...لمن نال...لمن عرف الفرح. لمن تعدى الحدود والقيود, لمن تعدى الزمان والمكان, إلى الدار والديار, إلى حدائق الفرح.

فرح... ليست كلمة , إذا ما كانت غاية الكلمات جميعها هو الفرح, وغاية المتكلمون جميعهم هي بسط كلامهم في هاتيك الرياض.

فقد زاد وزن الكلمة, حين تخطت الهدف إلى الغاية, وتعدت الشكل إلى الكينونة,وكانت كلمة المعلم,فصار الفرح منها,وصار الفرح إليها, فصارت هي في حدائق جناتها؛ حديقة الفرح.

فمن أهازيج الرعود , نقطف نغمة من حديقة الفرح : "
أي ساحر يلعب بالهواء , فيطويه ثم ينشره,
ثم ينثره,
ثم يحمّله الطارقات,
السابحات من بحاره, إلى جبال
أوتاد أثيره,

حيث يتساقط الهباء المنثور من جديد,
والسائل المسجور,
فتجري الأنهار مهرولة ,
في اشتياق العودة إلى البحار,
التي منها ارتفع هيامها للجولان في أثيره ,
وللتوّحد بالجبال البيضاء, المتحفزة حين انهماره ......... ص ٦٠

***

هي الرحلة, رحلة الكل, فالكل في سفر, سفر فيما بين العلة والغاية, إذا ما كانت العلة تنشد والغاية تنشد, والكل ينشد, والنشد واحد,والمنشود واحد.

هو قال غداً ؛ وأي غدٍ يقصـــد, في حين راح غدنا يســـأل عنا, فلم يجد منا أحداً, هذا حين كنا تحت ظلال الفكر نســتريح .. من عناء الفكر.. بلى كنا في غفلة , وكان الفكر غفلتنا .. حتى ضاع المسير.. وضاع المصير .. ولم يبق فينا .. سوى الغفلة.

هذا حين قال .. غداً : "
غداً , ستمر الرياح الهوج
في بيتي
وتهدم الأثقال من فوق كتفي ...
غداً ستسير الخيول الحمر
في الربوع
ويرتوي الباشق من دم العصفور
في ثورة الأحرار .

***

آه لسكر خمر الشباب
وعثرة الخيول
في مراكب البطولة !
أه للزمهرير

يطوي الأسارير
في عتمة رؤية العشاق,
وانبلاج شهود العروس الأزلية
في مسابح الآلهة.  "                    ص ٧١

***

قال السيد المسيح غداً . قالها ساعة التتويج , يوم اعتلى عرشه فَرِحاً بتهديم دولة إسرائيل, يوم قال القيافة في السندهندريم : إن هذا الرجل سوف يقضي على دولة إسرائيل, يوم اكتملت الرسالة ممهورة في خاتمه الأبيض, لون الحب والسلام .

لكن المعلم,الذي عاش أجيالاً بعيدة,عاش أكثر من السيد المسيح بعشرات المرات حتى أصبحت الرسالة ممهورة في خاتم الحب والسلام, إنما باللون الأحمر.وقد عجبت من ذلك الفكر, كيف تجاهل مسيحاً ثلاث سنوات ونيف يقول الحقيقة ويعمل بها؟ وكيف تجاهل حكيماً وفيلسوفاً ومعلماً ستة عقود من الزمن يقول الحقيقة ويعمل بها؟

فقد راح المعلم يثرى بثراء الوجود الحق , راح يتعدى عالم باطل إلى عالم الحقيقة, حين كان من ينشدهم هناك في الأعالي ينشدون الفرح. ومن هناك. من مواقع الفرح يخبرنا المعلم في لغة الفرح فيقول :

فها نحن , في كل حين,
نمشي فوق السحاب ,
ونتسلق الشعاع الفضي,
إلى موطن القمر..
هذا الخلاص الأبدي
جاء به سيد الخلاص
يوم استضاف عقلنا نوره,
ورفع محبتنا إلى مستوى نعمته".
نتسَّلقُ الشعَاع .. ص ٦٦

في معراج هرمس, في هرم سقارة يسألنا أمحتوب فيقول: هل نسيتم أخناتون؟ ومن آفاق الهرم الكبير ينادينا " الإله – رع " ينادينا إلى حكمة الحياة والوجود.

ومن على متن الآفاق تلك يخبرنا المعلم عن جملة الأشـياء والأزمان, يخبرنا في عبارات هائمة كهيام الوجود فيقول:"

منذ البدء ,
وفي صورة هرمس
ذي الشعب الثلاث ,
شاهدنا ثالوث الوجود
يتجَّلى في الخلق الظاهر,
يعلن وحدة كل شيء,
قبل أن تتجمد الأقانيم
في تشخيص الآلهة,
فتفقد معناها الفرعوني الأصيل,
وقبل أن يلبس الألوهة,
رداء " ابن الإنسان ".

***

هرمس الهرامسة,
أموحتيب العظيم,
بالمعرفة والعلم,
داس سماوات الأفلاك
" قدماً قدماً"
أعظم الأطباء ,
أروع المهندسين,
شفيع الكتاب,
سدرة الحكماء,

وقدوة الحاكمين,
جاء بالتوحيد ,
فروت له
الصحف السرية
في اليونان,
وفي النصرانية وفي الإسلام,
ما لم تنقله عن أحد مثله:
هو أدريس زمانه .

***

" الكون كله وحدة حيّة ,
والإنسان الفارد قطرة من الدم
تسيل في عروق الكينونة ,
في حضن هذه الوحدة ( الكونية )
يستقوي الساحر بسلطته:
صرخته – إن كانت – هي صرخة الصواب
تكفي ليهتز الجسم الكوني ,
لأن في الوحدة
كل عنصر يتداخل".
" إن المبدع , جل أسمه ,
كالناطق الفائض بما عنده
من المعاني والجواهر ".
وإنما الموت رحلة
وتبدّل من حال إلى حال ,
فلا ينعدم
في الوجود شيء,

والموت وحده انعدم .
" ايه أيها الميت,
إنك تستيقظ ,
أنظر وراءك
فإن الأرض تضيء
والأفق ينير,
والموت هو
بدون شك
غير موجود. " ص ١٠٣

إن الكون كله في ذاته وحدة,وحدة تتجلى بعد رفع غطاء الفكر,والإنسان في جوهره إنما هو روح تلك الوحدة,إذا ما كانت هي هو وهو في كونه حجاب كثيف لجوهر تلك الوحدة.

إذن هو الحجاب المادي, للماهية الكلية, الماهية الواجدة في شـــوقها وهيامها تحقيق لغائية الحياة والوجود من خلال الجسـد الإنسـاني الشـريف. إذا ما كان في ذاته شُعاع نور الجوهر الكل.

فالمريد هنا يتأمل بنور شُـــعاع يحتوي الوجود, فيرى أنه هو ذات النور, إذا ما رُفع الغطاء , وتوّحد الناظر والمنظور, كما كانت متوحدة العلة والغاية في نظر المتأمل بعين النور إلى البداية.

إن الفكر قد جسّد الموت,فأصبح الجسد هو كيان الفكر الذي يموت في كل لحظة, وفي كل لحظة,يبكي عليه وينتحب,حتى أصـــبح ينام كل يوم على عزاء جديد, ويصبح كل يوم على عزاء جديد,على خوف جديد, على ألم جديد, تحت غطاء جديد يحجب عنه ماهيته, وماهية الوجود.

مع هرمس يتناغم المعلم , والنغم هو مع نشيد النفس وهي في معراجها على سّلم الأبدية بين صعود وهبوط . فيقول المعلم بلسان هرمس :

" يا نفس , حتى متى وإلى متى

أنت في عالم الكون تطوفين
واردة وصادرة,
ذاهبة وراجعة ,
تتخذين القرناء والخلان!" ...... ص ١١٤

لماذا أيتها النفس؟ ما دمت تنشدين غاية, وغايتك هي ذاتك في النهاية, إذن, ماذا أنت تنشدين, إذا ما كان نشدك منك , ونشدك هو أنت؟

أنا سألتها كما يسأل الخلق أنفسهم , فمن الخلق كنت قد جمعت سؤالي . لكن النفس راحت تعاتبني في لسان الوعي الخالص – راحت تقول من أعماقي بصمت وصفاء :

" أنا نور من جوهر النور, أنا روح من جوهر الروح , أنا بسط وصفاء لأنني من جوهر العقل, أنا براء من الخطيئة , فليس لي وزراً , ولا أحمل وزر. فإذا أردت أن تراني أيها الإنسان؛ فاغتسل من أوزارك أولاً,وسوف تجدني وتعلم إنني أنت " أنت إنسان الحقيقة الذي كنت تعرفني من البداية, فجهلك أيها الإنسان هو الذي أبعدك عني" .

" أنا لست من ربيعة          ولا من مُرهْ وعلقم
أنا من روح وديعة          بثها المولى وأنعم.

هما كينونة وكيان, كينونة من كينونة الوجود الجوهر, هي في ثبات مطلق, وكيان مادي يحركه الفكر إلى حيث يشاء الفكر خارجاً إلى الأغراض.

إذن,ما هي علاقة الكينونة الجوهرية في تلك الحركة المتحركة عنها حركة مادية إلى الأغراض, إذا ما أصبحت الحركة حركة شوق متبادل بين المادة والفكر من أجل مصالح مشتركة بينهما , حيث تبقى الكينونة " الشاهد الثابت على تلك الحركة ".

إن الجوهر يحرك الوجود حركة إرادية,يعيها من يرقى بالوعي إلى مواقع الغائية, حيث يصبح من صميم الجوهر المحرّك.

لنأخذ هذه العبارات عن هرمس الهرامسة عليه السلام وبقلم المعلم:" يا نفس ,
أنت طاهرة
بسيطة لطيفة,
منيرة بذاتك,
فما لي أراك تفرحين
كلما لبست ثوباً جديداً كثيفاً " ٠٠٠٠٠ ص ١١٩
يا نفس أنت طاهرة. إن الطهارة جوهرية لا تقبل التلوث. " بسيطة ". إن البساطة لا تقبل التكثر, فالتكثر يقبل الخطيئة. " لطيفة , منيرة بذاتك " اللطافة للجوهر والجوهر هو المنير بذاته لذاته وللوجود, ومن يعي تلك الإنارة لا يخطيء إذا ما أصبح بالوعي من صميم الجوهر الواحد ,ولا يمكن للجوهر إلاَّ أن يكون واحد.
فالنفس قبلت بفعل الشوق أن تتحد بهذا الثوب من أجل ثبات جوهرها, ولا من غرض لها, والثوب قبل بفعل الشوق أن يتحد بالنفس من أجل إثبات وجوده من خلال فعل النفس إرادياً,وليس خدمة للأغراض.لكن الفكر كان قد استطاع على تحييد الثوب عن حريته وعن حرية الحياة في الوجود.
وفي موقع آخر يقول هرمس بقلم المعلم :
يا نفس , أما عرفت
أن المقتول بالجمال ,
لا يحييه إلا ذلك الجمال ,
ومن أعماه النور
فلا يبصر إلا بذلك النور , ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ص ١٢١
بلى , إن الجمال الحقيقي – يفني ما عداه من جمال , إذا ما كان الجمال الحقيقي هو نور الحقيقة المتجلي لناظرة من يبصر النور الحقيقي.
غداً يُحكم عليك , ولدينا وسيلة من أجل خلاصك من الموت ..... أجاب سقراط فيما معناه : إنني ذاهب إلى قوم خير من هؤلاء القوم .... ليقول المعلم جنبلاط :

أموت , ولا أموت , فلا أبالي          فهذا العمر من نسج الخيال
هي الأيام تجري في دمانـــــا          أم الحق المكوِّن ألف حال
٢٥ تشرين أول ١٩٧٢- ص ١٢٥

أنت وأنا كنـّـا من الأزل – ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية. إذا ما عدنا إلى قوله تعالى " لا تبديل لخلق الله ". سورة الروم آية ٣٠ إنما هو الفكر الذي رغب لنا ذلك الشقاء الذي نعيشه , فقادنا مكرهين إلى غابته الموحشة.

إن الفكر لا يثبت وجوداً, لا بل هو الفعل الذي يثبت الوجود إثباتاً جوهرياً , إذا ما كان رائده العقل , فالثبات هو الجوهري , إذا ما كان الجوهر ينبسط ولا يتحرك.

فلم يمت هرمس, ولا بوذا, ولا سقراط, ولا المعلم جنبلاط . إنهم أحياء في ضمير الحياة – في ضمير الأبدية, هم يولدون مع كل نسمة وعي – مع كل نطقة حب. هم يولدون كل يوم من جديد هذا حين نحدق الأبصار فيما قالوا, وفيما كتبوا , وفيما عملوا. أنا لم أكن يوماً مع هتلر وموسـيليني وهولاكو, إذا ما كان سـقراط وغاندي وجنبلاط في صدر مكتبتي وفي صدر كتابي , ومنهم صارت كلمتي , حيث لم أعد حرفاً غارقاً في أحلام ذاته , حين حقق توقه واشـتياقه في أن يكون من روح كلمة هي –ُ هُمْ، وهذا العمر إنما هو من أجل إثبات الدوام , وكمال الجوهر, وإثبات الأبدية إذا ما كنـّــا من الأزل,إلى الأبدية. لأن الإنســان صـانع الحياة, وصـانع التاريخ,وصانع الأبدية من خلال أجيال وأجيال وهو هو تلك الوديعة البديعة من المبدع الحكيم إلى وجود أبدي, هو الإنســان, هو الوجود إذا ما كان في رحلته المباركة من لدن عزيز حكيم.

لماذا الصوفية في شعري؟ ويجيب المعلم على سؤاله فيقول :

" إن أكثر الناس يحبون الألم لأنهم يتلذذون به ". أجيب المعلم في عبارة : " هذا ما افتقدنا به الفكر من لذة ".

ونتابع قول المعلم : بينما أنا أرى أن الفرح هو أقرب للوصـــول إلى الحقيقة من العلم. فكما يفكر الإنسان هكذا يصبح. فإذا ما تأمل في نفسه,فحينها يكون

منفصــلاً, في آن معاً, في مشــاعره وأفكاره. فنحن " الشــاهد " لا أكثر على الأفكار, على العواطف, على الأفعال. وعليه,فنحن دائماً في تأمل. وقد قال السـيد المسـيح: " لا تعلم يدك اليسرى ما فعلته اليمنى "وهذا يعني بأن " الشاهد " فينا غير "الفاعل " : " الشــاهد " هو غير المتمتع,هو غير المفكر,غير الشــاعر (من الشــعور) فعندما نصل إلى هذه الحقيقة فإننا نتحرر نهائياً بحيث لا يمكن لأي شيء خارجي أن يؤثر فينا, ولا بالتالي, أن يجرنا شيء داخلي ( كالعواطف وغيرها ) فنصبح آنذاك أسياد أنفسنا".

نرى أن الفرح " مطلب الحياة " وقد شــرب كأســه شــعوب الأرض كلها ثم راحوا يتلذذون بالألم, لأن ذلك الكأس كان من خابية الفكر, وليس من خابية الأزل.

المعلم هو هيجل , وهو ديكارت , وجميعهم وعي , والوعي عقل سواء علموا أم لم يعلموا.

إن الوعي هو الفرح , والفرح هو الوعي, والفرح والوعي هما عقل, وجميعهم " فرح " – جنبلاط " فرح " لأن جنبلاط وعي . لأن الوعي " عقل " لأن جنبلاط قد تعدى المصالح والأغراض جميعها , والمصالح والأغراض , إنما هي فكر .

إذن لا بد من القول أن جنبلاط قد تعدى الفكر , إذا ما كان في مواقع الوعي, وفي مواقع الوعي لا يوجد فكرة ولا فكر , بل يوجد صـفاء وحب وبسـط وسـلام, في مواقع الوعي ينعم جنبلاط سواء علم أم لم يعلم.

إن التفكير خاضــع إلى نمط المعيشــة وأشــياء أخرى خاضــعة, لكن الوعي يتعدى الخضــوع إلى الســيادة,الوعي يتعدى جميع القيود التي أنهكت كاهل البشــر حيث راحوا يتلذذون بالألم.

جنبلاط يتأمل , لكن البشـــر لا تتأمل إذا ما كانت خاضـــعة , حيث إن التأمل عقلي خالص لمن تحرر ولو برهة من قيود الفكر.

جنبلاط شــاهد على حركة الفكر, لأنه حرّر عنقه من تبعة ذلك الفكر فأصــبح الشاهد على أهل المدينة وهم في رواحهم ومراحهم, شاهد عليهم من قمة

الجبل من ذاك العلو , شاهد على حركة هو غني عنها لكنه كان من موقعه يتألم.

نعم قد " نصـــبح أســياداً حين لا يمكن لأي شــيء خارجي أن يؤثر فينا" ولا يمكنناأن نصـــبح ســادة إلا بعد التحرر من كل فكرة وفكر, ومن شــريعة العبودية القائمة فعلاً على شريعة الغاب .

إن الفكر ينفعل,وكل ما هو قابل للانفعال هو مادة خاضعة لذلك الانفعال, بينما الجوهر يفعل ولا ينفعل إذا ما كان هو السيادة الحقيقية نظراً إلى كماله.

الشعر بين القافية والتحرر هذا حسب جنبلاط الذي يقول:

" الشـــعر هو تعبير عن الموســيقى الداخلية عندما يحدث الاتزان الكامل بين العقل والقلب. ومصــــدر الشـــعر ليس القلب, لأن القلب أعمى إذا ترك لأهوائه ونزعاته. كما أن العقل ليس مصدراً للشعر,لأن العقل يابس جاف إذا ترك على هواه. إنما يأتي الشــعر من توازن بين ضــدّين لكن هذين الضــدّين يتحدّران عن مصدر واحد, وهو الوعي فينا" .

ويقول المعلم : " كل شيء صنع من نور ", كما قال السيد المسيح, بل كما قالت كل الأديان السماوية. فعندما نتأكد من هذه الحقيقة,وحينما يكون مقامنا في هذا النور, أي فيما يتعدى أزواج الأضـداد,يبرز الشـعر. فالشـعر هو بداهة. وأكثر الشـعراء هم في النهــايــة حكمــاء,كونهم تحرروا من جميع القيود وظروف الفكر والمكــان والزمان,فكان التجلي في الفكر, في نشاطات الفكر". ص ١٣٠

إن الشــعر " كلمة " تصــوغها " ســبل عدة منها العاطفة, وهي الغالبة والعائدة إلى بيت العواطف وهو القلب , ومنها الغائية التي تردد نغم الروح حين لا توجد فكرة تشغل الكيان عن الروح.

حين يتجلى نور الوعي يبسط كل من يعي أن الوجود نغم – على وقعه تنطق الأوتار بالألحان, وتصدح الروح من مكنونها بأناشيد الفرح .

فالعقل إنما هو المحرك الحقيقي لمعزوفة الوجود,وهو غبطة الروح والوتر والنغم إذا ما كان الكل حركة يحركها العقل حتى تصـــبح نغماً يبســـط الوجود-إذا ما كان العقل هو بسط الوجود – إذا ما كان الوجود هو بسط العقل في وجود.

جميل ما يراه المعلم , لأن النور يلغي ظلمة الفكر, النور يفني الأضداد, إذا ما كان نور العقل, لأن الأضداد من صناعة الفكر , وهي خاضعة للانفعال , وكل ما هو خاضع للانفعال يقع تحت قيد الضدية التي كانت ولم تزل حجاب الفكر الذي يحجب نور العقل عن المادة حتى تبقى خاضعة إلى هيمنته الدنية .

إن الشـعر الذي يترجم الشـعور قد تعداه جنبلاط الذي يتصـور بكلمة من نور, هو تعدى الحرف من أجل أن يصـبح الحرف من روح الكلمة – من أجل أن تصـبح الكلمة من روح جنبلاط – من أجل أن تصـــبح روح جنبلاط كلمة متصـــورة – متصورة من نور- وهذا ما يتعدى الفكر- ما يتعدى الحرف– ما يتعدى الشعر– إلى كلمة من نور.

الحب في شـــعري , يقول جنبلاط،الحب لا يتجزأ في الإنســـان, إذ أنه كالينبوع الذي ينقسـم ويسـيل في ذواتنا, وإنما عملنا نحن على تجزئته بواسـطة الكلمات ليس إلا. وحينما أتحدث عن الحب, فإني أتحدث عن الحب الحقيقي في ذات الإنســان وعن ظرف تجليه فينا. فلكل الكائنات مكانة في فكري وشـعوري. إذ أن كل شـــيء حيّ في النهـاية هو من الميول الإلهيـة حيث لا يوجد ازدواجيـة على الإطلاق.

وهنا أطرح الســؤال: كيف يمكن للإنســـان,إذاً,ألا يحب ذاته, ذاته الحقيقية" ص ١٣٠

حين علمـت أن الحـب وعي , أيقنـت أن من يحـب لا يكره ومن يكره لا يحـب. فالحب ليس خاضـــعاً إلى مادة العواطف تلك؛ إنما هو وعي لجوهر الحب, هو نغم يترنم على شـــذا ألحانه فؤاد الوجود. ونحن وإن كنا, فلا بد أن نكون جذوة الحب المبارك على مظهرية هذا الوجود. فعلى وتر الحب الصــامت الصــافي نسـمع لحن الخلود. فالصمت يُسمعنا نغماً بلا وتر, حين يترنم في ذاتنا النغم والوتر.

إن الحب لا يتجزأ والجوهر لا يتجزأ إذا ما كان الحب كالعبق الندي في الكون والكينونة والكيان , إذا ما كان هذا الكل من نســـج حرير الحب, إذا ما كان الكل هو الحب الحقيقي , إذا ما كان الحب الحقيقي هو وعي لجوهر الحب.

هنا تتوحد الذوات في ذاتها , فيتوحد الحب في ذاته,ويتوحد الكل في ذاته ويتعدى الأعماق والأبعاد واجداً في سبيل الحب – فيجد الحب – فيقول عنه الحب :

" في الزهرة, حيث تختبيء الألوهة ,
هنالك يقيم حبيبي.

***

آه ! " إن البحر
قد تدفق على قلبي !
وفي يوم واحد
عشتُ حياة ألف ربيع .
ويا صديقي ,
إني أتبيّن
فيك وجهي ,
وجه حبيبي.

***

تلك هي
أغنية حبي . "......... ص ١٣٢

هي الألوهة في تجلٍ سرمدي , ونحن من يختبىء عن ذاك التجلي وراء حجاب الفكر – وراء مساند أفعالنا – وراء جهالتنا. وزهرة المعلم البيضاء, تتجلى فيها إلهة الحب – تتجلى للمعلم – حيث عرف كنه الحب , وكنه الزهرة البيضاء.

هو الحبيب أبدي التجلي -في كل أين -في كل كلٍ-تراه فيما يتعدى المكان والزمان والحركة-إلى الصمت الجميل – حين تبصرك زهرة بنور الوعي –

لتهمس في لســان الوعي بنغم -يتردد صـــداه على أوتار وعيك – فيصـــدح نغماً واحداً – في كون واحد – هو الزهرة وأنت – شهود ذلك التناغم البديع .

هنا, أنت في هدأة – لا تتصــور في ريشـــة الزمن – إذا ما تصــورت في ريشـــة الأبدية – بعد أن صرت أنت وهي وهو نغم – من نغم الأبدية.

ويتسع عالم الوجود – مع اتساع موجات النغم – حين يهمس المعلم في سامعتها ويقول: "

غداً سيمرّ هذا الجسد
فلا يبقى منه أي أثر
حتى البعث
حتى النشور ,
كأشخاص الحلم
التي تختفي وتزول
في الفكر
الذي استيقظ
من أحلامه . ................... ص ١٣٣

مع اتســاع موجات النغم – وعلو صــداه , تذوب المشــاعر والأحلام والأوهام – في نار أوقدها الفكر – ويذوب الفكر – في نار كيانه – ويذوب كيانه - في صمت ذلك الاتســاع- تذوب كل أحلام الفكر – مع اتســاع موجات النغم – حتى لا يبقى فكرة ولا فكر – إنما يبقى النغم – إنما يبقى النغم ٠

يذهب كل شيء – ويبقى المعلم– يبقى العلم والمتعلم– يذوب الحرف في الكلمة – وتـذوب الكلمـة في النور فيبقى النور. ويبقى المعلم – إذا مـا كـان من ذات النور, يبقى كل من كان – من ذات النور – يبقى كل من كان من ذات النور.

فالبعث والنشـــور – والولادة الجديدة – هم جميعهم دســـتور الأبدية – إذا ما خطهم قلم الأزل – دستوراً للأبدية.

فأنت تحتوي الكل – والكل يحتوي الكل – والكل هو- أنت وهو وأنا – فنحن الكل – والكل هو – الواحد المتجلي – في الكل – من أجل الكل- والكل .... من أجله- بعد زوال الفكر – الكل من أجله.

[ لا تبديل لخلق الله ]

ونعود – حين يعود المعلم من الماضي البعيد البعيد - إلى غداً :

" غداً سيختفي الخيال
الذي رسمه
قلم العقل
في لوح الوعي
في لوح وعيه ,
تماماً
كما يضمحل الكون
كله في النور
الذي أبدعه,
أو كما ترقد الأمواج
في صفحة الماء
بعد هدأة الريح . ......................... ص ١٣٣

***

جنبلاط لم يغلق الباب خلفه – فتركه مشـــرعاً – ولم يلتفت إلى الوراء – لأنه علم أن الباب قد ذاب – في نور التجلي– في صــفاء النور– وصـــار جنبلاط – في عالم الغد – في عالم الفرح.

هو الخيال صـــوراً عقلية– تتوارد في التأمل – هي في ذاتها تخاطر- فيما بين الوعي والعقل – هي رسائل شوق – هي رسائل حب – هي رسائل فرح.

الكون يذوب في الكينونة– حين تتجلى– حين تتسع– حتى اللانهاية– هي الحرية – هي البسط والجمال – هي الغبطة والسعادة – هي الحاضر والغد – هي الفرح.
نورها ينبسط في الذات – يموج كالخيال – يتناغم في ذاته – وكأنه لحن الخلود – في ليلة عرس الوجود – في ليلة فرح.
بديع أن تناجي – الرب في ذاتك – وفي كل أين – وأن تقول بوحي من جنبلاط :
" مولاي , هذه النجوم
قد قُطِفت من عنقود بهجتك :
فهي الفراغ المضيء
في نور أبصارنا.
أعطني الناي
لكي أغني
فأموت في اللحن,
فيصدح بي آنذاك
البلبل العشق
لذاته الجوهرية
في ذاته . ٠٠٠٠٠٠٠٠ ص ١٣٤

***

مولاي, إن هذه النواقيس التي أشعلتها– بنار الوجد– إنما هي من مشكاة نورك – رفعتها في عالم بهجة أنوارك – هي منك تنادينا– لنرقى بالنظر إليك – علنا نرقى في ذات النور – إلى مواقع النور – إلى ذاتنا الحرة – إلى حيث أنت – البهجة والفرح . فنصبح من ذات النغم – من ذات اللحن البديع الصافي – من ذات الفرح ٠ هو تكلم في لسان الفرح– وإذا ما تكلم الفرح– بهمسة حب– فكأنه هو يتكلم – كأن الحب يتكلم– كأن الفرح يعزف أنشودته– على قيثارة الغروب– يعزف أنشودة الفرح.

لقد عرف جنبلاط معانات أمته , فأوجز محنتهم في سطور قليلة حيث قال:
أُمة العُرْب تقاســـي محنةً عبرّ الزمن فهي تزهو وتباهي, وهي تلهو بالفتن
قد غفا عنها الضمير وهي تشكو من أخ تزرع الدنيا كلاماً وهي تخنو للزمن
عَشَّش الكذب في القلـــوب رياءً وانطوى في الدين لِبْسٍ و............
ص ١٣٨

حين دخل المعلم حديقة العشق – وجد أنه كالعشق معشوقاً – وعرف أن الحديقة عاشقة, ومعشوقها قد تبين في جمال عشقه – كيف وهو العاشق المتيم بالجمال – كيف يصبح عاشقاً للجمال – ومعشوق الجمال , والجمال لا يعشق سوى ذاته ؟

ويترنم الجمال على نغم كريشنا المعلم – فيتعلم جنبلاط – ترانيم الجمال – من ينبوع الأبدية – ويترنم كريشـــنا على نغم الحبيب , ويترنم الحبيب على نغم تعزفه أوتار المعلم – كريشنا :

" كما تختبيء الألوهية في زهرة,
هكذا يقطن حبيبي في صدري.
وكما يسكن الرعد في الجبال ,
هكذا حبيبي هو في قلبي.
كصياح الطير في الغابة الساكنة ,
هكذا ملأني صوت حبيبي " .................. ص ١٤٤

***

يا حبيبي ,
أنت الخلاص ,
وأنت منتهى كل أمل
وأنت تتمم مشيئة الحب
أنت وأنا ,

قد تلاقينا ,
يا حبيبي ,
ألست أنت ذاتي ؟
ألست أنت أريج قلبي الفواح ؟ .................. ص ١٤٧

***

لا تخاف يا صـــديقي– فهو يحررك من الخوف – هو الحرية المحضـــة – هو الحقيقة التي أنت تقصدها – إذا ما كنت تقصد الحقيقة – فاذهب بها إليه – إذهب بها إليك – واخلع الأوزار عنك – لتغدو أنت الحقيقة– لتصبح ذاك الأريج الفواح – بعبق الحقيقة .

ويترنم كريشنا
" كالوادي العميق
الراقد في فيء الجبل
أستريح,
يا صديقي,
في ظل يد
حبيبي .

*** كوردة

تنمو حولها الأشواك
هكذا أنا قائم , يا صديقي ,
بين الأشياء التي تمُر وتزول " ...................... ص ١٥٠

***

هو الجهل أبقانا يا صـــديقي – وراء ظلام البعد– هو الخوف أمات قلوبنا يا صديقي- وحرمنا من نسمة حرة – نرشف عبيرها في حرية – حرمنا الجهل من الحب – من حبيب – يبسط فينا جنان الحب – وحنان الحبيب – حتى نصبح نحن

المعلم – ويصبح المعلم منّـــا يتكلم – ويصبح قائماً فينا– وتزول الأغراض من حولنا – ولا نزول كما تزول الأغراض – من حول كريشـــنا – فقد يصـــبح هو نحن – وقد نصبح نحن هو- وقد نصبح كلنا – هو .

غريب يبحث عن مســـتقر- عن موطن وعن وطن – والغريب هو كريشـــنا – غريب هو– كالعقل المفارق – فهل هو يشكو من الغربة؟ أم أنه هو الموطن – وهو الوطن؟

" أنا غريب
بين جميع الشعوب
وفي كل بلد من بلدان العالم ,
لكنني أشعر بين جمهرة المجهولين
عبق الياسمين .
هم يحيطون بي
ولكني لا أعرف الوحدة.

***

أبكي على هؤلاء المجهولين ,
كم هم موحدون!
يغمرهم الخوف ,
فيستصرخون
أناساً موحدين مثلهم في نفوسهم " .................................. ص ١٥١

***

غريب هو كريشـنا – في عالم غريب – غريب هو العقل – وغريب من يعقل – في عالم لا يعرف العقل– ولا يعقل– هو عالم العقلاء– عالم يعبد الأصـــنام – ويعاقب من لا يعبد الله – حســـب ناموســـه – غير المعلن – المســـنون فيما وراء الكواليس.

عالم يعبد حجارة الأرض– ولعاب الدود – وفي عمق أعماقه – مساجد وكنائس- لم يدخلها أحد– وأجراس تصرخ – ومآذن تصدح - لم يسمعها أحد.

كريشـــنا يصـــبح عَالماً في ذاته – عالم يتأمل ذاته – في وجود يعقل ذاته- حين حقق الموطن والوطن – حين حقق ذاته ... ليقول :

" لقد تحررت من الزمن
وأضحيت لا تشملني محدوديات المكان ,
فأصبحت شبيهاً بقطرة الندى
التي تنشأ منها البحار الواسعة

***

آه ! إن حشيشة اللوتس يملأ مجدها شمس الصباح الطالعة , وإني أفتح قلبي لك, يا حبيبي . " ...................... ص ١٥٥

كريشنا هو المكان – فالمكان هو كريشنا – والزمان هو كريشنا – وقطرة الماء الندية – أيضاً هي كريشنا .

إذن , هو الوجود حقاً – وهو الوجود صدقاً – يشهد على ناموس هذا الوجود – من الوجود الثابت الأبدي .

كريشنا هو رقة ولطافة – والحب رقة ولطافة – والجمال أيضاً هو- إذا ما كان الجمال – رقة ولطافة .... ليقول :

" كما ترتعش في ريح الصبا
ورقة الحور ,
كذلك يرقص قلبي ويخفق حباً لك .
كما تتلاقى السواقي المنحدرة من الجبال
في الصخب,
وفي الفرح ,
كذلك يا حبيبي تلاقينا

***

كما يمتزج الندى
بالعصارة التي تغذي الزهرة ,

كذلك أصبحنا أنا وأنت الآن واحداً . "                ص ١٥٥

***

فيما بين العلة والغاية نحن – ويفتقدنا النشــد – لأننا ســجناء الفاقة – التي لا تنشد سوى ذاتها.حين كان النشد ينشد كريشنا– حين كان كريشنا ينشد الغاية– والغاية تنشد ذاتها– في ذات النشد الذي وحّده الوعي-حيث أصبح الناشد والمنشود والغاية واحداً.

هي الطبيعة حركة – تملأ الأوداج وجداً- وعشــقاً وشــوقاً وحباً- وليس ســكوناً حسب ما يراه المعلم فيما يقول :

" كما تسكن أصوات الوادي في غسق المساء ,
هكذا أدخلت إلى نفسي السكون والسلام .
إن قلبي تملؤه
محبة ألف جيل
وعيوني تتطلع إليك " ........................... ص ١٥٦

***

إذا ما قام عرس الطبيعة– على مسرح المساء– فالكل في عرس الطبيعة ينشد- ينشد ما في ذاته من نشد – حتى الوجود ينشد ذاته – وكأن الحركة تلك – هي تناغم الوجود في ذاته ٠

فقد كان كريشنا في هدأة الليل – في هدأة ذاته – حين تحول كل شيء إلى ذاك التناغم الهانيء– في الطبيعة – وفي الذات– وفي الوجود. حيث أصــبح الكل- مشغولاً بذلك العرس . إنما هي حركة وليست سكون.

---

# قالوا في المعلم كمال جنبلاط

فالقول في هذا المارد الجبار- يتعدى معرفتي, حيث أرى:

أن في المعلم حديقة الحدائق ؛ وأنا لم أعرف من حديقة بعد, عطرها وعبقها وأريجها وشذاها – حتى الرياحين والزنابق والورود.

هو هناك في قمة الجبل البعيد , المطل على الوجود المادي, وأنا المشـــغول في معركة الحياة ؛ لم أرفع هامتي يوماً لأشهد القمم.

هو البحر العميق الساحر , وأنا لم ألج بحراً غريباً , كوني أخشى من الغرق.

هو الكلمة المتصــورة في ريشـــة الوعي في أبدع صــورة وتصــور. لتبقى حاجتي الغريبة هي أن تبصر كنه الصورة والتصور, إذا ما كانت الكلمة من عالم غريب , وفي كنه ذاتها تصورٌ غريب.

هو قال عن العقل – من العقل. ونحن لا نزال في أقبية الفكر العفنة التي لا تسمح لأحد منا أن يرفع هامته– لتبقى أنظارنا منصّـبة على أسطح أقدامنا الموغلة في الكِبر. لقد حُكم على السيد المسيح بالموت مصلوباً لأنه قال عن الحقيقة بلسان العقل, فأرهب قوله آذان الفكر, هو قال عن الحب والســـلام في عالم قائم على الحرب التي يراها الفكر ثروته الفعلية. هو قال كلاماً محرماً ؛ فوجب صــلبه . وقال جنبلاط كلاماً محرماً ؛ فوجب قتله، هو المارد الجبار في علوه،ونحن أقزام لم نشهد مارداً عبر تاريخنا الغارق في أقبية الظلام الدامس .

هو الابتســـامة المثقلة بالعزاء على جيل وُلد ميتً . وهو من مواقع الحياة يحمل العزاء عن عصر جيل لا يفقه الحياة.

هو الروح الصافية من الكدر, وهل يحق لروح لا تقبل الكدر في عصر من الكدر؟

هو الآنا التي حققت ذاتها الجوهرية في عالم ينكر الذات الجوهرية جملة وتفصيلاً . إذن عليه أن يرحل خوفاً من تبعات ما يحمل.

هو الذي قال كلمة حق في عالم باطل,والحق ميزان عدلٍ في عالم قائم على العدل. إذن عليه أن يرحل هو وميزانه خوفاً على ناموس العالم القائم على الظلم, خوفاً على شريعة العالم القائمة على قانون الغاب.
كلمة أقولها من الأعماق: كمال جنبلاط رسالة حياة تحققت بكل آفاقها , وبكل أبعادها,وبكل معانيها. سوف يبقى كلمة مشرقة حتى الأبدية.

## الجزء السادس من موسوعة كمال جنبلاط
## كمال جنبلاط التربوي

**التربية الحديثة**

ويعود الكاتب إلى القديم, من أجل أن يكون القديم مرآة وعبرة يرى من خلالها العالم الحديث ما يجب , ومنه يعتبر.
( إن التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال )
ص ١٨ عن أفلاطون

نرى أن التربية وعلى المدى البعيد تصـــنع الإنســـان صـــورة ناصـــعة عن المربي,إذا ما علمنا أن التربية تتناول جميع جوانب الحياة ؛ وأهمها الجانب الجوهري مع العلم أن الجوهر لا يحتاج إلى تربية,إذا ما كانت الحاجة إلى علمه ومعرفته و وعيه.
فالجمال في ذاته,إنما هو جمال الروح, إذا ما كانت هي جمال الوجود, وجمال الواجد, وجمال الموجود, والواجب وعيها , وليس تحميلها شقاء هذا الفكر.
إن من الواجب وعي الوجود, لنعلم أين نحن من هذا الوجود,وما يجب فعله, وما هي نتائج ما نفعل.
فقد توجه أفلاطون إلى الجمال والكمال,وهما معاً صـفات الجوهر,فالجميل هو التوجه إلى كينونة الحياة والوجود والإنســان ، من أجل أن نعلم جوهر وجودنا ومعنى هذا الوجود وغايته, فحين نعلم ونعي , فقد نعقل كل شـــيء, ومن خلال عقلنا لوجود نحن جوهره, نفعل فعلاً عقلياً غائياً يحقق غاية رحلتنا

المباركة تلك التي بدأت من العلة واتجهت نحو الغاية , تلك الرحلة التي حوّلها الفكر إلى حرب وذل وشقاء بعد أن تأبد الإنسان في تلك الوسيلة المذلة في خنادق الحرب.

فقد سألت بوذا وهو في أعالي الجبال : لماذا خـُلق الرجل؟

قال مجيباً: خـُلق الرجل للقتال.

وبعد تلك القرون العديدة وقفتُ أمام هتلر في معتقلات " بوخن فالد" وسألته ذات السؤال , فقال: هتلر يريد الحرب , فمن يريد الحرب يريد هتلر, ومن لا يريد الحرب, سوف يُقتل.

هتلر مؤسس الفكر النازي, لكن هتلر الرجل كان استجابة لتطلعات الفكر الذي هو الحرب في ذاتها .

السومريون صنعوا تاريخهم كرسالة سلام, لكن الغزاة من حولهم , لم يقرؤوا رسالة سلام , ولم يكتبوا رسالة سلام . إذن, كان على السومريين أن ينتفضوا لحرب الغزاة, فشريعة غاب الفكر,لا تقبل سلاماً على أرض يغتصبها.

وكان على أرسطو القول : " إن واجب التربية وعي العقل وعقله ". وليس قوله : " الغرض من التربية هو إعداد العقل لكسب العلم" ص ١٨

فالعقل هو قلم الوجود ؛ هو العلم في ذاته , وعلينا أن نتذكره فقط حتى نعيه ونعقله ونعمل بواجب الحياة من أجل أن نحقق غايتنا التي ننشدها
بإرادة العقل الجوهرية,وليس بدجل الفكر الجهنمي. ولا من غرض للحياة, بل هي غاية نبيلة وسامية لأنها تحقق أبدية الحياة وأبديتنا.

ولسنا مع جون سيمون في قوله : " إن التربية, هي الطريقة التي يكون بها العقل , عقلاً آخر ". ص ١٨

ولن نقبل بذاك العقل الذي اخترعه ديكارت, إذا ما كان العقل مبدع الوجود وسابقه, وسابق ديكارت .

لو كان سيمون يعرف العقل لما قال عن طريقة يكون بها العقل عقلاً آخر. وكأنه فكر يتلون حسب بيكون وديكارت وسيمون وغيرهم.

إن العقل ثبات مطلق, وهذا الثبات المطلق يجعل الحركة حركة سـرمدية, إذا ما كان المحرك هو العقل حيث تصبح الحركة إرادية ثابتة ومستديمة.
ولسـنا مع جون ملتون في قوله : " إن التربية الكاملة, هي التي تجعل الإنسـان صالحاً لأداء أي عمل,عاماً كان أو خاصاً, بدقة ومهارة, في السلم والحرب" ١٨
فما هي التربية الكاملة؟ وهل من تربية كاملة تبرر الحرب؟ إن التربية الكاملة هي التي تبدأ من الكينونة وليس من الكيان. إن معرفة الكينونة هي معرفة الواجب وهنا يتغير الكل " العلم والمعلم والمتعلم "من أجل خلق إنسـان جديد, يجدد ويتجدد ويغير ويتغير من خلال وعيه المتسامي وثبات الوعي في ذلك التسامي .
هنا يسـقط الفكر,وفلسـفة الفكر,وعلمه وعمله، إذا ما كان كل ما بناه قابلاً للهدم, نظراً لذاتيته المفرطة.
ويعرّفها بستالوزي بقوله:"إن التربية هي تنمية كل قوى الطفل كاملة متلائمة"
والغرض منها حسب (كانت) هو:" أنها تصل بالإنسان إلى الكمال الممكن" ١٩
ويذهب (جيمس) إلى القول:" بأنها إعداد للفرد ليسـعد نفسـه أولاً, وغيره ثانياً".
ويأتي الكاتب بتعريف أرفع من خلال هذه العبارات " إن حقيقة التربية هي مساعدة الطفل على إنماء جميع ملكاته وقواه, وتكييفها, وإيجاد التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها, وإظهار ملكاته الكامنة بغية إعداده للحياة السـعيدة الكاملة, والنجاح فيها بحيث يصبح مواطناً عاملاً,قوي الجسم, صحيح العقل, نقي الوجدان,منسق التفكير, حسن التعبير مع أبناء وطنه ومحباً لإنسانيته". ص ١٩
نرى أن واجب الإنسانية أن تعي الواجب , فالإنسان في عالمنا يسير على رأسه لأنه فكر, والفكر مصلحة , والمصلحة اختلاف , والاختلاف تناقض وصراع إلى أن يحقق الصراع أغراضه في الحرب .
إذن,عالمنا هو عالم حرب,ومن الواجب أن يحيا العالم في الحب والسـلام والخير والأمان من أجل أن يصبح نتاج العالم حدائق سلام , وليس خنادق حرب.
إذن , هو الوعي الذي يحقق غاية الإنسـان في هذا الوجود, الوعي يجعل الكل عطاء , إذا ما كان الوجود أبداً عطاء حتى التراب.

من أجل أن يصـبح العالم حديقة واحدة ؛ يجب أن يتعلم هذا الطفل السـلام وليس الحرب, الصـدق وليس الكذب , الخير وليس الشـر,العقل وليس الفكر, الثبات وليس التقلب والمراوغة والدجل.

فالواجب هو أن يعي هذا الإنســان الوجود بدقته ونظامه وشـموله " من العلة إلى الغاية " يجب أن يقدم هذا الإنسان جميع طاقاته , وجميع إمكاناته, وجميع قدراته , وجميع إبداعاته إلى هذا الوجود,من أجل أن يتحقق في هذا الوجود,لأن نصــف العالم لا يعمل, والنصف الذي يعمل لا يقدم إلى الحياة كل قواه, ونصف العمل يذهب إلى القتل, وهذا الذي يذهب إلى القتل من موارد العمل, هو تحت إدارة الفكر بمجمله .

الواجب هو وعي الواجب في إزالة التضاد والتناقض والصراع والحرب من هذا العالم ومن هذا الإنسان, ومن هذه الطبيعة ٠ هنا يتوحد الكيان والكينونة في بوتقة الإرادة الغائية من أجل كمال الذات والصفات . هنا يزول الفكر وعالمه القائم على الباطل.

إن الكاتب يقول الحق " في أننا بحاجة إلى مربين أكثر من حاجتنا إلى معلمين". لكننا نقول قول الفصل "بأننا بحاجة إلى تغيير شامل من أجل أن يعود الإنسان يسير على قدميه وليس على رأسـه كما هو الآن". هذا إذا ما سـألنا عن أولئك المربين في عالمنا المحكوم في أن يسير الإنسان على رأسه ٠

إن العصــر قد أحرق مراحل عدة ,أحرقها بنار جهنم, من جراء نهم الفكر على الثراء العاجل , فقد شابت هذه المراحل من كثرة العناء, وشاخ هذا العصر من كثرة اللعنات المنصبة على جبينه عبر زمنه القصير.

إن الحياة مهددة بالزوال هذا حسـب ما نراه , وما جاء به المعلم في كتابه " أدب الحياة" .

فقد كنـّــا نعيش الفاقة والفقر,أيام كنا نتناول طعاماً بسيطاً,صحيحاً, نظيفاً, لذيذاً, خالياً من السموم. فكانت أجسامنا نظيفة, صحيحة , قوية,رشيقة, خالية من المرض.

إن أجسـامنا اليوم ؛ خالية من الصـحة , وطعامنا لا لذة فيه, حتى أرضـنا لم تعد قادرة على العطاء بدون تلك السموم التي تعبئ أحشائها وأحشائنا.

## هدف التربية

يقول الكاتب: " اختلف المربون في تحديد هدف التربية. فرأى بعضــهم, أن هدف التربية,هو تربية العقل ورأى آخرون , أن هدفها, هو تربية الشـخصـية. بينما رأى غيرهم,أن هدفها هو تربية الخلق. ورأى البعض أنها نشـــر التعاليم الدينية. أو ( أنه الكمال المطلق ليصـــبح الفرد عضـــواً عاملاً وكاملاً في المجتمع) أو ( تعويد الفرد على النفس بتربية اسـتقلالية). كما رأى آخرون : ( أن الهدف من التربية هو كسـب العيش ) الخ .... ص ٢٠

إنما نرى غير ذلك كله, فمن هو ذلك الملاك فينا الذي ســوف يربي عقلاً دون أن يعرف العقل؟ وهل يعود أرسطو من أجل صناعة البشر على نحو " الاسكندر" مثلاً للشخصية المثالية؟ وهل يستطيع الفرد أن يحيا على الخلق وحده؟

فالوعي إنما هو المنقذ من الظلال الذي نعيشه , هو المحرر, هو المخلّــص, هو المعلم والحكيم والمدبّر, هو سبل السعادة والغبطة والفرح, والسلام والحب والأمان, هو المسيح الجديد,هو العقل؛ عقل فيثاغورس وسقراط وأرسطو وأفلوطين وجنبلاط وغاندي, وليس عقل بيكون وديكارت ومن حذا حذوهما .

إن العلم قد يفتح لنا بوابة الهدف من الحياة , لكن الوعي قد يرقى بنا إلى الغاية القصوى من الحياة والوجود والإنسانية والإنسان.

فمن المحزن أن نعيش من أجل العيش ونحن جوهر الوجود, من المحزن ألاَّ نعرف شيئاً عنّـــا وعن الحقيقة وعن الوجود, من المحزن ألاَّ ننتظم في سنن هذا الوجود.

إن مســؤولية البشــر لا تزال وراء حجاب الفكر, و هي التي بوعيها تصـــنع الإنسان الملاك.

كم حزنت وكم احزن في كل يوم أرى بشراً يهيمون على الأرض من أجل كسرة خبز يابسة, والأرض جنة في ذاتها, والبشر ملائكة في ذاتهم.

تباً لهذا الفكر إذا ما كان جهنم في ذاته , إذا ما كان هو الدجال الذي لا يرى إلا بعين الظلال وحدها. أليس هو أعور الدجال الذي قال عنه " مصطفى محمود"؟

ألم يكن هناك مئات الآلاف من الكوادر الشيوعية النظيفة قد أصبحت عالة على أنظمة غير نظيفة في هذا العالم, ويتطلب الوضع إزالتها بكافة السبل؟ فكيف سيقبل عصرنا هذا, عصر الفساد المستشري في عروق دولته القائمة على الفساد؛ مربين شرفاء؟

وخلاصة القول عند المؤلف تندرج تحت هذه المفاهيم والأسس التالية: "

أولاً : إن التربية عملية دائمة تمتد على حياة الفرد من المهد إلى اللحد, وتشترك فيها مؤسسات المجتمع المختلفة.

ثانياً:إن التربية لا تتناول ناحية معينة من شخصية الفرد,بل تتوجه إلى الشخصية بكاملها , بما تنطوي عليه من جسد وعقل وعاطفة وروح.

ثالثاً : إن التربية عملية فاعلية لا انفعالية, فهي لا تـُفرض فرضاً على التلميذ أو الطالب, بل تأتي نتيجة تفاعل بينه وبين المعلم.

رابعاً : إن غايات التربية صادرة عن معنيين رئيسيين: أولهما القيم الإنسانية الأصيلة التي لا تتبدل بتبدل الأزمان, والتي تسعى التربية إلى تحقيقها في شخصية الطالب لتخلق منه شخصاً متميزاً بأنبل الصفات الإنسانية. وثانيهما حاجات المجتمع المعيّن الذي يُهيأ الطالب للعيش فيه والعمل لخدمته.

خامساً: كما أن تربية الفرد حصيلة عوامل عديدة تشترك فيها مؤسسات المجتمع المختلفة, كذلك يجب أن تهدف إلى جعل الفرد قادراً على التأثير في المجتمع.

سادساً:إن العنصر الأساسي في التربية هو المعلم,هو كما قلنا, اتصال عقل بعقل, ونفس بنفس – بل شخصية بشخصية.

ســـابعاً: إن التربية لا تزهر ولا تثمر إلا في جو تتوافر فيه الحرية: حرية الفكر والقول والعمل, الحرية التي لا تنشد إشباع الهوى بل إتباع المُثل العليا" ص ٢١

بديع هذا الكلام,إنما ليس في مجتمع جسده مزروعاً هنا, يشكل سداً منيعاً بوجه التقدم والرقي, وروحه هناك تتغنى على نغم الحضارة القديمة من أجل تجسيد القديم القائم على التقليد.

إن التقليد المسيطر بواسطة سلاح أنظمة العصر, يشد الإنسان إلى الماضي الذي يجسد الاختلاف القابع في ذهن إنسان العصر, حيث يقدم هذا الإنسان سعادته و رقيه و علمه و حريته و سعادته إلى أنظمة فاسدة تجد أن التصرف يطيل عمرها ويحقق مجدها.

فنحن مع تلك المفاهيم النبيلة التي نريد تحقيقها قولاً وفعلاً , لكن السؤال الكبير هو , من أين يأتينا ذلك المعلم ؛ إذا ما كان بيننا معلم واحد وقتلناه؟

إن المعجزة الكبرى هي خلق المعلم في عالم لا يسمح بمعلم يُعّلم واجب الحياة في هذا الوجود.

إن من الأسهل ألف مرة تغيير المجتمع بأسره , حين يصنع كل فرد من ذاته المعلم. فنحن بالوعي نغتسل من موبقات فينا– ونصل,ولا من محرر,ولامن رسول, ولا من مخلّص, سوى الوعي, والعمل بالوعي.

فقد محوت من ذاتي التقليد والمقلدين, وخلعت عني جلباب الفكر والمفكرين , وأصبح بيتي ومكتبتي وقلمي عالمي كله, لتصبح الكلمة هي صلتي بالغد,غد الحياة التي أتصورها من أجل إنسانيتي.

هي مملكتي الكبيرة, في مكتبتي الصغيرة, فالحب الذي يحتوي مملكتي الكبيرة, هو كالعبق الندي يملأ شذا رياحينه - مملكتي الصغيرة.

جميل أن يقول المؤلف: " إن التربية عملية فاعلية لا إنفعالية ". بديع هذا الكلام إذن, يجب أن ننعتق من قيود الفكر بواسطة الوعي الذي يحررنا من الإنفعال حين نصبح إرادة عقلية غائية, فنسموا إلى إرادة الحياة التي لا موت فيها ولا فناء.

جميل أن يقول المؤلف:" لا يمكن للتربية أن تزهر وتثمر إلا في جو تتوافر فيه الحرية ". إذن,لا بد من الإنعتاق من قيود الفكر إذا ما كان المؤسس الفعلي لشريعة الغاب, وفي ظل تلك الشريعة التي يعاني منها العالم بأسره , لا توجد حرية.

إذا ما كانت الحرية هي الوعي الخالص , وكان الفكر قد آثر الجهل تحقيقاً لذاتيته.
يقول الكاتب : " يحتاج الفرد إلى التربية لأسباب جوهرية ثلاثة :
١ – لأن العلم لا ينتقل من جيل إلى جيل بالوراثة.
٢ – لأن الطفل مخلوق كثير الاتكال , قابل للتكيف .
٣ – لأن البيئة البشرية كثيرة التعقدّ والتبدّل .

**١ – العلم لا ينتقل من جيل إلى جيل بالوراثة**

فابن الجاهل وابن العالم يولدان متســاويين من حيث خلو الذهن من المعرفة. وبتعبير آخر, ليست الحضـارة ميراثاً بيولوجياً يأخذه الخلف عن السلف دون جهد وعناء .

ويتابع الكاتب قوله : لقد جاء في كتاب للإمام الغزالي ما يلي: ( لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم ). وقال مربٍّ آخر بتعبير أدق وأشد لهجة: (إن السبب الذي من أجله نحتاج إلى التربية هو أن الأطفال لا يولدون بشراً, بل يصيرون بشراً بفضل التربية ). " . ص ٢٤

نحن نرى الحقيقة غير ذلك,إذا ما كان خلقهم هو امتداد لإبداعهم الأول من روح الله لكن حرمانهم من العلم , وجعلهم بؤساء يجهلون, هو في ذمة الفكر, إذا ما كان مطلب الإنسان هو العلم والمعرفة والوعي,وإذا ما نظرنا إلى القارة السمراء فقد نجد أن الفكر الاستعماري هو سبب بؤسهم.

كما أن الوراثة لها من الفطنة والذكاء بحيث تخوّل أبناء العلماء القدرة على تخليد علوم آبائهم , لكن هذه القدرة ليست مطلقة لدى أبناء العلماء .

إن الذين حُرموا من العلم والمعرفة والوعي,هم جميعاً ضـحايا لذاتية الفكر, الذي نهب وسائل سعادتهم وكدسها ذهباً أحمراً في المصارف والبنوك.

كما يرى الكاتب أن الطفل مخلوق كثير الاتكال, قابل للتكيُّف حيث يقول:

" إن الطفل مخلوق ضعيف كثير الاتكال بالنسبة إلى صغار الحيوانات, مع أنه أرقاها مرتبة وأشدها ذكاء". ص ٢٥

نرى أن الإنســان هو جوهر الوجود, هذا الوجود الذي أوجد بحكمة مبدعه,تلك القيم البديعة من أجل الإنسان٠

إذن, لا بد من القول: إن الإنسـان يرقى على كل كائنات الوجود, بكل شـاردة في كونه وكيانه وكينونته,إنما هو هبة الوجود,وجميع موجودات الوجود هي هبة المبدع الحكيم إلى الإنسان.

هو بالله الأغنى, والأجمل والأشـرف والأقدس, إذا ما كان حجاب الإرادة الإلهية في وجود مادي, إذا ما كان جملة خلايا يحتويها الجوهر,إذا ما قلنا " الله في الناس" حسب المثل, وهو المثل.

فنحن نظلم الإنســان إذا ما نظرنا إليه بعين الفكر ونحتقره , حين جعل الإنســان أداة رخيصة من أجل السلب " جنبلاط – غاندي- الاسكندر- أرسطو" صور عن الإنسان, وأفريقي يتضور جوعاً وظلماً وقهراً وذلاً... صورة واحدة عن الإنسانية.

فسيولوجياً,يأخذ الطفل زمناً طويلاً من أجل إتمام أجهزة وأعضاء معقدة التركيب والأداء.

نجد أن الطفل دائب الحركة والتطلع والنظر من أجل بناء قواه الكلية معاً, إذا ما ترافق ذلك مع الرعاية الدائبة لبناء إنسانية هذا الطفل من خلال كيانه الإنساني وذاته الجوهرية معاً , والحرص على الانسجام التام بين كيانه وكينونته.

فمن هو المربي إذن؟ هو الذي تعلم من الحياة " أن يكون رســـالة حياة في بناء إنسانيته بكل أبعادها, وهذا رأينا فيما طلبه الكاتب .

ويرى الكاتب أن البيئة كثيرة التعقد والتبدّل حيث يقول :

"والسـبب الثالث الذي من أجله يحتاج الفرد إلى التربية هو أن بيئته كثيرة التعقد والتبدّل. فهي معقدة من جميع نواحيها المادية والاجتماعية والروحية, وقد طـُبعت بطابع الحضارة" ص ٢٦

حين اتخذت حركة رأس المال سبل الربح فقط , جعلت من الإنسان وسيلة دنيّة من أجل تحقيق هذه الرغبة, فخضع العالم كله ليصبح وسيلة استهلاك لكل ما تنتجه هذه الحركة تحت عنوان " الحضارة والرقي والتقدم " حيث تـُنزف أعراق

الناس ودمائهم وسعادتهم تحت هذا العنوان الجميل, ولم يعد لديهم الوقت للنظر إلى ذاتهم لأنهم في سباق مع زمن لا ينتهي قبل أن يمتص آخر قطرة من دمائهم.
يموت الإنسان, وتحيا الحضارة, تموت الشعوب, ويحيا الفكر ذلك الحضاري الملهم , يموت الكل في سبيل المادة وتبقى المادة حية براقة.
كان الإنسان يُقتل بالسيف والرمح فقط.واليوم يُقتل الإنسان بآلاف الأسلحة الفتاكة المتطورة ومن وراء آلاف الأميال البعيدة,وكان السيف يقتل رجلاً,واليوم في عصر الحضارة قد يُقتل جميع أهل الأرض في ساعة واحدة.
وفي مجالات الصحة , فقد راح البشر يبحثون عن طب بديل ينقذهم من نهب العيادة, وغلاء الدواء, كما أنه يفيدهم بلا مضرّة.
إن سرعة التغيير جعلت الإنسان يلهث وراء العصر من غير فائدة تذكر,وامتلأ السوق من فائض البضاعة البراقة من أجل أن يصبح هم البشر الاقتناء الفاحش من الأشياء ومن الأزياء.
بديعة هي عظة الإمام علي ( لا تعُودوا بنيكم على أخلاقكم, فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم ). وقال جبران : " إن أولادكم ليسوا ملكاً لكم". ص ٢٧
يقول الكاتب سائلاً : " لماذا يحتاج المجتمع إلى التربية ؟
لأنها تساعده على سد حاجتين من حاجاته الأساسية وهما :
١ – الاحتفاظ بتراثه الثقافي
٢ – تعزيز هذا التراث .

**١ – الاحتفاظ بالتراث الثقافي**

إذا أراد المجتمع المتحّضر أن يُكتب له البقاء والاستمرار, فلا بد له من الاحتفاظ بتراثه الثقافي وصيانته من الضياع والاندثار,ونقله إلى الناشئين عن طريق التربية.

**٢ – تعزيز التراث الثقافي**

(إن التربية هي التي تستطيع أن ترفع شأن المجتمع, وتحيل ركوده إلى حركة, وفوضاه إلى نظام ... وليس هنالك إصلاح حقيقي إلا إذا قام على أساس من تنشئة الأجيال المقبلة .... " ص ٢٨

إن التطور سنّــــة الوجود, فالرســـــالة المقدمة من الجيل القديم إلى الجيل الجديد ؛ يجب أن تكون قابلة للتجدد والتطور والإبداع , إذا ما تمّ غســـــلها من التقليد , وأن تكون قبلتها الغد المشرق وليس الأمس البعيد.
لماذا يحتاج المجتمع العربي إلى التربية يسأل الكاتب ويجيب بقوله:
" لا بد لنا من القول بوجه عام إن المجتمع العربي يجتاز اليوم مرحلة من أدّق مراحل تاريخه. فقد عبثت به يد التاريخ ردحاً من الدهر, فطوحّت به وأقعدته عن الســــير في طريق التقدم والعمران. إن المجتمع العربي يجد اليوم نفســـــه متخلفاً عن ركب الحضـــــارة العالمية، فإذا أراد اللحاق بهذا الركب قبل فوات الأوان,تحتم عليه أن يعوِّض في جيل واحد ما فاته من أسباب الرقي والتقدم في أجيال عديدة.
يحتاج المجتمع العربي , قبل كل شـــيء وفوق كل شـــيء, إلى تنوير جماهيره كباراً وصغاراً, ورجالاً ونساء, في كل بقعة من بقاع العالم العربي" ص ٣٠
علينا أن نتعلم روح الحضارة,وأن نعُّلمها إلى الجيل الجديد بدقة ونظام وشمول, نعُّلمها بروعة الضمير, ورفعة الأخلاق, ونبل الغاية التي نتحمل مسؤولية تنفيذها ,
إن الأسرة هي نواة الوجود الإنساني,فمن أجل الحفاظ على الوجود الإنساني لا بد من صيانة النواة, صيانة تامة, إذا ما كانت الأسرة هي الوحدة الصغرى التي تصنع المجتمع صناعة حقيقية.
إن نتاج ضياع الأسرة هو ضياع المجتمع , وإن متانة حلقة الأسرة هي الحافظ الفعلي لمجتمع يقوم بواجب الحياة في وجود دأبه جمال الحياة.

## التربية والتعليم والمعرفة

يقول الكاتب :
" التربية إنما تعني في نظرنا تفاعل نهجين تربويين

- أحدهما يهدف إلى صــقل العقل وتنظيمه,وشــحنه بالمعلومات اللازمة. وفي هذا الحقل تنظيم العقل وتدريبه وتفتيحه وصهره في اتجاه الانتظام والقيم هو أهم من تعبئته بما يرد في كتب العلم والأدب والفلسفة والتاريخ.
- والنهج الثاني يقصد إلى تهذيب العاطفة والتصرف ... والإنسان لا يكتمل، وقلة هم الذين ينعمون طبعاً بهذا الاكتمال, أو بالأحرى لا يتجه المرء نحو الاكتمال إلا إذا وقع الانسجام الباطني والظاهر بين العقل والقلب".ص ١٥٨

بعد أن وضـعنا عدة مؤلفات عن العقل, كان نتاج نظرتنا البعيدة في العمق الذي لم يلتفت إليه من ذهب إلى نهج الفلســفة الأوروبية والمذاهب العقلية من خلال مبدع العقل الأخير "ديكارت" ذلك العقل الذي يحتاج حســب ديكارت إلى صقل وتدريب من قِبل مولاه الفكر حتى يصبح قابلاً للاستخدام .

فإذا كان هذا العالم هو عالم الفكر ويفعل بعباد الله ما يشـاء, وإن العقل المبدع الواحد– ضمير الوجود وإرادة مولاه العزيز الحكيم وفعله,يشهد على فعل الفكر من علو بموقعه النوراني الشريف " من ذلك العمق الذي أبصرته في تأملاتي – هو في عالمه النوراني الشريف, وليس أداة لشيء على الإطلاق.

فمن يصــقل عقلاً هو في ذاته جوهر الوجود؟ ومن يًّعلم عقلاً هو في ذاته قلم الوجود؟ ومن يسـتخدم عقلاً هو في ذاته حرية محضــة, و من يصــهر عقلاً, هو في ذاته صفاء محض؟ ومن ينظّم عقلاً هو منظّـــم الوجود؟ ومن يشحن ما هو معنى الوجود الجوهر؟

إننا فكر,منذ الرغبة الأولى,منذ الخطيئة الأولى وهي ( قبول الخطيئة), وحين ذهبنا وراء الخطيئة , صرنا عبيداً للخطيئة التي فتحت لنا ميادين الاختلاف.

إن نقطة بيكار وجودنا "عقل "جوهر غبطة– جوهر شوق- هو في صميم كل منـّا كجوهر,ونحن مشغولون عنه وعنـّا بأغراض الفكر. هو كينونة الوجود, ونحن مشغولون في الكيان, هو يسأل عنـّا بكل لحظة, ونحن نسأل عن عقل ديكارت الذي يحقق أغراضنا ومصالحنا, هو لا يرانا كمادة, ونحن لا نراه

كجوهر, هو الغريب المفارق,ونحن الضالون عنه وعنّـــا,هو وعي محض , ونحن مصالح ورغبات.

إن الذي يهذب وينظم ويرقى ويتسامى بجميع الأبعاد الإنسانية , إنما هو الوعي الذي يحرر أغراض الحياة من هيمنة الفكر, لتصبح طليقة الحركة الإرادية حسب إرادة عقلية سامية، فحين يتحقق الوعي، يحقق الثبات المطلق للحركة الغائية نحو الكمال الإنساني.

إن المجتمع الأوروبي قد انتظم مادياً وأخلاقياً حسب رؤيته الأوروبية, وحقق له هذا الانتظام ما وصل إليه من حضارة و رقي,لتصبح شعوب تلك القارة جلها, فاعلة ورائدة في صنع مستقبلها حسب دراسة راقية بالنسبة لها.

ورغب الفكر الأوروبي بقاء شعوب العالم الثالث جلها تحت أنظمة عشوائية من أجل سهولة ارتباطها في المصالح الأوروبية.

## أزمة التعليم الحديث

يقول جنبلاط في رســــالته إلى المؤتمر الخامس لطلاب حزبه : " أيها الرفاق, إجتماعكم اليوم هو شعوركم بالأزمة التي يمر بها التعليم الحديث,ليس هنا في لبنان فقط بل في العالم كله, نتيجة التطورات التي أحدثتها تطبيقات التكنولوجية الحديثة في حياة الإنسان والتبدلات التي طرأت على الحضارة.

فلا بد أن نشهد – وسط ما نلمسه ونراه – انعكاسات هذه الموجة الكارثة المادية من الحضارة على حياة الطالب ذاته وعلى مستقبله.

إنني لا أغبط جيلكم على ما سيواجهه من انجذابات وعقبات وصعاب,ولا على ما سيتعرض طريقكم المعيشي,قبل أن تتصحح مناهج هذه الدنيا, ونتحرّر من الليبرالية الفوضوية في كل شيء وينعتق الإنسان, وهو اليوم عبد المخترعات وعبد الآلة لسلطانه السليم.

ولا مندوحة لي أيضاً من أن أنصحكم بقراءة تقرير الأونيسكو الأخير الذي اشترك في وضعه خبراء من العالم الغربي ومن العالم الشيوعي والاشتراكي أيضاً, هذا التقرير الدولي الخطير للمؤسسة العالمية المعروفة يعلن فشل المدرسة الرسمية, أي العامة, ويتنبأ بأزمة في حياة المجتمعات نتيجة هذا الفشل. ومن ضمن الأسباب التي أدت إلى هذا الفشـــل هو عدم التوافق بين المعلم وبين التلميذ ٠٠٠٠ فإننا لم ننتبه إلى أهمية قيام علاقة إنسانية بين الطالب وبين المعلم" ص ١٦٣

نحن وجدنا من خلال نظرتنا المتأملة في جملة المفاهيم والقوانين القائمة في هذا العالم,أنها لا تستوي مع قوانين الوجود وسننه وصراط أمره؛ لنقل: إن كل ما هو قائم هو قائم على باطل,ولا بد من وعي ذلك من أجل الحياة التي أصـــبحت مهددة بالفناء.

كان المعلم جنبلاط يرقب الحركة من موقعه في قمة الجبل, وكنتُ بعين جنبلاط أرقب الحركة من الجبل المطل على المدينة, وبعد أن قال جنبلاط كلمته وذهب إلى الغد – أقول كلمتي قبل بداية السفر.

إن جُل المجتمع العالمي يجهل, والجهل قائم على باطل. وأن الذين يعقلون الحركة بعقل ديكارت همُّ محنة التقنية تلك ؛ لأنهم يعقلون بعقل قائم على باطل؛ من إبداع مُبدع كهذا, لأنه أبدع ما هو باطل,من رحم فكر كهذا, إذاً , فأنهم أشـــد ضراوة على الحياة من الذين يجهلون.

يقول جنبلاط: " وكم من المعلمين والأساتذة والمدرّسين في عصر أصبح فيه التعليم وظيفة تعيّش لا رسالة تنوير وإفادة مشتركة وتربية وتثقيف, وابتعادهم عن الطالب , الحقائق الإنسانية البدائية, فيقع وينعكس تأثير ذلك عليهم أيضاً. وفي القديم كان الطالب هو الذي يختار معلمه .... فهل العلم سوى وجه من ذلك ؟ ! ص ١٦٥

فقد أتيت في محاضرة لي,على جوهر هذا الموضوع في عباراتي هذه:" متعلمون نحن , إنما تحركنا مفاهيمٌ جاهلة, إذا ما كانت الشـــهادة في مجتمعنا غاية من أجل استحقاق الوظيفة, ثم نعود إلى أمية المفاهيم.

ليس من الواجب في يومنا هذا, أن يختار الطالب معلمه, إذا ما كان الواجب أن يختار الوعي قوانينه المنســجمة والمتآلفة مع قوانين الوجود, الوعي الذي يُطلب منا من أجل الوصول إليه ؛ إن يتسلم شرفاء العالم قيادة زمام التغيير الحتمي في وعي الضمير, من أجل أن يكون العالم على يقين " أن الضمير هو المحرك الفعلي لحركة الحياة, من أجل أن تذوب تلك الحركة بنظام الوجود, بروح الوجود – حين تتجلى إرادة الوجود العقلية من ذات كل نفس, من ذات كل نبت, من ذات كل ذرة في الوجود".

يقول المعلم جنبلاط:"ويرتقي بنا هذا المبدأ ويبلغ الاقتناع الكلي فينا,عندما نتذكر أن التعليم المحض لا يمكن أن ينفصل في ذهن الطالب عن اقتباسه لكل ما يكون عليه المعلم من تربية ومن صفات وتوجهات معنوية وفكرية. فالطفل ثم التلميذ فالطالب هو مادة لينة كالعجين ينطبع فيها كل شيء في المستوى المادي والمستوى النفسي على السواء". ص ١٦٥

إن وعي المسلمات الحقيقية للحياة في الوجود ؛ وغرسها بأعماق الطالب بآلة الحكماء, وريّها بماء الحب منهم, قد تجعل تلك المسلمات هي القائد المنتصر في حديقة هي الفرح في ذاتها.

إذن, نحن بأشد الحاجة إلى حكماء يصنعون بحكمتهم منهج حكمة ليكون ينبوعاً ينهل منه الجميع .

إذن, نحن بأشد الحاجة إلى معلمين تعلموا واجب الحياة في مدرسة الحياة الفرح, من أجل أن يزرعوا الفرح في كل مكان وفي وفي كل زمان.

إذن نحن بأشد الحاجة إلى علماء يوحدون السبل جميعها في سبيل الحقيقة التي هي مورد الجميع , وغاية الجميع , إذا ما كانت الأديان كلها من ذات النبع , وإلى بشرية واحدة, إذا ما كانت الإنسانية واحدة, وغايتها واحدة, وهي كمالها الإنساني, إذا ما كانت الحرية واحدة,والسيادة واحدة,والسعادة واحدة – ورغيف الخبز واحد, فلماذا هذا البعد بين الأخ وأخيه؟ لماذا هذا الاختلاف بين البشر وجميعهم

من ذات واحدة– من جوهر واحد ,ومن طينة شريفة واحدة؟ لماذا هذه الحرب بينهم؟ لماذا هذا العزاء المقيم في الصدور جميعها؟
إذن, لماذا يقتل الناس ذاتهم,وهي ذات الله؟ لماذا يقتلون ألله في ذاتهم ويعبدونه بألسنتهم أليس هو طوفان الكفر والإلحاد هذا الذي يفعلون؟
فالأحرى بنا تغيير هذه المناهج التي تعلمنا قتل إنسانيتنا, وخلق إنسانية الحياة الفرح من خلال مناهج مكتوبة بقلم الحب وبمداد المحبة,من حكماء وفلاسفة وعلماء سادة كلمتهم , وسادة علومهم , من أجل أن تتعلم الإنسانية لأول مرة , علم السيادة, وليس علوم الذل والعبودية.
هذا إذا أيقنا أن كل ما هو واقع هو باطل في عالم الصدق والكذب عنده سيان, عالم قائم على الجهل , والجهل قائماً على باطل.

## تكوين الإنسان

يقول المعلم جنبلاط : " على الأطر التعليمية أن تهدف إلى تكوين الإنسان في ذاتنا. كان يقال في الماضي: الحياة أولاً والفلسفة ثانياً. ونحن نقول :( حتى نتمكن من عيش حياة فاضلة علينا أولاً أن نمارس الفلسفة أي أن نكون قد دفعنا نمو الأداة الفكرية والتقنية والمعنوية التي تسمح لنا أن نعيش, أن نكون قد دفعنا نموها إلى الأمام. إن تهذيب الخلق يتطلب تكوين الكائن الإنساني بكامله, عد تحريره من عقده ومن كل شيء يحده [ تقليدي أو مصطنع ] وحتى في النهاية تحريره من تطابقه الوهمي مع الذهن والجسد والحواس.ويجب علينا في سبيل بلوغ هذا الهدف التذكير بهذه الحقائق الشبه كلاسيكية المفروض احترامها ). ص ١٩٤
نرى أن من الواجب أن يتعلم الإنسان ما يجب عن ماهيته الجوهرية,وعن كيانه المادي, إذا ما كان " مادة وصورة " حسب أرسطو .

بقدر ما يعلم من هو يصـــبح, فحين يعلم أنه من روح الله, فلا بد أن يقدّس معرفته هذه , ويرقى إلى مواقع القداسـة, وحين يعلم أن كيانه هو حجاب ماهيته المقدسـة, لا بد أن يصون هذا الكيان, وحين لا يعرف , فهو يجهل, وما أرخص الجهل.

هو الإنسان في وجود يحفظه ويصونه ويهبه الحياة الفرح, غير أن جهله يحرمه من هبة الوجود, فيبقى شقياً يدب في أودية شقية.

إن شقاء الإنسان على الأرض هو في ذمة الفكر, وأن في كل ارتقاء على سُلم المعرفة , اتساع في كونه وكيانه وكينونته إلى عالم حرٍ ؛ نسيجه الغبطة والسعادة.

فالإنسان ,إنما هو ذلك الكوكب الدرّي السابح في فضاء اللانهاية, هو إشراق نور الحياة الفرح مع كل صباح جديد, إنما الواجب يقتضي وعيه لذاته.

إن في تكوين الإنســـان معجزة إبداع , معجزة خلق , معجزة وجود. وكأنه لغز الطبيعة والحياة والوجود, فلم يصــل إلى حلّ لهذا اللغز الغريب جراء هيمنة الفكر؛ ولن يصل ما دام يجهل تكوينه , ومعجزة ذلك التكوين.

يقول المعلم جنبلاط: " وإذا أردنا أن نتساءل ما هو( الأنا),أي شخصية الإنسان المزروعة في معظم الأحيان على هذه (الأنا), نجيب: هي الذاكرة" ص ١٩٥

وكما ورد في محاورة أفلاطون : هو " تذكر". أي عقل يحتوي العلم وصفحات الأجيال إنما هي " تذكـّر"

يقول المعلم جنبلاط: "وإذا أردنا في الحقيقة دفع التحليل إلى أعماق أبعد فسوف نرى أن كل الأشياء المدركة ليست ـــ على حد قول برتراند رسل وديراك والعديد من علماء الفيزياء والنفس ـــ سوى إدراك ذهني أما حرية الاختيار فلا تبرز إلا عندما نصل إلى مستوى أعمق في الكائن وهو مستوى يتخطى ما هو ذهني.

ويقول: علينا أن نبدأ من هنا, أي من تهذيب الذاكرة, ومن هذا المنطلق يمكننا فهم أهمية البيئة, وأهمية بيئة صادقة, نزيهة, صافية خاصة على صعيد المدرسة, والسينما , والتلفزة , والإذاعة, والمسرح, والنشرات الدورية والصحف" ص ١٩٥

إن العقبة الكبرى في سبيل الوصول إلى حقائق الوجود,وحقائق قوانين الوجود, هي توجه العلم إلى الظاهر, وإغفال الجوهر, حين تصور الظاهر في ريشة فكر لا

يقبل سواه في هذا الوجود, حتى استطاع اختراق الكتب السماوية من خلال شرح يحقق له بغيته الذاتية, حيث أخرج الإنسـان من بوتقة اليقين,إلى دائرة الشـك بكل شـيء حتى في ذاته الجوهرية, وأخرجه من وداعة الإبداع , ليلقاه قادماً من غابة موحشة قفزاً بين الأشجار العالية , وليس مشرقاً بنور من نور الأزل.

فعلينا بتهذيب بصيرتنا حتى تنجلي عن ذاكرة هي في ذاتها إرادتنا الحقيقية التي من خلالها نعقل الحياة والوجود.

يسأل المعلم: "هل في حياة الإنسان شيء أكثر جوهرية من التعلق بالجمال والبهجة؟ أليس مصدر آلام العالم الحديث فقدان العلاقة مع الينابيع السرمدية للجمال والشكل والصوت لأجل الركض وراء وسائل الراحة أو البحث عما هو عملي زعماً, ومن مختلف منتوجات الاستهلاك.

لا بد لعملية تهذيب العقل العادي أن تقوم على إصـلاح أسـاليب مناهج تعليم الفلسفة وتعميق هذا النوع من التعليم". ص ١٩٦

إن الجمال والبهجة هما الموطن الذي يحققه الوعي حين يعقل ذلك الموطن – من خلال إرادة يحققها وعي المعرفة إلى سبيل الوصول.

وكم كنت أتوق أن أكون طالباً من طلاب أرسطو أو المعلم لأرفع صوتي سائلاً,

- هل عقل أرسطو يحمل فكراً على كتفه كما جاء في كتاب المعرفة عندأرسطو؟
- وهل هذا العقل الذي يصفه المعلم بالعقل العادي هو من اختراع فكر ديكارت إذا ما كان الفكر يعمل الموبقات؟
- وهل هذا الفكر الذي قال عنه هيجل هو ذات الفكر الذي اسـتخدمه " تيير ونابليون الثالث بقتل كل من يده خشنة بكومونة باريس " ؟
- وهل هو الفكر الذي قاد نزوات الإنسان وغرائزه وأغراضه ومصالحه بسيف البطش والقوة عبر التاريخ كله ؟
- أليس هو الذي قتل الإيمان في صدور الناس جميعهم منذ أن نشر أشعيا النبي, وقتل فيثاغورس وزينون وسقراط والمسيح ويوحنا وزكريا والحلاج

- وغاندي وجميع الذين قالوا كلمة حق عبر تاريخ البشــرية كله وآخرهم وليس آخرهم هو معلم الحكمة كمال جنبلاط؟
- إن كان هذا هو ؛ سوف أقول مع أتمنندا : أنا لست فكراً وليس لي فكر. ...

إن الفكر هو القائد" لأغراض الحياة في عالم الطبيعة, قيادة تحقق أغراضه هو ومصالحه هو وليس أغراض ومصالح الإنسانية في هذا العالم, ويرى أن الوسيلة الناجعة بالنسبة له , هي القوة .

إن العقل هو القائد لهذا الوجود من عالمه المعنوي, قيادة تحقق غاية الحياة في الوجود, تحقق غاية الإنسان, وتحقق إنسانيته , وأن الوسيلة المثلى من أجل ذلك هي الوعي, عبر الحب والسلام والمثل والسمات والأخلاق الرفيعة العالية , إذا ما كانت هذه السبل جميعها تتعدى عالم الفكر.

إن الإنسان الذي يكتسب إرادة السمو من خلال الوعي إلى عالمه الحقيقي؛إنما هو الإنسان الذي ينشد الحقيقة, حيث يرقى به جوهره إلى عالم العقل.

إن عالم الحقيقة هو , عالم الحب الحقيقي , والســلام الحقيقي, والعلم الحقيقي, والبسط الحقيقي , والسعادة الحقيقية – هو عالم الفرح.

ويسأل ألف سائل,يسألون بلسان واحد فيقولون: ما قيمة الحياة من غير معاناة؟ فنجيب بقولنا: ما قيمة الحياة إذا ما كانت تجهل كل شــيء حتى ذاتها الإنسـانية, ما قيمة الحياة إن لم يكن للحياة قيمة جوهرية – يتجلى بها الحب والسلام من عالم الحب والسلام – من الذات الإنسانية.

إن الحياة معنى,والمعنى روح الحياة,حيث تتجلى الروح– يتجلى الضـمير- ضـمير الحياة – عقلها وماهيتها – روحها وجوهرها – يقينها وأبديتها- عمقها وعفويتها– نبلها وطيبها وعزتها – صدقها وعفتها – وعيها وأدبها وعلمها ونبلها وكرمها وكرامتها – سماتها ومثلها. .. في الوعي تتجلى الحياة بأسمى معانيها.

# الديمقراطية والتربية والتعليم

يقول المعلم: " الديمقراطية هي كل مفهوم أو نظام اجتماعي,نص و روح, تشريع وتقليد , قواعد وحياة. فلا يمكن للنص وللتشريع وللقواعد أن يكون لها أي معنى وأي تصـــويب بدون الروح الذي يحييها والتقليد الذي ينميها ويصـــححها دائماً وأبداً بدون الحياة العملية والمعنوية التي تبلورها وتجســدها قيمة إنسانية وقيم حضارية تامة. .... فتثقيف المواطن اجتماعياً وسياسياً أمر واجب .. "ص ٢٢٧

إن المثال الجميل للديمقراطية, أمام أنظارنا في العديد من دول العالم, ويشكل القاعدة الأساسية لنظام مجتمع يحقق له حرية العيش والاختيار من خلال بوتقة هذا النظام.

إن الديمقراطية هي النظام الأسـهل,والأمثل والأغنى من حيث تكافئ الفرص أمام مجتمع عرف كيف يصنع هذا التكافىء.

فإذا ما تحقق الوعي في مجتمع ما, وتعدى هذا الشكل المظهري للديمقراطية؛ وقاد الوعي لنظام كهذا إلى مواقعه الإنسانية الراقية كوناً وكينونة ... تتحقق جنة ذلك المجتمع في الذات وعلى الأرض.

إن في الديمقراطية حلم الضعفاء, وقيد الأقوياء, إذا ما رعاها الضمير وحكمة الحكماء, وكانت تحقيق لنظام الوجود, وانسجام مع حركته الدقيقة الشاملة.

يقول المعلم: " وهذه الأسس هي ..

- المساواة جوهرياً في الحقوق والواجبات.
- العدالة المستوحاة من الإخاء والتعاون والتضامن.
- احترام جميع حريات الفرد أو بالأحرى الشخص المحدودة بحريات الآخرين.
- المســـاواة الســـياســـية بين المواطنين على أن تؤخذ بعين الاعتبار قيمتهم وإمكانية انتفاع المجتمع بهم.
- لا يمكن فصل العلم في القصد الحقيقي للمعرفة عن الأخلاق وعن الفضيلة.

- أن نعتمد في مدارســـنا ومعاهدنا وجامعاتنا الجمع بين علامات للخلق القديم وللشخصية وللفضيلة تساوي مباراة علمية أو لكل فحص " ص ٢٢٧

نرى أن الاحترام ينبوع الحضـــــارة,وقـد حققـه الغرب الـديمقراطي بصــورته البديعة. هو القيمة المعنوية لتي تضــفي جمالاً وهيبة على مجتمع يحقق احترام الإنســـان, واحترام القانون, واحترام العمل,واحترام الطبيعة, واحترام الغير, واحترام الحياة.

في فنزويلا, أوقفني ضابط كبير حين كنت أقود سيارتي ذات الزجاج الذي يحجب الرؤية,فاتخذت اليمين منتظراً , فأتى من فوره رغم الزحمة الخانقة وكنت قد فتحت النافذة لأراه يقف وقفة استعداد مهيبة, ويقدّم التحية بإهابة ويقول: باسم المادة كذا من قانون كذا,والقاضـي بكذا أطلب من فضـلك أن تسلمني كذا. فسلمته ما طلبه وبعد اقتناعه من صـــحة أوراقي . أعادها إليّ بفائق الاحترام , ثم اتخذ خطوة إلى الوراء وقدّم التحية مودعاً بعبارة بديعة تدعو إلى التوفيق بالســـفر. فشعرت بأن الاحترام يحقق القيمة الإنسانية للإنسان.

إن الديمقراطية يحققها الوعي المادي بين البشر, ويحققها الوعي المعنوي في ذات الإنسـان, من أجل أن تصـبح الفائدة من خلال المجتمع,وليسـت على حسـابه, إذا ما شمل الوعي الكلي جميع أفراد المجتمع.

إن عيب النظرية الشـيوعية هو إغفالها للقيمة الجوهرية الموازية تماماً للقيمة المادية, إذا ما كانت تلك القيمة هي الغبطة الذاتية التي لم يتمتع بها فكر على الإطلاق, لأنه لا يعرفها.

إذا كانت ثقافة الرأسمالية هي ثقافة الربح والخسارة؛ فتكون هي التي وضعت نفسها في ميزان الربح والخسارة, وألغت من نظام معرفتها باقي القيم الإنسانية. وفرضت وجود الطبقية في العالم كله, وفرضت أيضاً ثقافة الرأسمال القائمة على الاستغلال والسيطرة والتحكم, وفرضت وجود ثقافة مضادة إلى تلك الحركة, إنما في سير الحركة, وليس غير.

إن حركة البناء في عصر النهضة الأوروبية, كانت ولم تزل من أجل بناء الظاهر فقط ليبقى هذا الظاهر عرضة إلى الفناء حيث لم يتم إثباته جوهرياً. لنرى أن الرأسمال ينهب القيمة الحقيقية في الوجود من أجل استثمار الإنسانية والطبيعة والحياة بجملتها قبل فوات الأوان,مع أنه يعلم أن الحياة أصبحت مهددة لكن جشعه هو الذي يقود حركة النهب هذه. أليس هو الفكر الذي يعبث في هذه الحياة؟

---

قد يستحيل تربية جيل جديد بواسطة معلمين أميين ثقافياً, وضَعّهم الفكر في دائرة التقليد المنتمية إلى واقع يجهل مع أن الإنسانية زاخرة في إمكانات مهيبة وحدائق ورود قابلة للتفتح ليملأ شذى عبيرها الكون كله, فالكلمة والقلم هما الغذاء الواجب من أجل أن يستوي الإنسان في هذا الواجب, إذا ما كان التغيير هو تغيير الإنسان من حركة متحركة حسب أهواء الفكر؛إلى قائد لحركة الحياة بكل معانيها "جوهرية – ومادية "من أجل أن تستوي الحياة في نظام الوجود المبني على هذا. حتى نصل إلى الإنسان الضمير, الإنسان الذي يفعل ولا ينفعل,يفعل فعلاً جوهرياً لا يتبع ولا يُستخدم ولا يستخدم ولا يخضع ، إذا ما كان سيداً مطلق الحرية يعي ويعقل من خلال إرادة عظيمة حققها له الوعي. فالوعي هو قبلة المستقبل من أجل أن تكون قبلة الدين من الأعماق إلى الأعماق.

إن الإنسان أصبح يعلم ويرى ويلمس جدب الحياة هذه في ظل واقع كهذا,إنما يحتاج إلى نظرية ناضجة من أجل الخطوة الأولى في التغيير على مستوى العالم كله, والخطوة الأولى هي, الكلمة المكتوبة, ثم القلم, نحن بحاجة إلى تربية جيل يقرأ ويكتب بواسطة جيل يكتب وعيه في واجب الحياة, يكتب بقلم الوعي نظرية الحياة الفرح, يكتب من ذات أعماقه – حين يصبح له أبعاداً وأعماق. نريد ممن أصبح هو في ذاته أبعاداً وأعماقاً أن تتصور كما يتصور حيث تكون الصورة هي هي من وحي الضمير.

وقد يلحظ إنســان هذا العصــر أن تســارع حركة التطور والتجدد والتقنية تتعدى إمكانات الإنسان الذي أنهكه اللهاث وهو يجري وراء تلك الحركة,كما أن الطبيعة قد أظهرت عجزها عن مجارات هذا الصراع الهائل والمخيف.

هنا يضع المعلم عنواناً هاماً في هذا الاتجاه هو: **تعزيز الأخلاق العامة**

حيث يقول:" إن العلمنة التي نؤمن بها هي غير العلمنة على الطريقة الغربية ولا على الطريقة الشرقية الشيوعية.

ثم يقول: قلنا ونكرر القول أننا نطالب بإلغاء الطائفية الســياســية بشــكل كامل من الدســتور ومن جميع القوانين ونعني بذلك فصــل الدين عن الدولة مع بقاء الدولة ملتزمة بمبادىء الأخلاق لأننا نؤمن بالعلمنة لا على الطريقة الغربية ولا على الطريقة الشـرقية الشـيوعية لأن الأخلاق في شـريعة الإنسـان, والدولة إنما وجدت لكي تســتكمل بواســطة القوانين تنفذ الوصــايا العشــر التي تنص عليها جميع الكتب المقدسة.... " ص ٢٣١

نرى أن " الله هو الواحد الأحد– الجوهر واحد – العقل واحد – الدين واحد- الإنسان واحد لأنه من صميم الواحد – والكل واحد ". إذا ما كان الوجود واحداً.

فالجميل أن نعلم إن جميع أسباب الاختلاف هي من صناعة الفكر المبني على هذا الاختلاف, فالإســـلام دين الوحدة الإنســـانية وقد مزقه الفكر إلى مللٍ ونحلٍ, وكذا غيره من الأديان. وأن الجهل هو المرتع الخصـــب للفكر, مع أن الدين "محبة".

إن الناس بالفكر يقتتلون وليس بالدين إذا ما كانوا بالدين إخوة – إذا ما كانوا بالله إخوة– إذا ما كانوا بالروح إخوة – إذا ما كانوا بالحق إخوة – وبالحب إخوة إنما هم يختلفون لأنهم لا "يعقلون " إذا ما كانوا بالعقل إخوة.

إن الدين لله , والله محبة , والمحبة صدق وسلام وعطاء – ونبل وطيب وكرم وسعة ورفعة وخلق وأدب ...... إنما السياسة – فكر – والفكر اختلاف ثم صراع ثم حرب ثم شقاء – إلى أن تصل لما نحن فيه من محن هذا الفكر .

هو العلم رسالة,يتكشف جوهرها بالمعرفة التي ترقى بتلك الرسالة إلى الوعي الذي يحقق جوهر المعرفة بالفعل, ويتحقق بذات الفعل.

في الوعي يزول الاختلاف,والخضوع والعبودية مع زوال الفكر,وتتجلى الحياة الحقيقية – تتجلى حياة الحقيقة التي هي غاية كل غاية جوهرية.

هنا يعي جميع بني البشر أنهم غاية الوجود, وأنهم واحد يعبدون إله واحد,في نور دين واحد, وأن الذي فرّق الدين والبشر وجعلهم مللاً وشيعاً, وأبعدهم عن جوهرهم الواحد , إنما هو الفكر.

إن واجب رجال الدين , وعي الدين , من أجل أن يصبحون – محبة, وكلمتهم رسالة محبة. ووجبهم تقوى الله– والدعاء إلى بني البشر أن يعقلوا الواجب, إذا ما كان العقل محبة.

إن رجال الدين في الدين يرتقون إلى مواقع رفيعة عالية لأن الدين في علو, ومن واجبهم ألاَّ يتعرضوا وألاَّ يعرضوا الدين, إذا ما كان في تعرضهم سقوط لا يليق بمواقعهم في عين مجتمع ينظرهم في علو وقداسة.

**العولمة** : إنما هي سنّة العصر, ولكنها كانت لنا شِركاً صادتنا به فسلبتنا منّا وأخذتنا إليها. فالجميل الجميل أن يصبح العالم قرية صغيرة, إنما الأجمل هو أن نكون كبشر- نحن البناء إلى هذه القرية , ونحن البناءون, ونحن القاطنون.

فالهاتف الخلوي بديع جداً وله خدمات مهيبة,لكنه في الجانب الآخر كان وسيلة من وسائل فساد الخلق بالنسبة للأحداث جلهم, كما أنه أصبح وسيلة سرقة ونهب.

إن العالم الذي وضعته العولمة على جرف هاوية,أشد ما يحتاج إليه اليوم هو التعقل والتروي والنظر ملياً بعين عارفة من أجل أن يعي كيف سينجو من السقوط أو كيف سوف يسقط إلى ذلك الدرك الذي قادته إليه العولمة؛ إذا ما كان الطفل قد يبقى اليوم جله أمام آلة العولمة باحثاً في عالمها عن وسيلة تغرقه في ذلك العالم, وتقصيه عن حاجاته اليومية, حتى انصاع إلى آلة أنسته أمه وأبيه.

إن العولمة محطة لتقنية عصر جُل خلقه لا يزالون يتحركون ببطء شديد نحو التحضر وغير قادرين على حرق مراحل تحتاج إلى الكثير من العلم والمعرفة حتى يمكنهم من الوصول إلى تلك المحطة الغريبة عليهم.
والطائفية هي الشرك الذي يصطاد من يجهل رسالته الإنسانية إلى الحياة إذا ما كان وطن غاندي العالم كله, غاندي الذي لا يخفض معاييره لتلاءم الظروف, لنجد أن من الواجب رفع معاييرنا إلى مواقعنا الإنسانية الرفيعة العالية وليس السقوط في مستنقع الطائفية الذي يحتوي على مظالم الجهالة التي نخجل من ذكرها كبشر.

## الأخلاق

الأخلاق , نتاج وعي لواجب الحياة , إذا ما كان كل ارتقاء في الوعي إنما هو سمو في القيم,وفي الوصول إلى وعي الوجود,إنما هو تحقيق القيم التي هي واجب الحياة.
إذن,من الواجب أن نعلم إن توجه الفكر بنا خارجاً عن مواقع القيم, كان السبب في إقصائنا عن وعينا لواجب الحياة.
لنقل: إن الصدق قيمة من القيم الأساسية في هذا الواجب,لكن مصالح الفكر قد أقصتنا عن الصدق بذاته كواجب حياة, لنخرج من الصدق ومن الواجب في هذه القيمة, حيث أصبحنا مجتمعاً يكذب ويدجل على ذاته الجوهرية .
فالأخلاق قيمة جمالية من قيم الوعي,ولن تكون قيمة جمالية إن لم تكن محققة من قِبل الوعي الذي يرقى بجميع السمات والصفات والمثل نحو كمالها الإنساني.
هنا يزول الاختلاف القائم بين مجتمعات العالم حول هذه القيم جميعها, لأنهم جميعاً من جوهر واحد, وأن واجب الحياة في هذا الوجود هو وعي هذا الواجب

في لغة واحدة هي لغة الله الواحدة؛لغة الجوهرالواحد, لغة العقل الواحد والذات الواحدة, لغة الوعي الواحد, إذا ما كانت كلمة الله واحدة , لإنسانية واحدة.
إن في الوعي نبع القيم الإنسانية جميعها , نبع من الأعماق حيث تتجلى وتصبح هي الإنسان وهي الحياة وهي الغبطة والسعادة والفرح٠

## حرية التعليم الحقيقية

يقول المعلم: " يطالب فريق من الأهلين ومن رجال الدين بحرية التعليم, ونحن من رأيهم في ذلك, فالتعليم جزء من المعرفة في معناها اليوناني الهندي الأصيل, والمعرفة تعني الحكمة أي سيطرة الروح الكاملة على عناصر الإنسان ونشاطاته والحكمة تعني الحرية فيما يتعدى نطاق الزمان والمكان, فيما يتعدى القدر.......
ويقول المعلم : جاء السيد المسيح فكان حلم البشرية الذهبي بالنسبة للذين اقتربوا منه وجالسوه, وانصتوا إلى أقواله البسيطة العميقة الثورية في آن واحد, فسارت تعاليمه كالكهرباء في مجتمعه الصغير لا لأنه كان يبشر ويعظ بل لأنه كان يحيا حياة نورانية تجذب إليها الأشرار والأبرارعلى السواء,ويستمع واحدنا في حياته إلى ألف واعظ ومبشّر, فلا تغادر شفتانا ابتسامة صغيرة لأن معظم هؤلاء قد تلقنوا كالببغاء أمثولة هم أنفسهم لا يؤمنون بها.
ويقول: ونحن نعني بالحرية بادىء ذي بدء أن الدين اختيار ولا إكراه في الدين وإلا وقع رجال الدين في الخطيئة ذاتها التي يوصمون بها المذاهب الكلية والجماعية التي تسيطر اليوم في الأقطار الشيوعية, واقترفوا خطيئة جنكيز خان وهتلر وستالين. فالإيمان نعمة رفيعة تتجلى فوق مذابح النفس القدوس, فرجاؤنا أن لا يجعلوا من هذه النعمة كتاب تاريخ مدرسي بسيط, أو كتاب صرف ونحو يفرض على التلاميذ فرضاً ٠
ويقول المعلم: ثم أن الحرية لا تعني الحرية المطلقة,لا تعني حرية الخير والشر على السواء,حرية السليم وغير السليم,حرية الوطنية والخيانة, فهنالك توجيه طبيعي

عفوي يفرضـــه علينا ضـــميرنا ومعتقدنا الروحي,و وجداننا الوطني أي بكلمة هذه الروح من الحرية الأصيلة فينا, فمن لا تكون الحرية في نفسه عبثاً يفتش عنها في جيوب الآخرين " . ص ٢٣٦

إن الروح في ذاتها حرة أبداً,إذا ما كانت من الذات الإلهية التي هي وعي محض وحين نعي الروح نتحقق بالوعي المطلق,لتصبح الحكمة سبيلاً إلى الحرية إذا كانت تعتق القيود والأثقال التي حمّلها الفكر إلى هذا الجسد الإنساني الشريف.

ولا بد أن تكون جميع أصناف الحرية وأشكالها الموضوعة على مائدة الفكر,هي من أجل خدمة الفكر كمستَغِل وليس من أجل السمو إلى مواقع الحرية.

جاء الســيد المســيح في زمنٍ كهذا,حين كان الباطل يقتل الحق,وناموس الغاب هو شــريعة الفكر. جاء لا يحمل شــيئاً ســوى الحب, ولا في ذاته شــيئاً ســوى العلم,فكان كلمة ســلام, كان رســالة ســلام. فســمعه كل من يريد أن يســتريح من حروب الدهور التي أقامها ذلك الفكر حين كان قلم الكتبة من اليهود يسطّـر بمداده الأسود, تاريخ اليهود الأسود.

"لا إكراه في الدين". نظرة مهيبة في سبيل الحرية لمن يرى أن الروح حرية,لمن يعي سبيل الحرية, ويرقى ويتحرر, إذا ما كان كل ارتقاء– تحرر – لنعلم أن الروح غاية جوهرية , والجوهر هو الحرية المطلقة نعقله بالوعي – فالوعي سبيل الحرية, والخلاص من جميع أشكال السيطرة. إذن, لا لحرية الفكر؛ لا لحرية الاختلاف.

لا إكراه في سبيل الحرية- لا إكراه في سبيل السيادة – لا إكراه في سبيل الإرادة إذا ما كانت هي الخيار – خيار الوعي والحرية والسعادة.

هنا تتجلى الحكمة في الدين– فالدين حرية – والوعي حرية – والإرادة حرية – والسبيل هو العقل – وغايته الواحد – ونحن هنا – ونبقى هنا – ولا يتغير شيء – سوى– نحن " من فكر يستولي– إلى وعي– يعلم ويعرف ويعي - ويحرر– ويعقل.

فقد ضيّع الإكراه عِلم الحرية– ضّيع الحرية ذاتها– حين سيق البشر إلى الحرب بوجه الحرية– حين سيق البشر من أجل اغتصاب حريتهم بأيديهم , ودفعوا فوق كل

هذا لذة عيشهم وسعادتهم – ودمهم . ..... وكل هذا بسيف الفكر – عبد الاختلاف.
فالدين واحد ت تختاره بحرية – وتمارسه بحرية – من أجل غاية حرة هي في النهاية – أنت " حسب قول أفلاطون : " السيد الحر القائد لقانون الطبيعة "
بلى , أن "الإيمان نعمة رفيعة". حسب قول المعلم , وحسب السيد المسيح : " إذا كان بك ذرة من الإيمان وأن تقول لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون غير ذلك".
جميل قول المعلم:" فمن لا تكون الحرية في نفسه عبثاً يفتش عنها في جيوب الآخرين ". وهذا شاهد لنا " أن الروح في ذاتها حرية" وهي أغنى ما في الوجود.
هو الله في كل أين, ومن كل أين تراه في بصيرة ذاتك, إذا ما رفعت حجاب الفكر عنها. وقد أشـــارت جميع الأديان إلى ذلك بالحكمة, والحكمة هي هي في جميع الأديان, ولم تختلف السبل, إذا كانت جميعها تغسل أوحال الفكر من أجل أن يتكشف الجوهر.
هو الله فينا جميعاً – هو الحب المحض,والجمال المحض, والوعي المحض ... وحاجتنا الحقيقية هي,معرفة الله فينا - بالكلمة- بالقلم - بالوعي - بالحب الذي هو فيض من قداسته المشرقة منّـا. إذن, لماذا نختلف, إذا ما كنا جميعنا هو, وهو الحب المحض؟
إن الذين يتخذون الطائفية نهجاً من أجل الوصول؛ لن يصلوا,لأنهم يفترقون عن الوحدة الكلية للواحد الأحد,وهي الكل الجوهر,يفترقون بالفكر كوسيلة افتراق, لأنهم ذهبوا وراء الاختلاف, وأن سبيل وصولهم إلى التوحيد هو تجردهم عن كل فكرة وفكر.
يقول المعلم في افتتاح أسبوع الكتاب العربي : " يبدو بوضوح أننا أمام عصر جديد وحضارة جديدة أحد عناوينها البارزة:الكتاب مِلك الجماهير, مِلك عقولهم وفي متناول يدهم.. ..

والمعرفة ككل نشاط بشري سيف ذو حدين , وخطر المعرفة الخاطئة أعظم من خطر الجهل لأنها تتلبس برداء المعرفة الجذاب ذاته". ص ٢٤٠

نرى أن المعلم هو في ذاته موســوعة علم وأدب ومعرفة, وأن أهم روافدها هو الكتاب الذي حمل في طياته كل شــيء من أجل أن يصـبح الإنســان ملاكاً طاهراً , غير أن هذا الإنســان العربي خاصــة لم يلتفت إليه نظراً لكثرة همومه في مجالات الاختلاف التي تكبره حجماً وقدرة, كونه يجهل.

فالكتاب,إنما هو العِلم وهو المعلم,وهو الجامع لروافد المعرفة من أجل الوصـول إلى وعي الحياة الحقيقية التي هي من أجل الإنسان المتطور والمتجدد والمبدع.

هو الذي يفتح لنا بوابة الماضـي والحاضـر من أجل أن نفتح على هديه بوابة الغد بعلم جديد ومعرفة جديدة, و وعي جديد. فنحن نبني ذلك الجديد على قواعد ثابتة من المعرفة القديمة المشرقة بالنور, من أجل أن نعمل بالنور عملاً عظيماً.

إن جوهر العلوم جميعها, قد حفظته إنســانيته في خزائن التاريخ,حفظته من أجل أن يكون مشكاة نور تهتدي به الإنسانية إلى سبل إنسانيتها العظيمة , وليس من أجل أن يصدأ ذلك العلم وتصبح بيوته متاحف قديمة, إذا ما سُكب من أجله دماء زكية – وزهقت من أجله أرواحاً طاهرة.

## هدف العلم

يســأل المعلم قائلاً : " ما هو هدف العلم؟..., ثم يجيب بقوله : هو أن نكشــف أي أن نعرف الأصل الذي منه تتفرع سائر الأغصان,والمصدر الذي تعود إليه ومنه تنبثق جميع الأسباب والعلل والمصادر, أي إيجاد عنصر واحد وتشكيلة أو جملة جبرية أو هندسية واحدة أو جوهر واحد لتفسير جميع ظواهر الكون ..

العلم يطلب وحدة التفسير, وحدة الجوهر, يسلك إلى ذلك معارج علوم المادة.. ولكن أي جوهر مادي هذا الذي يتبخر أمامنا ويصبح طاقة لطيفة,محض طاقة, كأنه عقلنا ذاته ومن جوهر فكرنا ؟؟

ويتابع المعلم حديثه قائلاً: وآلهة الأرض هؤلاء الذين أسـميتهم, ولا إله الجوهر الفريد الرحمن- هم هؤلاء الذين استنبطوا في عقولهم ومن عقولهم هذه النظريات الكبرى للكون التي نسميها نظريات توحيدية تهدف إلى تفسير واحد لجميع مظاهر طاقات المادة والحياة.

ويقول : قد يكون أينشتاين قطبهم في هذا الجيل وفي كل جيل, لأنه وضع أسس التفتيش عن وحدة الوجود المادي على الأقل, من خلال العلم ذاته .. فالعلم هو إذن توحيدي في معنى التوحيد الأصيل كمن يقترب من كرسي العرش ولكنه لا يزال يتصور ولو إلى حين تعدد الآلهة... " ص ٢٤٥

نحن في صلب موضعنا " ما بين العلة والغاية " من الوحدة الجوهرية وإليها, إنما نحن أمام معضلة كبرى وهي " أننا أوصدنا الباب عن عالم فيما وراء الطبيعة وأقمنا جميع نظرياتنا بناء على مصالحنا الذاتية التي ساقتنا قسراً إلى الاختلاف لأنها تفتقد إلى عالم فيما وراء الطبيعة الذي أوصدنا بابه الحقيقي.

فلو سألنا السادة علماء الفيزياء, السؤال التالي: مما تتألف الذرة؟

سوف يجيبون بصوت واحد قائلين: من بروتون يحمل شحنة موجبة,وإلكترون يحمل شحنة سالبة, ونيترون عديم الشحنة . فمن هذا ألف علماء الفيزياء الذرة .

لنسألهم بقولنا: أليس الذرة مادة؟

يجيبون بصوت واحد, بلى أنها مادة.

أليس المادة متحركة ؟

يجيبون بصوت واحد : بلى إن المادة متحركة.

من هو محرك المادة إذا ما كانت المادة تراب وتحتاج إلى محرك حكماً؟

قد يقولون : الشحنة الموجبة , والشحنة السالبة.

إذا ما كانت جميعها مادة وتحتاج إلى محرك ثابت ودائم وأبدي. فمن هو المحرك؟

ونسألهم : لماذا النيترون إن لم يكن بلا فائدة؟

حتما سوف لا يجيبون لنقل: إن الوجود وجوب محض,لا سلب فيه – مشحونٌ بضمير – هو ضمير الوجود وسابقه – مبثوث بكل ثنياته – يحركه من صميمه. إذن هو صميمه.

وعلى ضوء هذه النظرة نرى "أن الوجود وجوب محض لا سلب فيه" والجوهر هو المحرك , الجوهر الذي ينبسط ولا يتحرك, وبسطه إنما هو نتاج غبطة في ذاته يليها قبض جراء شوق لذات الواحد في ذاته حيث تتم عظمة الوجود من النيترون الذي يدفع إلى حركة البروتون والإلكترون في عملية " بسط وقبض" كالفؤاد أبداً " كالوجود أبداً في حركته السرمدية , حركة التساوي المطلق.

إن المحرك في الصميم , ومن الصميم يحرك من ثبات مطلق, يحرك حركة مطلقة . يحرك هذا الوجود حركة شوق وهيام, لأن الشوق في ذاته – لأنه شوق في ذاته- والشوق من الشوق المحض – من الجوهر المحض- من الله.

إن الجوهر المحض, ليس سكوناً حسب قول فلاسفة الفكر, إذا ما كان يقظة سرمدية, إذا ما كان الصميم , المصدر الحقيقي, الحقيقة الكلية الجوهرية المطلقة المجردة, الثبات المطلق, ومن الثبات المطلق بدأت الحركة المطلقة بدقة ونظام وشمول .

فالشمس تشرق كل يوم, تشرق من ثبات مطلق, وتتحرك في كل يوم حركة ثابتة ومطلقة, وفي كل يوم تشرق بنور جديد,وفي كل يوم تجدد وتتجدد بالنور, هي في مطلق الحركة, هي في مطلق التغير الذي فيه تصنع الفصول, هي في مطلق الثبات الذي منه نعرف سراً من أسرار الوجود, هي رائدة من روّاد الحقيقة ورسول من رُسل هذا الوجود.

إن علماء الفيزياء قد ذهبوا بمنظارهم المادي إلى حيث شاءوا. هم أولياء الله إذا ما كشفوا عن سرٍّ من أسرار الطبيعة من أجل الإنسانية. يثبتون من خلاله أنهم رُسل الإنسانية حقاً وصدقاً.

لكنهم أوصدوا الأبواب جميعها عن عالم آخر هو العالم الحقيقي " عالم الجوهر" ولهم الحق في ذلك إذا ما كانت رسالتهم مادية خالصة.

كما أن الطبيب الذي راح يغزو عالم الجسـد المادي بآلة مادية من أجل الكشـف عن حالة مادية يحقق من خلالها غايته العلمية.

إنما الإنسان هو مادة متحركة من قِبل صورة مُحركة,وحين ألغى علماء الفيزياء الصـورة المُحِركة – وتحركوا بالمادة المتحركة من غير أن يعلموا أن ثبات الحركة لا بد أن يكون من خلال ثبات الصورة إذا ما كانت الصورة هي الصميم لكل حركة كنقطة بيكار الدائرة التي تصـدر الحركة منها , فالصـورة , إنما هي روح الحركة , لكن علماء الفيزياء قد أفقدوا الحركة روحها ومعناها , حيث أصـبح العالم جسـداً بلا روح من جراء فريتهم على الروح الجوهر.

ولم يستطع السيد جورج طرابيشـي من العثور على المكنون بعد استخدامه آلة الفكر العمياء التي حفر بواسطتها جسد الإنسـانية حتى النهاية حيث لم يجد أي عمق لهذا الجسد من خلال آلة ذلك الفكر , حسب ما وعدنا بكتابه " نظرية العقل ".

يقول المعلم : " ولعلنا نقترب إلى بضـع سـنوات أمامنا من اليوم الذي تنفتح فيه أسـرار الحياة ذاتها, ونكون فيه قد ولجنا أكثر في أعماق المادة ذاتها, فتبرز نظرية موحدة شاملة للمادة والحياة في آن واحد.

ويقول المعلم: وهنا تبرز صحة آية الحكمة الكريمة " بالتوحيد تعرف الأشياء, لا بالأشياء يعرف التوحيد".. وتدركون مثلي أن الدين ذاته هو أيضاً توحيدي, على أنه يسلك طريق المعرفة,هو أيضاً إنما يلج إليها من خلال الروح والأخلاق أي التطهير الداخلي والتصرف الخارجي الصواب .. وتدركون مثلي أنه لم يعد في هذا العصر تمييز بين العلم وبين الدين على حقيقتهما, لأن نزعة النفس البشـرية هي معرفة حقيقة الوحدة في العلم وفي التصرف البشري وفي الدين على السواء". ص ٢٤٦

إن المعلم يرى الأشياء بعين الوعي إذا ما تكشفت أسرار لا تحصى تحقق نظرته لغدٍ كان زاخراً بالعجائب والغرائب التي ذهبت بها حركة الحياة إلى مشيئة الفكر.

إن النظرية الجديدة التي خرج بها الفكر حسب الموسوعة الفلسفية للدكتور فيصل عباس هي "أن المعرفة قوة وسلطة وسطوة "ص ٨ من ج١.هنا يجب أن تعرف ما يراه الفكر بسيفه المسلول أبداً؛ رغماً عن واجب المعرفة .

بلى بالتوحيد تعرف الأشياء,فالتوحيد علم من أجل المعرفة الحقيقية للوجود – هو علم الوجود الحق – هو علم الحقيقة.

إن العلم الحقيقي, يكشف عن تلك الوحدة الجوهرية التي هي مشكاة نور في سبيل وحدة العلم– وحدة الدين– وحدة الإنســـانية– وحدة الغاية في الوعي – في العقل – في الله الواحد الأحد.

هنا تتكشف الغاية التي يتصورها المعلم حيث يقول :" نريد أن نعرف المصدر الأخير للظواهر, نريد أن نكون واحداً مع الآخرين من خلال التضحية والتصرف الشريف, نريد أن نعرف من هو هذا الذي نسميه بمنطقنا المتعثر .. الله ؟.

ويقول المعلم: تواجهكم اليوم الحياة بانجذاباتها ولكن هناك انجذاب أقوى يدفعكم إلى الوحدة, إلى تحقيق الوحدة في نفوسكم وهو هدف التربية, إلى تحقيق الوحدة في أوضاعكم الخاصة وهو هدف العائلة, إلى ت حقيق الوحدة في أوطانكم وهو هدف القومية, إلى تحقيق الوحدة في نظرتكم للوجود الظاهر والباطن وهو هدف العلم والدين". ص ٢٤٦

إن المعلم يرى أن الحياة عطاء دائم مستمر,حسب قانون الطبيعة وقوانين الوجود الحق, بينما تختلف رؤية العصر التي لا ترى سوى المصلحة المبنية على السلب, حسب ما رسمته فلسفة عصر النهضة الأوروبية.

فالأسرة التي هي نواة الوحدة في المجتمع العالمي المعاصر قد تفككت , وتسيبت حدود الوطنية والقومية, وذهب وادي الجوع ليصب آلامه في شواطيء الارتزاق البشري وارتهان الأعناق, حتى أبناء قريتي جلهم كان من ذلك السيل الجارف إلى آمال الشعوب التي أصبحت من الأحلام.

هنا يرخص كل شيء؛ ليس في سبيل الوطن والحرية والكرامة , بل في سبيل رغيف الخبز فقط؛ ذاك الرغيف الذي قد يصبح حلما في مهد هذا العصر الميمون.

إن الذي تصوره المعلم من أجل الإنسان قد زال حتى من الحلم ,لأن سيف الفكر كان أولـّـى في مخيلة الناس وفي نظرتهم إلى الحياة حين قال المعلم: "إنني على يقين أن جيلكم سـيكون جيلاً سـعيداً إذا عرف أن يختار بين تطلعه إلى الصــاروخ وبين القاعدة أو السنة ألتي أوحت باختراع الصاروخ,بين علم الأشياء, كما تبرز عليه من تطبيقات عملية بسيطة بحد ذاتها وبين علم حقيقة هذه الأشياء كما تبدو في نهاية المطاف, وعلى سنان ارتقاء الفكر في معارج استكشاف لسنن الوجود ومصادره".

نرى أن سرعة حركة التطور قد فرضت ذاتها ووجودها وجميع أغراضها قبل أن يفهمها البشر, إذا ما قادت إلى حيث ما شاءت في نهب الكيان الإنساني بعد أن غسلته من روحه الجوهرية.

إذن , أصـــبح العالم تابعاً لتقنية رهيبة وليس قائداً لها حتى يجعلها من أجله, حين كان هدف الفكر من خلال هذا التطور هو استهلاك الإنسان بوسائل أرقى وأجمل من تلك الوسائل القديمة حتى لا يلتفت هذا الإنسان إلى ذاته ولو بالحلم.

يقول المعلم : " والعلم في هذا المعنى علمان ..

علم الأوصاف والأشياء وعلم حقيقة الأشياء. وهذا هو العلم الحقيقي لأننا وجدنا, خلقنا لنعرف حقيقة حقيقتنا.. والحب البشري ذاته,لا يأخذ معناه إلا على ضوء ذلك. فنحن لا نحب الآخرين بل نحب ما هم الآخرون على حقيقتهم .. ما من أحد يحب الشناعة والنقص والحماقة أو الذل والإسفاف,إنما نحب الروح ولا نحب الجسد الذي هو مادة عجماء, آلة جماد , ميت بحد ذاته.

وهكذا يتبين لنا أن العلم علمان ..

علم الجهل, كما كان يسمي ذلك أحد كبار الراشدين ممن أصبحت الحقيقة ملكة ذاتهم ومصدر بقائهم في العيش الظاهر". ص ٢٤٧

عالمان يستحقان الإهابة حقاً هما :

١ – عالم الطبيعة – عالم الظواهر الحسـية الذي ندركه بالحس حيث هو عالم الفكر.
٢ – عالم فيما وراء الطبيعة – العالم المكنون – عالم الإله – عالم الحقيقة –

الذي نعقله بالوعي , إذا ما كان هو المحرك إرادياً من خلال إرادة عقلية, لذا سـميّ بعالم العقل .

إن علم الظاهر هو علم الفكر في بحثه وتقصـيه في ظواهر الطبيعة,هو العلم الذي يبحث في عالم المادة. وقد وصفنا علماء الفكر بأنهم رسل عصورهم رغم ملاحظاتنا القوية حول حقيقة رسـائلهم حين رفضـنا العديد من إبداعاتهم " كالجاذبية , وتكوين الذرة مثلاً "

يجب أن تكون آلة البحث في عالم الطبيعة,عالم الحس هذا بآلة حسية هي الفكر. لكن الغريب والعجيب والمؤسف,أن يتعدى الفكر على عالم لا يعرف عنه شيئاً , ولا يقبل منه شيئاً, لا بل يرفضه جملة وتفصيلاً في تماديه بالبحث والتقصي وكأنه هو مبدعه .

إن آلة البحث في الظواهر الحسـية هي الفكر بلا منازع كونه آلة مادية من ذات الطبيعة المادية المحسوسة

لكن الغريب والعجيب والمؤسف فعلاً, هو أن تتعدى فلسفة الفكر هذه على ما هو أغنى وأرقى وأشرف وأقدس من أن يعرفها فكر يفعل الموبقات ويقتل خلق الله.

إن معرفة حقائق العالم المكنون , يجب أن تكون بنور من العالم المكنون. فنحن قد نعرف الجوهر بنور الجوهرإذا ما كنا نعرف المادة بنور المادة.نحن نعرف العقل بنور العقل بالحكمة بالوعي بالتجرد عن أغراض الفكر الدنيّة,بالسـمو والارتقاء لأن جميع هذه السبل إنماهي الوسائل الفعلية إلى معرفة المكنون في التأمل العقلي فقط ٠

فحين كنت أقف وراء فيثاغورس وانظر معه بغرابة وحزن وألم إلى فلاسـفة الفكر وهم يرصدون عالم الإله بمنظارهم الفكري, ثم يخرجون بمقاييس وأشكال قد تناسب أفكارهم ومصالحهم؛ لكنهم بهذا يعتدون على الحقيقة بأفعالهم هذه.

فحين يقول أحد المفكرين: " نحن أهل دولة العقل العالمية هذه, نشـعر بسـلطان الأسطورة يغمرنا كلما وقفنا بين يديها دون أن ندري لذلك سبباً ". دين الإنسان – ص ٥٨ - فراس السواح ... فقد تألم فيثاغورس وتألمت معه.

إن دولة الفكر قائمة هنا في عالم الطبيعة, إنما يبقى الكلام عن دولة العقل لمن يعقل أن الوعي قد يتعدى نظام الفكر هذا القائم على باطل؛ إلى نظام ينسجم مع نظام الوجود وقوانينه وسننه .

له الحق المعلم في أن يطلب علم المعرفة, معرفة الحقيقة الإنسانية, حقيقة هذا الإنسان من أجل نحب فيه روحه الجوهرية من خلال قيمه الإنسانية ومثله وسماته الرفيعة العالية إلى حيث مواقع الروح.

فإذا ما كان الجهل خسارة, وإذا ما نظرنا إلى مواقع الإنسانية الحقيقية؛ لا بد من القول : إن الإنسان في مواقع الجهل هذه؛ هو خسارة لم يعرف بعداً واحداً من أبعادها.

إن الجهل صانع الاختلاف, ذلك الاختلاف الذي حرم الإنسان من حياة البسط والحب والسلام والغبطة والفرح التي يحياها من خلال المعرفة والوعي. فالوعي إنما هو جمال الروح المتجلي أبداً على الكيان الإنساني الرفيع.

يقول المعلم: " فالمعرفة هي مرآة النفس ومسلكها العفوي ودربها الطبيعي لا الإيمان. ولو صح لي أن أقول واعظاً – لنصحت بأن لا تتمسكوا بالإيمان عندما تصلوا إلى حبل المعرفة .. هذه هي بداية التحرر". ص ٢٤٧

بديع هذا الكلام إذا ما كانت المعرفة هي التي تكشف لنا الغطاء عن جوهر النفس , هي التي ترفع حجاب الجهل – حجاب الفكر– حجاب المادة عن جوهر هو في ذاته غاية النشد من أجل أن يشرق ويتجلى – ويحرر – حيث تصبح الحركة إرادية من نقطة بيكار الدائرة ,وليس من موقع آخر بقوة الفكر,وهذا جوهر الإيمان.

يقول المعلم: ولا أطلب لكم السعادة لأنها الرفيقة الملازمة للحقيقة بل هي هي ذاتها .. بل أرجو لكم أن تتفق في نفوسكم رغبة التفتيش عن الحقيقة في كل

شيء, لأنها أساس العدل والمسلك إلى الصراط المستقيم, هذه الرغبة التي هي جذع جميع الرغبات وإنما تتيه في جهلها هنا وهنالك,هذا الشوق العظيم الذي يجعل الحياة فرحاً دائماً لأنها خلق دائم". ٢٤٨

إن النظرة البعيدة دائماً تسأل , إنما تسأل ذاتها, ذاتها التي تتعدى الظواهر إلى الأبعاد الحرة من القيود,فتذيب الظواهر لتنفذ إلى الأعماق– لترى صوامع الأقداس يرتل في سناها الحب – آيات الأزل,

فالسعادة الحقيقية في الأعماق, إنما هي الأعماق في غبطة ذاتها التي تنهل شهد وصال الحب – من خابية الأزل.

هي الحياة التي نراها بعين الحب – بعين الوعي – بعين الفرح - إنما هي حياة الفرح – تلك التي أتينا من أجلها – فذبُحت بسيفنا من أجلنا.

هي السعادة التي تتعدى الرغبات؛إذا ما كانت سيادة الإرادة الحرة نحياها بوحي الضمير, نحياها بحرية الضمير, نحياها بروعة الضمير.

لنبحث عن الكلمة التي تحتوي في ذاتها روح المعنى – روح الحياة – إذا ما كانت مبعث لحياة الروح – يتصور جمالها من جمال الروح, فالروح, إنما هي كلمة في ذاتها من نغم الروح حين يكون الجسد هو القيثارة, والوعي هو الوتر.

فلماذا لم نكن؟ بالحق – لأننا فكر- فيه شقاء إنسانيتنا إذا ما كان الوعي يحقق لنا حياة الفرح بكل معانيها.

يقول المعلم: " ومن هنا يبزغ أمل السلام الحقيقي في العالم , لأننا نعلم إذ ذاك أن أولئك الأطفال الصغار – بعض قادة الشعوب – يلعبون بالدمى السحرية على شواطىء هذا العالم,وهم لا يعلمون أن الإنسان هو خالق السحر ومبدعه". ٢٤٨

في الوعي – يزول طاغوت الفكر- وتتجلى الإرادة الحرة – ومن صميمها تبزغ شمس الحياة الفرح – شمس الحرية والغبطة والسعادة والسلام – لتأخذ حركة الحياة صراط أمرها – في مسارها الأبدي.

في الوعي – تزول الحدود والقيود والخلاف والاختلاف – والتضـــاد والتناقض- والصراع والحرب – في الوعي يتجلى الحب – وفي الحب يتجلى السلام والأمان والإيمان– في الوعي تتجلى الحقيقة,ويفنى عالم الكذب والدجل والعبث هذا.

## الجزء السابع من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

من المقدمة حيث يتناول الكاتب موضوعاً هاماً في عصرنا هذا وهو "الصحافة" التي فرضت وجودها حسب قوله كـ "سلطة رابعة "إلى جانب السلطات : التشريعية والتنفيذية والقضائية ...

ثم يقول الكاتب: " وفي هذا الوقت الذي قال فيه طاغور أن " الصحافة هي الرئة التي تتنفس بها الشـعوب نرى بأن " تولسـتوي " يقول بدوره أن " الصـحافة هي بوق سـلام,وصـوت الأمة,وسـيف الحق القاطع,وملاذ المظلوم, ولجام الظالم, تهزّ عروش القياصـرة وتدكّ معالم المسـتبدين". أما الصـحفي الشـهير مصـطفى أمين, الذي اكتوى بنار الصـحافة وتحسّس برودتها ونسماتها في الوقت نفسـه, أكد أن " الصــحافة الحرة هي فوانيس النور في شــوارع الحكم, والصــحف المقيدة هي الطبول والزمور في مواكب الطغاة الظالمين". ص ٥

إن في عالم قائم على المصالح والأغراض ؛ لا بد أن تـُساق الصحافة بسيف المصالح والأغراض, ولن يكون الصحافي سوى بوقاً لتلك المصالح والأغراض.

فلا بد من مهدٍ حنون يربي الصحافة بكلمة صدقٍ لتعبرعن مكنون صادقٍ وهذا بعيد المنال في عالم يخضع إلى سيطرة عاتية, في عالم يرهب الحق والحقيقة إذا ما كان قد تعّلم في مدرسـة علمته كيف يخاف من قول الحق؛ وكيف يرهب الحق والحقيقة.

في عالم يُقتل فيه الصحافي والصغير والكبير من غير ذنب, يُقتلون في كل مكان وفي كل زمان,وكأن الخطوط الحمر للاحترام قد سقطت جميعها.

إن الصحفي هو في ذاته رسالة, وما أبدع تلك الرسالة إذا ما تصورت بريشة الواجب,ريشة الغاية الخلاقة التي تكشف عن حقائق ينتظرها المشاهد بفارغ الصبر.
إن الصحافة "رسالة عظيمة ونبيلة حين تكون رسالة من أجل الحرية,من أجل الحياة,فالصحفي الذي رافق ثورة ما على هذه الأرض,إنما هو جزء من هذه الثورة. وإذا ما قُتل , فهو شهيد من أجل الحرية.
ويبقى السؤال ماثلاً في الذهن وفي الضمير,هل حَلِم العالم يوماً في حركة كان قائدها الوعي؟ إذا ما كانت حركة الحياة في عالم الطبيعة هذا ترزح تحت طغيان الفكر,فكم نظرت إلى التاريخ في حسرة وألم, وكم ندمت في رحلتي الشقية , وكم أشقاني الندم , لأن هذا الفكر قد أتى بيّ من العدم , وساقني إلى أودية الظلال, بعد أن سقاني السُم والعلقم والسقم,وحرمني من جمال الكلمة ومن بهاء الحكمة ومن نور القلم, وقال ليّ : لقد أتيت بك من العدم , وها أنا أرمي بك إلى العدم.
فقد تعلم الصحفي مفاهيم الفكر وقوانينه ونواميسه وراح يلهث مظلوماً بما حمل مع أن بعض الصحفيين قد أثبتوا رسالتهم على الأرض وفي السماء أيضاً, لأنهم غالباً ما مهروا تلك الرسالة بالعرق إن لم يكن بالدم .
ومن الواجب أن تحقق الصحافة بمجملها غايتها النبيلة, من خلال تحقيق رسالتها العظيمة, ليقول أمين الريحاني : [ إن الجندي الذي يفرّ من المعركة ليس أشد جرماً من الصحفي الذي يلزم الصمت حين يتعرض وطنه للخطر] هذا حسب رؤية الكاتب الذي يقول أيضاً: إن الصحافة هي عقل الشعوب,ولو لم تكن كذلك,لما وجدنا الشاعر أحمد شوقي يعلن قائلاً :
(أعطوني صحافة شريفة وخذوا شعباً عظيماً) ص ٦ ، لنقل : " إن الصحافة مرآة الحدث" وأن صفاء المرآة يعكس حقيقة الصورة. إذن يجب أن تكون المرآة بوعي الواجب صافية من أجل أن تتجلى الحقيقة.

ثم تنجلي حقيقة يراها المعلم حيث يقول : " والصحافة بمجملها مؤسسة تجارية أخرى تضاف إلى سائر المؤسسات التجارية العاملة من ضمن النظام الرأسمالي, تلتزم بالربح فقط لا بالحقيقة ونشرها كما يفرض مبدئياً ذلك.

فكما أنه لا رقابة على الدعاية التي تقوم بها المؤسسات التجارية أو الصناعية لبيع منتجاتها – كذلك ما من رقابة على إذاعة الأخبار في الصحف, وعلى صدور التعليقات بروح المسؤولية.

ولذا فالتضليل وارد, والاختلاف وارد, وتبديل الحقيقة وارد, والإثارة واردة, وتحويل الخبر البسيط إلى خبر مثير أو مقلق وارد, لأن المهم هو البيع, هو الربح, هو الدخل فقط, هو مصلحة الجيب ...... " ص ٣٧ ....

إذا ما كانت الصحافة مؤسسة تجارية غرضها الربح وليس الحقيقة, خاصة إذا كان قائدها الفكر,لا بد من القول:إن صحافة الفكر قائمة على باطل,لأنها قد وضعت الإنسان وسيلة من أجل الربح.

إن كل ربح لا تحده الأخلاق ..قد يصبح سرقة , ولما كانت التجارة قائمة على كاهل الإنسان من أجل الربح , فقد أصبحت تجارة بشر في بشر, ودول في دول حتى يستطيع أن يأخذ رأس المال مجده.

لا بد من القول أيضاً : إن وعي البشرية لواجب الحياة في هذا الوجود هو الذي يحقق غاية الحياة حين يصبح كل شيء من أجل الإنسان, من أجل سيادة البشر.

إن القوة هي التي تحكم القانون وليس العكس,ولا بد من الوعي من أجل تحرير القانون من القوة, من أجل سيادة الجميع, حيث يذوب القانون ويتجلى الوعي, حيث ينتهي الخضوع وتتجلى السيادة الحقيقية لجميع البشر,تلك السيادة التي لم يعرفها أحد قط على هذه الأرض.إذا ما كان الفكر هو القائد وهو الحاكم بالقوة,وهو خاضع أيضاً لذاتيته المفرطة ولظنه أنه يستعبد العالم , وهو عبدٌ للمادة التي حرمته من السيادة حيث هي سبب وجوده.

وتحت عنوان الإيمان بالحياة يقول المعلم:"لن تستطيع الشعوب العربية والشرقية أن تنهض وأن تخلص إذا لم ترتفع بالأمل وتتوق بالنزعة إلى ما فوق الأوثان وما فوق

المعتقدات والعنصـــريات والتكتلات, وإلى ما هو فوق التعلق بالماضــــي وآثاره وبالحضارة الغربية وتقليدها وتجديدها, وإلى ما هو أثمن من التراث ومن الفلسفة والفن والعلم – لا يعادله إلا الوحي والإشراق ولولاه لما أنعم بهما الله– وهذا الشيء هو الإيمان بالحياة.

ويقول أيضاً: والإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور:فلولا التطور لما كانت الحياة, التطور على إطلاقه : تطور الكون والجماد والمادة الحية والإنسان والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية.

بديع ما يراه المعلم حيث يريد أن يرقى بنا إلى مواقع الأمل, تلك التي يشـــحذ بصائرنا إليها وعي السبيل والغاية, وعي يحرك فينا أشواقنا حين نبصر هاتيك الحدائق, حدائق الحقيقة, فالوعي يجعلنا حركة توق واشـتياق إلى جمال ما نبصـر – إلى روعة ما نبصر- لنصبح من جذوة سبلٍ- من ورود هائمة مع أشواقنا إلى حيث هي غاية آمالنا.

إن العلم يبني حدائق الأمل, والمعرفة تغرسـها بالرياحين والورود,والوعي يحققها في الكون وفي الكيان, حيث يصبح الإنسان حديقة في ذاته , بعد أن يغرس في تلك الذات ورود المعرفة – ورياحين الوعي, ليصبح الإنسان جنة في ذاته.

إن الوعي قد يحقق الحياة أبداً, إذا ما كان وعي الأبدية, وعي يحقق الأبدية لأنه منها وإليها, حينها نعلم أننا بالفكر نعمل من أجل أن نموت.

يقول المعلم: "علينا أن نقبل بالآلة وبمستلزماتها العملية وأن نتفهم أهداف تطور الآلة وتطور العنصر البشري, وأن ندخل بحرية في سياق هذا التطور مزودين بالمعرفة وبالإرادة فنهدم ما نتردد اليوم بهدمه, - أي النظام البرجوازي الرأسمالي المتحضر – ونبني بيت الجماعة أي [ البيت الذي تسكنه السعادة البشرية "!! وإلا فســـتخلق الآلة مجتمعاً ودولة على شـــاكلتهاهي أشـــبه بخلايا النحل منها بمجتمع بشــري] .. وإلا كما قال غاندي [ فلا فرق عندي بين عصـــر الفولاذ وبين عصـــر الحجر" ٤٤

بلى, علينا أن نسـيّر الآلة بالوعي, من أجل أن يكون الوعي هو المحرك الفعلي في سبيل غاية الحياة من خلال واجب الحياة , وألاَّ نكون وسيلة الآلة في نهب الحياة

من قيمها ومن أبعادها الإنسانية, هذا إذا ما كانت الآلة عمياء ونحن بالوعي نبصر جادة الحق والحقيقة, فحين صعق صوت الآلة في معامل مانشستر ركض خلفها البشر يستنجدون بها منها, وبقي من هم مثلنا يتضورون جوعاً هناك على هامش الحياة بعد أن سلبت منهم لقمة عيشهم السائغة آنذاك من وراء مغازلهم اليدوية.
فقد فتحت الآلة آنذاك بوابة الحروب التي كانت نهايتها تحقيق أهدافها في سلب المجتمع البشري من قِبل فكر لا يرحم حيث حقق جميع أغراض الآلة وأغراضه معاً, ولم يتحرك عرق في جسد بحرية, إذا ما كان المحرك هو الفكر,عبدٌ الآلة الجهنمية التي لا ترحم, بعد أن باتت تهدد حياة العالم بقوة لا يتصورها عقل بشري.
إن بيت الجماعة الذي تسكنه السعادة,لن يقوم إلا بوعي واجب البناء الحقيقي, إنما هو بوعي نظام الوجود الذي هو نحن كخلق وتكوين,هو ما يتحرك من حولنا حركة في غاية الدقة والشمول, هو وعي الحياة بأسمى معانيها.
نحن بحاجة إلى نظام ينتظم فيه أبناء البشرية جميعاً, وكل واحد منهم عليه أن يعلم الواجب الفعلي الذي يقع علية,والغاية الفعلية من وجوده , حتى يكون حلقة من البناء العام, وأن فقدان حلقة واحدة, يعني خسارة حلقة من حلقات البناء الحقيقي.
هنا نعلم حقيقة وضعنا الفكر بها,وهي الضياع الفعلي لكل من لا ينتظم في حلقات البناء هذه , ليكون في مواقع شدّ الحركة إلى الوراء وليس دفعها إلى الأمام.
هنا قد يعلم الذي يأخذ من الحياة ولا يعطي الحياة أنه صائر إلى زوال لأنه يناقض قانون الوجود القائم على العطاء المتبادل.

## وجهة تطور

يقول المعلم: " في كلمة السنة الجديدة أوضحنا إيماننا بالحياة,وأن الإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور,فلولا التطور لما كانت الحياة التطور على إطلاقه:تطور الكون, والجماد والمادة الحية, والإنســـان والجماعة بجميع عناصـــرها الروحية والمادية. علينا أن نكون في مقدمة البلدان العربية, وفي كل بلد من بلدان العالم : علينا أن نكون في مقدمة التطور فنصيره ويصيرنا". ص ٤٥

في الحق أننا أبداً حياة ؛ فمنذ الأزل- منذ الإبداع الإرادي الأول ونحن في رحلتنا المباركة, في حدائق الأبدية – فيما بين العلة والغاية.

نحن لم نصل إلى الغاية, لأن الفكر قد سلب منـّـا الوسيلة والغاية, وأسقطنا إلى مواقع الهدف المادي في دائرة الاختلاف حيث جسّد فينا مادية الحياة, وحجب عنـّا روحها ومعناها. حرمنا من غبطة الجوهر؛ من نبع اللذة الحقيقية الفائض علينا من أعماقنا, من لدن عزيز حكيم, وساقنا إلى لذة خارجة عنـّـا,غالباً ما كانت قائمة على الاعتداء, غالباً ما كانت وبالٌ علينا.

نحن في وجود قائم على جوهر ثابت ومادة متحركة. فما هو التطور إذن؟ هو في وعي الجوهر الذي هو ثبات محض – وبسط محض ووعي محض– حيث نقطة بيكار الحركة "المركز "الذي منه تبدأ الحركة المادية بفعل جوهري إرادي – حركة غائية إرادية تتعدى جميع مفاهيم الفكر القائمة على المصلحة الذاتية.

لقد قام الفكر بتأبيد الوسـيلة وإلغاء الغاية من الحياة حيث غيّب عن أهل الأرض جميعهم غاية وجودهم في" كمال إنسانيتهم "ثم وضعهم تحت هدف واحد لا غير هو " فرّق تسد " هذه هي إنسانية الأرض التي جمعها الحب, وفرّقتها الحرب.

فالكون منذ الأزل " كامل شامل لا يعتريه زيادة ولا نقصان "وهذا السبب في فشـل نظرية الفيض التي قال عنها أفلوطين,إذا ما كان كل زيادة ونقص قد تؤدي بالوجود إلى الفناء, وهذا لا يجوز.

إن المادة أبدية الحركة بفعل جوهر يحركها من صميمها, حيث تصبح بالجوهر حية أبداً. إذن,لا بد من القول:إن حتمية المادة هي من حتمية الجوهر, وحركة المادة بالوعي , إنما هي حركة وعي جوهرية, ولكن ليست هي هذه المادة الخاضعة إلى

عبودية الفكر, بل هي المادة التي تتكيف بخواصها إرادياً حين تصبح سيدة حرة.
إن الفكر يستخدم المادة من أجل مصالحه بما يخدم ذاتيته, وأن المادة تستخدم الفكر من أجل مصالحها وما يخدم ذاتيتها ؛ لكن الوعي قد يفني هذه المادة وهذا الفكر معاً , إذا ما كان عالم الوعي هو عالم الحرية المطلقة ؛ " لا استخدام فيه " فالمادة الباقية,إنما هي مادة قد صورتها الحقيقة لندركها بالوعي,هي حجاب الجوهر الحقيقي , وليس هذا الحجاب الذي يكفر بالحقيقة.
يقول المعلم: "ولا يمكن في الواقع فصل التطور عن جذوره العميقة وعن أهدافه الكونية البعيدة والشاملة من حيث أنه مظهر ووسيلة لإنشاء وبقاء وصيرورة الكون بأسره – أو على الأقل عالم الكائنات الحية ". ص ٤٥
إن الطبيعة هي التي تشخص حركة الوجود, إذا ما كانت في تغير وتجدد وتطور مستمر , في حين كانت حركة الإنسان المتجددة والمتطورة والمتغيرة , إضافة إلى طبيعة تجسّد طبعها وطبيعتها تجسد ذلك التناغم البديع في وجود هو اللحن والقيثارة والوتر .
إن تلك الإضافة التي قد حمّلها الإنسان إلى الطبيعة,غالباً ما كانت العبء الثقيل عليها , حيث كان من خلال صراع وضع فيه الإنسان هذه الطبيعة في المواجهة العدائية له. ولم يعمل على أنسنتها بالحب والسلام كما كان يتطلب الواجب منه.
من أجل ذلك لا بد أن يكون الكون أمام منعطف ساقته إليه حماقة الفكر وتجاهله لما يترتب حقيقة على هذه الطبيعة من مخاطر قد تؤدي بالجميع إلى التهلكة.
وقد أبدع الفكر بالعلم والتقنية والتطور خلال رحلته المديدة حتى جسّد سيطرته على كل مفاصل الحركة وأصبح سدس سكان الأرض يعانون من الجوع , وجميع أهل الأرض يرتعدون من الخوف , ذلك لسبب واحد هو " سلطة القوة " وبتعبير آخر " شريعة الغاب " حيث أصبح الكل يخاف من الكل.

يقول برغسون : " الخلق يحتم ظهور الحياة " ويتابع المعلم قائلاً: " أي أن فكرة الخلق ونزعته تفرض وتحتم مولد ونشوء الحياة وحتى إذا ما تجردنا من كل فكرة ميتافيزيقية للخلق, ولما وراء الطبيعة, وتمسكنا بالتحديد ا لوضعي والعلمي لتطور الكائنات الحية وجدنا: أنه يجب أن نعتبر التطور كحدث شامل تقدمي وغير قابل الارتداد إلى ما قبل ينجم عن عمل مشترك [وتفاعل ] تقوم به أجهزة بدائية كالتكيّف حسب لا مارك , وسنّة الترقي والتنقية الطبيعية حسب داروين ". ص ٤٥

حين نقول : إن الوجود وجوب محض لا سلب فيه, نعني جوهرية الوجود التي تهبه الوجود والحياة والسعادة والسيادة والحرية والبقاء والأبدية. وهذه هي الغاية القصوى منّا ومنه.

إذن , ليست صدفة , ولا فكرة , ولا نتاج للتطور . إنما هي إرادة إبداع وخلق وكون وتكوين , و [ لا تبديل لخلق الله ] آية.[ روح وحيوات ] حسب السيد المسيح.
[ فأينما تولوا فثم وجه الله ] سورة البقرة ١١٥ [ إنا كل شيء خلقناه بقدر] القمر ٤٩
هو المعلم الذي يقول في كتابه ثورة في عالم الإنسان:" ولا يبطل سلطان الازدواجية أو الثنائية إلا عندما يتجاوز الإنسان بعقله الأرفع الفكر. فيدرك الأشياء على حقيقتها وفي عين انبثاقها فيما يتعدى الغرض وعكسه. التيار ونقيضه , فيستوي على عرش الملكوت " ص ٢٠٩

إذن,ليست صدفة ولا فكرة ولا نتاج التطور صار هذا الوجود ؛ إنما لغاية إبداعية إرادية علية.

إن الميتافيزيقا ليست فكرة إذا ما كانت قبل سلطان الازدواجية التي يقول عنها المعلم.

إن العقل الأرفع الذي يراه المعلم هو العقل الواحد, هو الإرادة العلية , وفعل الله في الوجود الواحد , ولا من عقل غيره,سوى العقل المادي الذي أبدعه فكر ديكارت من أجل إلغاء عالم فيما وراء الطبيعة, ومن أجل استخدامه لنهب العالم.

يقول الكاتب: " ويبدو لنا إذ ذاك على حد تعبير البيولوجي هكسلي إن الحياة خليقة بأن نحياها".

وتحت عنوان : الطريق إلى الخلاص : الإيمان بالإنسان, كتب كمال جنبلاط متابعاً كلامه في افتتاحية مجلة (الأديب) في آذار يقول:

توضحت لنا أهداف التطور و وجهته, وهو المتواصل في امتداد أصيل وتّفرع حلزوني متصّل, وشمول كلي عميق من المادة , التي تدخنّت وتبّخرت إثر تجزئتها الذرية, فاتضحت مجموعة طاقات لا أكثر من المادة التي تظهر وكأنها تنبض بالحياة .... " ص ٤٧

بلى , إن الحياة خليقة بأن نحياها , إنما بالعلم والمعرفة والوعي. وليس بالجهل الذي يقود العالم بسيف الفكر,لأن مجتمعاً لا يقرأ هو مجتمع لا يعلم وهذه هي رغبة الفكر .

إن الفارق بين رغبة الفكر وإرادة الحياة الحرة هو" أن يكون الإنسان عطاءً وليس سلباً "هنا, لا بد أن يتصور الإنسان الذي تريده الحياة,الإنسان الباني لإنسانيته العظيمة. لا بد أن يتصور بريشة الإيمان حتى تؤمن به الحياة حين تجني من ثماره, وترُاح من شرّه.

ونرى أن المادة ليس لها عمقاً إذا ما خلت من الجوهر, لأن أعماقي هي ذاتي الجوهرية .

إن المادة تحقق أغراض الفكر في مظهرية الطبيعة, لكن غاية الجوهر في كينونة الوجود, في نقطة بيكار الدائرة حيث تبدأ الحركة المادية.

إذن , لا بد من القول: " إن نبض المادة بالحياة من جراء تجليات الجوهر على مظهرية الوجود المادي وليس من مصدر آخر" .

إن المادة حركة مطلقة, حركة صادرة من محرّك في غاية الثبات , وإلا فقد تضيع الحركة ويفنى الوجود.

لذا,نجد أن الأشياء في تغير وتبدل واستحالة حسب إرادة كونية غائية من أجل جمال الوجود وكماله.

إن توق الحياة إلى السـعادة يحققه وعي السـبل المؤدية إلى تلك الحدائق التي لم ولن يعرفها فكر دأبه سلب الحياة من كل قيمة جمالية حقيقية .

يقول المعلم: " من خلال وحدة الوجود هذه التي توشـك عما قريب, أن تصـبح حقيقة علمية وضعية, تنفرج أمامنا طريق الخلاص كأنها شطحة من شطحات رويز بروك والبسطامي أو واضـعي الأوبانيشـاد : [ هذا السـبيل مصـدره منا ومعينه فينا ومرده إلينا ] .

ويقول المعلم : كان يقول فيفكاننevery : [ يسـتحيل على المرء أن يؤمن بربه إذا لم يتوفر له قبل ذلك الإيمان بذاته].

ويتابع المعلم قائلاً: وأول ما يفرضـه علينا الإيمان بالإنسـان : إن الأنانية عزلة مغلقة على نفسها فيها فقر وفيها بوار واحتضار للمجتمع وللشخصية, وأن الإنسانية والحياة كاملة – لا تتحقق فينا إلا بالانعتاق من الذات وبالتضـحية, وبسـيطرة المحبة الشاملة التي لا تنعكس على نفسها, وكأن الفرد يجد نفسه " ص ٤٨

بلى , فقد يصل العلم خلال فترة وجيزة إلى ما وصل إليه هرمس الهرامسة في وحدة الوجود وحركة الأفلاك منذ آلاف السنين,وهذا جميل جداً إذا ما قال العلم كلمة فصل حول عالم فيما وراء الطبيعة, ولا أظن ذلك لأن في حدوثه سوف يسقط الفكر ومادته وتتجلى الحقيقة.

وكم هو جميل ما قاله فيفكانندا أعلاه إذا ما كان الإيمان بالذات الإنسـانية هو في ذاته الإيمان بالذات الكلية- بالحقيقة الجوهرية- بالصورة المشرقة من أعماق الوجود – المتجلية على مظهرية الطبيعة " إن في معرفة الذات تجلي الصورة, وفي تجلي الصورة وعي الحقيقة فينا وفي الحياة والوجود .

إن العلم يهب الإنسـان عظمته وعلوِّه – ومعرفة العلم , إنما هي وعي العظمة الإنسانية وعلوها وسيادتها.

فحين تكون الحياة مدرسـة علم؛ لا بد أن تكون السـعادة غايتها. وما السـعادة إلا وعي وجودنا الإنساني العظيم.

فنحن كرجال, لم نخلق للقتال حسب بوذا المعلم, إنما خُـلقنا للعلم والعمل بالعلم حسب هرمس النبي والحكيم والرسول . لا بل نقول : إننا خُـلقنا لنكون عظماء في حياة عظيمة .. خُلقنا من أجل أن نصنع عظمة الحياة .. بنور هو فينا وفي الحياة.

هنا,قد نرى أن واجب الإنسان هو " بناء إنسانية عظيمة من خلال عظمة وجوده في هذا الوجود, وهذه العظمة لا يحققها فكر إذا ما كانت سبلها جميعاً هي الوعي.

لنقل:لقد كان المعلم مدرسة في ذاته وفي حياته وفي رسالته,مدرسة تحقق عظمة الإنسان , تلك العظمَّة التي حققها المعلم بجمال الوسيلة ونبل الغاية. ٠٠٠٠٠

فحين نعلم أننا من جذوة الحب المتجذر في عناصر الوجود, حين نعرف أننا بالحب نغرس وروده ونجني رياحينه وعطره وعبقه وشذاه,حين نعي أننا من جوهر الحب الذي آلف الأشياء جملة في بوتقة الوداعة والجمال التي نحن روحها ومعناها؛ حين نعي أننا بالحب ننهل كؤوساً معطرات من خابية الأزل؛ لا بد أن نقـّدس الحب الجوهر فينا, ونقدّس هبة الوجود الحق وماهيتها المبثوثة في أعماقنا,لأنها ماهية الحياة الحقة- ماهية الحقيقة , ماهية الحب الحقيقي كالنسغ في دوحة الحياة المباركة.

ويرى المعلم "أن الاعتقاد السائد والشعور بالخطيئة,وبالضعف,رذيلة كبرى.وأن الشعور بالخوف نقيصة ذميمة. أما علامة التحرر الفارقة, وبادرة التقدم والانتصار فينا, فهي الشعور بالفرح الذي لا ينضب له معين : " إن هذا الشعور بالفرح وبتقبل الحياة بثقة وباطمئنان ناجم عن تقبل التطور ذاته, وعن انسجامنا أفراداً وجماعة في تيار الحياة الزاخر والخلاق, وهو يتحقق فعلاً بالحس الضـمني الداخلي, الواعي , المتزايد بأننا في مقدمة الحياة والفرح " ص ٤٩

لو سألنا الإنسان المعاصر عن سبب ذلك؟ لقال لنا: إن هذا العصر قائم على هذا الخوف وعلى هذه الخطيئة جراء تعدّي الفكر على حق الإنسان بالحياة الحرة الكريمة والمنقذ الوحيد من هذا التعدّي هو " وعي الواجب " فالجهل إنما هو رفيق الخوف والشقاء والحرمان,إذا ما كانت معظم مفاهيم الفكر قائمة على ذلك؛ وإلا

وضـــع مناخاً بالعلم والمعرفة والوعي من أجل أن يحرر العالم من تلك القيود التي كبّله بها.

إن الخوف الذي غرسه الفكر فينا منذ آلاف السنين؛قد أصبح منـّـا وإلينا, وأصبحنا منه وإليه حين أصبحت نسمة الهواء التي تغزو أكبادنا؛ ليست سوى رسالة الفكر القادمة من مصانع الموت والفناء. فقد كنـّا نتوكل على الله أبان كل فعل, وحين ألغت فلسفة عصر النهضة الأوروبية عالم فيما وراء الطبيعة, أصبحنا نتوكل على فلسفة عصر النهضة الأوروبية التي ساقت لنا رياحاً غريبة علينا, فاقتلعت منـّــا وجودنا الحقيقي و وضعتنا في تبعية لم نتبيّن لها معنى, فخلعنا جلباب تاريخنا القديم؛ وتقلدّنا.

إن المحرر الحقيقي من الخوف ومن كل خوف هو " الوعي " إذا ما كان واجبنا أن نتعلم , من أجل أن نعلم فقد أكلتنا عفونة الجهل القذرة, إن الواجب يسـألنا, والحق يسألنا من أجل أن يحيا الضـمير- علينا أن نبحث عنه في مكنون وجودنا, لأنه بات يبحث عنـّا في ضياء وجوده.

إن الخطيئة ظاهرة أبداً في كون وجودنا, لذا فنحن نتوارى عن الحقيقة خجولين بما نحمل. فالعلم والمعرفة والوعي يحررونا من تلك الخطيئة من أجل أن نشرق مع الحقيقة في لونها الصافي الجميل.

هي السـعادة مطلب الحياة؛ لكننا لا نعرف سـبيلها بعد,إذا ما كانت هي في ذاتها " وعي المكنون فينـا " حيـث هو في ذاتـه " نبع الســـعـادة الحقيقيـة " إن الجهـل ظلمة,والظلمة تخيف الجميع إذا ما كانت مرتع الخطيئة والخطيئة نتاج الجهل.

ومن هامش وزير الربيع نقدم عبارة هامة للمعلم يقول فيها :

"إن الربيع يريد وزراء ونواباً في ربيع أعمارهم: يريد رجالاً لا يعوزهم عزم الشباب وإقدامه لا ينقصهم نشاطه وحيويته ". ص ٥٦

هي حقيقة لا يعوزها سوى دفـء شمس نوار من أجل أن تستوي ثمارها. إذا ما كان نوار هو شهر القطاف لورود سقاها الربيع من معين معصراته حتى أصبحت كالورد فاتنة نضِرة.

إن أريج الورود والرياحين يعبر بها الربيع ليضــعها على أكف نوار حيث ينشــرها في فضاء حريته.
بلى هو الربيع حركة بديعة من الرقة والجمال-غير أن الصيف هو فصل الخير والعطاء – فصل ثمين لجنيّ الثمار.
جميل هو ربيع الحياة من حيث وداعة حركته وجمالها وعنفوانها , إنما الأجمل هو أن تقود تلك الحركة قناعات الكبار في سنهم, وفي معارفهم, وفي قناعاتهم, وفي وعيهم, والمعلم هو خير مثال على ذلك.
وفي منظار شـــبابه يرى المعلم في يوم الباروك أنه" محك للنظام. فعلى الرفاق أن يكونوا منتظمين يطيعون المسـؤولين طاعة [آلية] في شـكلها, مدركة واعية في جوهرها" . ص ٥٧ أي في الانتظام العقلاني لحركة النظام حسب رؤيتنا.
بعد عاصفة كامب ديفد وتأثيرها في الوطن العربي؛ وتحت عنوان[ انتهت لم تنته]
ومما استوحاه المعلم :"فنحن نتلقى الخبر ونسجله, ونحفظه.. وفي هذا التسجيل تأثر وانفعال ونزعة إلى تمثيل هذا الخبر وتكراره..
ويبرز في هذا المنحنى من التحليل والتأمل كم هي حرية الإنســان الفرد, وحرية الجماعة,محدودة,خاصة بالنسبة لمن لم يستعملوا فوق رباط الفكر,وعلائق الحواس, والتزامات النوازع والغرائز, وثقل اعتمال الماضي, بالحاضر وتسببه للمستقبل. فالسببية وشرعها هي في باطن كل كائن وكل شيء وكل مسار " ص ٦٦
خرج هرتزل في مؤتمر بال الذي عُقد في سـويسـرا عام ١٨٩٨ بعبارتين فقط وهما: " يجب أن تقوم دولة إسرائيل خلال خمسين سنة, ويجب أن تتحقق إسرائيل الكبرى خلال مائة عام ".
وقد أخطأ يهود هرتزل بالوسيلة من أجل تحقيق غايتهم, حيث كان اختيارهم هو القوة بكل سبلها,كونهم صوّروا ما في ذاتهم , فتصورت تلك اليهودية بصورة فاشية في نظر الإنسانية جميعها.

لا بل كان على اليهود آنذاك تحقيق ذلك من خلال نظرة عقلانية واعية وعارفة معنى الإنسانية وتجسيد ذلك المعنى " بالحب والصدق والسلام " حيث يحققون بذلك حلم الإنسان على هذه الأرض, لا بل يحققون لقب " شعب الله المختار" إذا ما حققوا الحب والصدق والسلام لأن هذه الصفات هي نبع السعادة الإنسانية .

لقد فشل يوشع النبي في تحقيق الرسالة اليهودية حين دخل فلسطين وقتل جميع أهلها,حيث عمل ما في ذاته آنذاك. كما فشل يهود إسرائيل في تحقيق رسالة السيد المسيح, رسالة الحب والسلام كونهم عملوا ما في ذاتهم آنذاك أيضاً, حين أقروا في مجمع لرؤساء كهنتهم والفرّيسيون أمراً من قيافا رئيس الكهنة الذي قال:"خير لنا أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ".

فقد كان عليهم تحقيق رسالة الحب والسلام التي أتى بها يسوع المسيح , لكنهم قتلوا الحب والسلام في قتلهم ليسوع المسيح, لأنهم يجهلون,لأنهم يجهلون الحقيقة.

بديع هو قول المعلم حيث يرى أن الإنسان خلال تأملاته يتعدى جميع القيود التي كبّل بها الفكر جسده الإنساني,إذا ما كان الإنسان خلال تأملاته يتعدى جسده هذا,لأن التأمل في عالم ما وراء الطبيعة وبذات النور" النور العقلي " لأننا نفكر في عالم الطبيعة بنور الفكر, فقط بنور الفكر .

إذا ما كانت السببية في مركز الدائرة ؛ في عمق أعماق الكينونة , لا بد من نور الكينونة الجوهري حتى نستطيع ولوجها, وهذا يتعدى عالم الحس إلى عالم الوعي.

ولا بد أن تكون قيادة الجسد خاضعة إلى نزعات وانفعالات ورغبات وغرائز وإلى كل مؤثرات ظواهر الطبيعة,لكن العقلانية قد ترقى بالحركة إلى حيث الواجب الفعلي والحقيقي للحياة,ومن خلال نظرة متأملة في حركة الحياة الآنية,نرى خضوع الحركة , إذا ما كان فعل الواجب يحرر الحركة من الخضوع , حين يصبح الجميع في موقع السيادة الحقيقية , لأن الواجب هو وعي الحركة أولاً .

وتحت عنوان خميرة الفولاذ أو ملح الأرض يقول المعلم :
" نرى أيضاً أنه لا بد من النظرة الفردية للإنسان المنفلتة من كل قيد ومن كل شرعة ومن النظرة المكبلة للإنســان في الأنظمة الكلية الجماعية. نرى أنه لا بد من هذه المواجهات المتطرفة أن يعود كل منها إلى محور الاعتدال وإلى تلمس النهج الوسيط الجامع في آن واحد للحرية وللالتزام بشـرعة العقل. وعندما انفصلت الحرية عن شـــرع العقل, وفي طليعتها الأخلاق والقيم الروحية والتربية المتوجهة بكليهما, شـــهدنا ما شـــهدنا في الغرب من مآس تجعل الإنســان يفكر بالحضارة. وشهدنا ما شهدنا في بلادنا وبشكل خاص إبان الأحداث الأخيرة من مخازي وتصــرفات منحرفة للجماعات البشـرية وللجيل الجديد هي أشـبه بحلول بربرية وحيوانية جديدة في النفوس ". ص ٨٠

إن ما يراه المعلم هو الانتظام في شــرعة العقل, وهو يعلم أن العقل بعيد المنال على من هو نسيج مادي بالغ التعقيد.

إن نظام الوجود لا يقبل العشوائية والفوضى والعبث في قانون الطبيعة العلوي, إذاً لا بد من الانتظام في سنن الوجود بدقة وشمول,ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالوعي الذي يتعدى مفاهيم الفكر سمواً إلى عالم الوجود الحقيقي من خلال وعي فعلي إلى حقائقه الثابتة .

فنحن نمرض لأننا لا ننتظم في نظام غذائي تضـعه أقلام منتظمة بنظام الوجود, وهذه الأقلام لا توجد في عالمنا هذا.

ونحن نشقى لأننا طلاب فكر يحقق لنا شقوتنا تلك التي يحسبها سعادة السعادات حيث لم نكن نعلم سوى علم الشقاء والعبودية الذي تلقيناه في مدرسة الفكر.

فلم يخبرنا هذا الفكر أن العمل المثمر هو سعادة في ذاته, وأن جميع الصفات والسمات والمثل جميعها هي سعادة البشر.

لم يخبرنا هذا الفكر أن في العطاء ســعادة تزيد مرات ومرات عن لذة مزعومة جراء السلب والنهب.

ولم يخبرنا أن الشجاع هو من يتلقى الضربة في ابتسام عظيم , وليس من يعتدي على كرامات الناس. فما زلنا نفرح إلى أقوام كبني هلال الذين غزوا وقتلوا وسلبوا, ونشتم الذين قُتلوا وسُلبت بلادهم , لأننا فكر كان وما زال مع الأقوى.

إن العلاج الشافي من جميع أمراض البشر وأسقامهم هو " العلم والمعرفة – هو الوعي " الذي يحقق إنسانية الإنسان بكل معانيها .

نرى أن تغيير القوانين مع الزمن,لتكون سابقة للعصر من أجل أن يكون الإبداع والتجديد في الذهن والمخيلة بصورة دائمة.

نرى أن من الواجب ألا يقودنا الزمن , لا بل يجب أن نقود الزمن إذا ما سمونا إلى الغائية التي تنشدها أعماقنا .

إن الفرق كبير جداً بين تجارة يقودها المرابون,وبين تجارة تقودها الأخلاق, بين تجارة غرضها النهب؛ وتجارة تضيف إلى المرء قيمة جديدة من أجل أن تتوجه طاقات البشر إلى ما هو أثمن وأغنى من الكسب المادي غير المشروع ...

## النهج السليم أو الثورة العلمية الجديدة

يقول المعلم:" فالانحرافات النفسية التي ولّدتها هذه الأوضاع وفي رأسها القلق النفسي وظاهرة التوحش ومظاهر الجريمة والنهم الجنسي الذي يوّلد ضعفاً وعنّة عند معظم الشباب في السن المبكر, وألوان الكبت الأخرى التي تجعل دماغ الإنسان وكأنه مرجل تغلي تحته شتى ألوان الإشتهاءات,ويصبح الإنسان المعاصر, وخاصة الشباب, لا يستقر على حال من الأحوال, تتقاذفه شتى الأنواء الفكرية والرغبات العاطفية, كل ذلك لا يهدد فقط أعصاب وجسد وحواس الإنسان المعاصر نظراً للإرتباط العضوي, بل يهدد أيضاً تصرفات الجماعة وفي طليعتها قضية السلم والحرب لأنه كما يقول العالم النفساني يونغ: (إن مصير الجماعة يتقرر في كل الضمير الفردي ما يأخذ بعين الاعتبار ويتجاوز بأن واحد المادية الإقتصادية التاريخية في المعنى العادي للكلمة).

ويقول المعلم: " فالذي يتوجب علينا, ونحن أشخاص عقلاْء من بني البشر,هو التوقف عند هذه التأملات وسواها من التي تتعلق بمصيرنا وحياتنا, لكي نقوم بالإصلاح المتوجب في وسائل عيشنا وتربيتنا واجتماعنا وتصرفنا" . ص ٨٦

إن المعلم يشـرح هنا ظاهرة إجتماعية في زمان ومكان وظروف محددة, ظاهرة كانت نتاج اختلاف ذهب به الفكر إلى ميادين الحرب من أجل أن يحقق أهدافه التي أضحت قيد القطاف إذا كان يحسب كم يجني وينسى كم يشقى ويموت من البشر.

ويضـع المعلم حلولاً واقعية لواقع يراه هو بعين عقله؛ ويراه غيره بعين فكره , وشتان ما بين العقل والفكر.

ونحن نرى كما رأى جبران قبلنا" إذا حضرت أسباب المشكلة وقعت". فلم يكن فكر المرحلة تلك أقل جهالة من غيره , إذا ما دفع لبنان الجمال والحرية والثراء كل ما يملك من الجمال والحرية والثراء ثمناً لجهالة الفكر الذي حقق ما في ذاته,وما في ذاته كان جريمة أكبر من التصور, لأنه هو في ذاته جريمة أبعد من التصور.

إن الفكر اختلاف,وحين نغتسل من هذا الفكر,نتوحد في الجوهرالواحد - في الدين الواحد- في الذات الكلية, في الوحدة العليا للوعي وعي الذات.

إننـا بعين النور نرى النور,وبعين الظلام نرى الظلام,وفي انعدام الرؤيـة تنعدم الرؤية,ومن أجل ذلك يجب أن نبحث عن نور الحياة, من أجل أن نسير بالنور إلى غاية الحياة المتصورة في أعماقنا, من أجل أن نجسّد ذلك التصور حقيقة في الوجود المادي.

فالجمال المحجوب عنّـــا وهو في أقداسنا,قد يتكشف بالوعي لنصبح نحن هو, ليصبح هو هو المتجلي أبداً, ونحن من تلك الغبطة المبسوطة في ذات الوجود , وفي ذاتنا.

هنا , وفي عين الوعي تزول القيود والحدود والازدواجية التي قال عنها المعلم مع زوال كل فكرة وفكر.

فقد نظر المعلم إلى المدينة من الجبل المطل, ورأى الناس في رواحهم وفي مراحهم؛فتألم.وكان لا بد لنا من الصعود إلى ذلك الموقع الذي منه نظر ولو بالتمني, من أجل أن نقول كلمة فصل كانت في ضمير المعلم كمال جنبلاط.

إن ملايين الرقع الملونة التي أرثى بها الإنسان جلباب التاريخ , حتى أصبح ذلك الجلباب رثاً مخجلاً, إذن لا بد من التغيير , إنما ليس بسيف ذلك الفكر الجزار, لا بل بوعي الحب في جوهره, بوعي السلام في صميمه, بوعي إنسانية باتت ترتعد من الخوف وسبل خلاصها وسعادتها وسيادتها ، بوعي الحق والواجب, بوعي ذاتنا الحرة وتحقيق تلك الذات في علو موقعها الإنساني.

فلو سألنا عن مسؤولية الجهل في عالمنا وعلى من تقع؟ أليس الفكر هو صانع الاختلاف هو المسؤول عن تحريم الصدق في المجتمع ؟ هذا مثلاً .

إن معظم الشعوب التي كانت مغلوبة على أمرها حين كانت مستعمرة؛ وبقيت مغلوبة على أمرها إذا ما كان الاستعمار قد حرص ألاَّ تصبح شعوباً مسؤولة عن مصيرها ذلك بأنه حرمها من بناء مؤسساتها خاصة الاقتصادية منها حيث وضع قيادات لها يحركهم هو ويحرص على مصالحهم لقاء حيازة اقتصاد شعوبهم. لذا فقد حرمها ذلك من الانتظام في مؤسسات قائمة على قواعد قوية وثابتة بكل مجالات الحياة.

في هذا يكون الاستعمار قد ضمن أسواقه الواسعة من أجل بيع منتجات مصانعه العاملة بخيرات تلك البلاد التي ينهبها قادتها من أجل مصالح الاستعمار, ثم تبقى أسواقه مزدهرة بالطالبين من أصحاب المصالح لتلك الشعوب .

إنما الأشد إيلاماً هو أن شعوب تلك البلاد بقيت رهينة الاستعمار الذي بقي بكل قوته فوق هامات تلك الشعوب التي راحت تلهث وراء فُتاة حضارة ذهبت مع الريح, فلا حركة ولا تجدد ولا تغير ولا تطور من أجل ألاَّ يحلم أحد من السبيل إلى الإبداع.

إذن,كان على تلك الشعوب أن تقبل الفوضى والبطالة والقهر والذل ولا من سبيل سوى الرضوخ أو الهجرة .

بلى ,فقد تعلمت تلك الشــعوب من خلال النقل والتقليد والتأويل والبطالة والجهل؛ تعلمت كل موبقات الحياة وعملت بها من أجل مليء أوقاتها الفارغة من العمل الجاد المثمر ,

لنسأل هنا سؤالاً بسيطاً,لماذا لا نصدق القول والفعل؟في الحق لأننا عبيد الخطيئة , ولسنا طلاب الحقيقة, فالصدق إذن حرام علينا لأن الخطيئة ترَهب الحقيقة.

إذاً,علينا أن نغتسل بماء الصدق من الخطيئة,علينا أن نتعلم العلم,علينا أن نعرف نظام الوجود, علينا أن نعي من نحن وما هي غايتنا في هذا الوجود, علينا أن نحقق غاية وجودنا , إذا ما كانت تلك الغاية هي سيادتنا الحقيقية في الوجود.

دخل مكتبتي طالبتان جامعيتان يتعلمن في جامعات الفكر,واســتغرقن في المكوث فيها حتى ظننت أنهن يتقن فلسفة فيها روح المعرفة , وبعد ذهابهن تبين لي أنهن قد سرقن نقوداً كانت محفوظة وراء بعض الكتب,

لماذا يحدث هذا؟ وما هو غرض العلم,وما هي قيمته,إذا ما كانت طالبة اليوم قد تصبح معلمة, فماذا سوف تــُعلِم , وقد تصبح مربية جيل, فأي جيل تربي, طالبة قد تصبح في موقع القيادة فإلى أين تقود جيل هو بحاجة ماسة للإنعتاق من رزايا حملها مرغماً من أجيال سابقة.

إننا لا نعلم عن دور الجامعات في غرس القيم الإنسـانية وتنميتها في كيان الطالب إذا ما كانت تلك القيم هي علم الجمال الذي يثري ذلك الطالب بما يجب من الســمات والصفات والأخلاق والمثل, حتى يصبح في موقع من يحمل رسالة حياة نابضة بدفق من العطاء وليس السلب.

وإذا ما كانت مناهج جامعاتنا قد نسجتها آلة التقليد الحاكمة أمرنا, وفصلتها على مقاسنا ؛ لا بد أن نقول: يجب أن تقوم ثورة عليها, من أجل ألا تسرق طالبة نقوداً من دار حكمة.

فمنذ عشرين سنة تقريباً, عثرت ابنة أخي الصغيرة على بعض النقود على قارعة الطريق, وخلال دقائق معدودة عادت تلك النقود إلى صاحبها كاملة.

ريح جديدة

يرى المعلم بها تصــور الزمان بأنه المولد الرئيســي والأول للإبداع التكويني لعالم المادة والنبات والحيوان والإنسان , حسب العالم الروسي كيزوريف وهي نظرة تتجاوز بالحقيقة النظرة المحض مادية, وتجعل هذا الإبداع ملتزماً في النهاية بالفكر بأسمى معانيه أي بالعقل". ص ٨٨

نحن حين نتكلم عن الفكر والمادة نكون في عالم الفكر والمادة, ونتكلم في لســان ولغة, لكننا مع تحقيق الوعي لا يبقى فكر ولا مادة, ولا لســان ولا لغة, فنكون قد وصلنا إلى غاية نشد مجردة عن الفكر والمادة؛ ونعود إلى علة الإبداع المتصورة.. فينا وفي الوجود– فهي الشاهد علينا أبداً,تخبرنا عنّا وعنها أينما وفي أي زمن كنا, وهي الشاهد لنا في محكمة الضمير.

## قطب الوجود

يقول المعلم: " فعندما نثير أهمية التراث النفسي والأخلاقي وضرورة تصويبهما للإنسان المعاصر فإن ذلك هو في سياق ما كشفته لنا العصور القديمة والحديثة حول طبيعة الإنسان تمثيلاً لنا تصوره لنا العلوم الحديثة من التأملات المتقابلة في الكشف العلمي الحديث.

ولا عجب في كل ذلك وفي هذا التلاقي لأن الإنســـان هو ككائن مادي وككائن حي ونفســي قطب في هذا الوجود نسـبة لغيره كجميع الكائنات الأخرى- والفكر هو بحد ذاته طاقة غير منظورة وكذلك الحياة ولا بد من أن يتخذ هذا التفاعل المتقابل وهذا التأثير المشترك شكّل سننٍ وشرائع علمية تهيمن على مجرى هذا التفاعل في التكرار والتردد والاتصال".ص ٩٠

بلى هو الإنســـان لغز الحياة والتاريخ والوجود؛ هو لغز الأزل في هذا الوجود, ليس من حيث طبيعته فحسب , لا بل من حيث مكنونه أيضاً .

والفكر,إنما هو طاقة حسـية فاعلة ومنفعلة في مادة الطبيعة,هذا إذا ما كان الفكر طاقة, وإذا ما كانت الطاقة حسية, وكل حس يفعل وينفعل لذا نرى أن

تلك السـنن وتلك الشـرائع تفعل وتنفعل كونها فكرية مادية وكل فكر لا بد أن يكون خاضعاً لأنه ينفعل , وكل الذي ينفعل يحمل الخطيئة في ذاته.
الأم الحقيقية
يقول المعلم : " لا بد أن نحمل هذه النظرة لشرعة حياة الإنسان الأزلية ... التي يمكن أن تتبدل في شكلها وشرعيتها الحقوقية ولكن جوهرها يبقى هو ذاته, وكذلك الملكية الصغيرة للإنسان وهي من طبيعة أناها الظاهرة وهو المالك لجسده ولحواسه ولفكره, وكذلك العيش في كنف الطبيعة, وهو ابن لها وهي أمه الحقيقية, وهي أيضاً ممارسة الحرية بالنسبة للإنسان كل إنسان, ولكن في حدود العقل وفي نظامه المتغير في شكله ولكن جوهره واحد". ص ٩٠
هي حقيقة التناغم بين شرعة الحياة الأزلية في مكنونها وفي ظاهرها إذا ما كان العقل هو المحرك إرادياً لظواهر الأشـياء المادية من ذات مكنونه الثابت أبدياً, إذا ما كانت منسجمة ومتناغمة مع حركة الأفلاك ونظام الوجود.
ولا بد من أن يكون للطبيعة أعماقاً وأبعاداً قد لا تراها عدسة الفيزياء العلمية أبداً لأن تلك العدسة صناعة فكرية غرضها مادة الفكر , لا مادة الطبيعة الحية الزاخرة بثروات الوجود العظيمة إذا ما كانت هذه الثروات هي هبة الوجود إلى الإنسان.
وقد قلنا سابقاً : إننا جبلة من الطبيعة مغموسة بماء الأزل, لا بل مغموسة بروح الأزل. لنجد أن الطبيعة موكولة من النفس الكلية بالإشراف المباشر على المادة. هذا حسب ما قاله الأستاذ [ آرمسترونغ ]. وهي القوة الروحية الرابعة بالوجود-حسب رؤية أبو حيان التوحيدي.

## حوار حول كتاب الشعر [ فرح ]

يســأل المحاور وضــاح الحلو المعلم قائلاً:" كان كتابكم الشــعر [ فرح ] مفاجأة للجميع. هل هو تأكيد لأهمية الفرح الإنســاني في هذه الفترة القلقة,وللرؤية الشــاملة للفن الحقيقي والإحساس الشعري الباطني .... ؟

يجيب المعلم : في الواقع, كان الكتاب محاولة لتفهم واستيعاب الجدلية في معناها الحقيقي, أي استيعاب وحدة التناقضات...إن الأساس الأول لنشوء الجدلية قد عبّر عن نفسه في الثقافة اليونانية وبعض الحضارات القديمة ... لهذا السبب أنا اعتبر أن ما من شيء قائم بذاته .. كل شيء يقوم بالشيء الآخر,أي يقوم بنقيضه في النهاية , كذلك نظرية المعرفة .. ما من شيء مدرك نستطيع أن نعتبره مستقلاً عن الشخص المدرك... هناك عملية الإدراك .. وفي عملية المعرفة الفرضية تقوم وحدة للجدلية بين العارف والمعروف ... هذه النظرة للوجود هي ما أسميته الوجودية الحقيقية لأنها ترتكز على وقائع الوجود كما هو .. لأنه, في النهاية, يوجد وحدة جدلية بين الروح والوجود الظاهر لا يمكن فصلها ...

ويقول المعلم : هذا وجه من الديوان .

أما الوجه الجدلي الآخر منه فهو اعتبار انوجاد مادة هيولية وراء هذا الوجود الظاهر,مجردة عن أي هيولى بالمعنى ذاته,وليس لها اسم بالمعنى الصحيح للكلمة لأنها فيما يتعدى الأسماء والصور الفكرية ونعني هذه [الهيولى اللاهيولانية ]ما كان يســميه الفلاســفة اليونانيون القدماء (بالطبيعة المولدة) أي المولدة بذاتها لجميع الصــور والكائنات أو هذا المعين الأخير الذي تولد منه جميع الأشياء .. إن طبيعة الظواهر هي واحدة لا اثنتان... وفي هذا المســتوى تنتفي الازدواجية, وكأن أحادية الطاقة هي مصــدر الوجود,كل وجود..وهكذا يكون الوجود الظاهر,من مادة وحياة,مجرد حركة ولا يوجد إلا الحركة في الكون. . وهنا نقع على وحدة جدلية أخرى هي وحدة المادة والطاقة, أم وحدة المادة والحركة, كون الحركة مظهر من مظاهر الطاقة"ص ١١١

صحيح أن المعرفة سابقة الإيمان, إذن هي الأولى, وأن الحركة المطلقة تتعدى القوة, وليس للفكر علاقة بها. فقد سألت أحد رجال الدين السؤال التالي, أيهما

الأسبق بالنسبة لك , العلم أم الإيمان ؟ فأجاب قائلاً : الإيمان. فقلت : لا بل العلم من أجل أن نتعلم الإيمان. هذا بالنسبة للسؤال.

إن ما مرّ معنا في كتاب " فرح " قد يتعدى الجدلية إذا ما كان يتناغم مع الروح. وما من شيء قائم بذاته حسب قول المعلم, لنقل: أن الجوهر الشريف النوراني هو قائم في مادة شريفة, كما أن المدرَك هو الإضافة الفعلية للشخص المدرِك .

وفي الجدلية نرى" أن العالم يشكل وحدة جدلية قائمة على تجريد الفعل,لأن جدلية الحركة فيما بين المفهوم والموضوع تجعل الحقيقة جلية على ظاهر الحركة, وأن ظهور الحقائق وتجليها على ظواهر الأفعال؛ يجعل منها وسائل حقيقية للوصول إلى الحقيقة الكلية التي هي غاية كل فعل. وكل حقيقة تعي سبل التوحيد بين ظاهر الموضوع وعلل وجوده, تجرد الحركة والفعل للغاية القصوى منهما. وهناك ملايين الحقائق التي تشير بالوعي وتدل إلى حقيقة واحدة كلية جوهرية مطلقة ومجردة".

بلى , توجد وحدة جدلية بين الروح والوجود الظاهر قد يعيها من ينتظم في سنن الوجود ونظامه حيث يصبح هو الحركة الإرادية في تحقيق تلك الوحدة المتناغمة ذاتياً.

إن الفكر اختلاف,وأن جدلية الاختلاف لا تشكل وحدة,إذا ما كانت الحزبية تحمل في ذاتها مصلحة وليس حقيقة, وشتان ما بين المصلحة والحقيقة , فالمصلحة ذاتية التكوين , بينما الحقيقة مجردة للغاية القصوى من الوجود.

نحن في الحزبية نختلف على مصالح ذاتية , لكننا في طلب الحقيقة نتجرد إليها, وإذا ما تجردنا من كل فكرة وفكر, نكون الحقيقة في ذاتها, نكون وحدة متناغمة في البسط والغبطة والفرح,وهذا هو جوهرالتوحيد الذي ينتهجه خلق في هذا العالم جلهم لا يعرفون جوهره الحقيقي,مع أنهم يقولون"إسلام– إيمان– توحيد " فالإيمان جوهر الإسلام, والتوحيد جوهر الإيمان, وهو هو الغاية القصوى في الوجود.

ونرى في الوجه الجدلي الآخر : أن الوجود " صـورة ومادة " صـورة في ثبات مطلق, ومادة في حركة مطلقة, الصـــورة هي نقطة بيكار الدائرة, والمادة مظهرية الدائرة, الصورة محركة للدائرة إرادياً من صميمها حيث هي الصميم, والمادة متحركة إرادياً وليس بقوة الطاقة,إذا ما كانت الإرادة عقلية جوهرية فوق القوة التي هي عائدة إلى الفكر من أجل السيطرة على الحركة التي يستطيع نهبها من صراط الحقيقة, لتصبح القوة هي الطاقة لأنها مادية.

إن الهيولى هي مادة بالقوة,قابلة أن تصبح مادة بالفعل إذا ما اتحدت مع الصـورة بفعل الشوق, كما أن الطبيعة مادة بالفعل وفي احتوائها إلى الصورة, تصبح مادة حية وإذا ما فنيت المادة مع فناء الفكر, يتجلى الجوهر حيث تنتهي الثنائية ليصـبح هو " القائم في ذاته ". إذاً, هناك الثبات المطلق , والحركة المطلقة من ثبات مطلق.

إن طبيعة الظواهر مختلفة حسب اختلاف ظروف وجودها واختلاف مادتها,وأن هذا الاختلاف صانع الازدواجية التي تزول بزوال الفكر الذي جسّد الاختلاف.

ولا يمكن للطاقة أن تكون أحادية بعد أن جسّدها الفكر بالفعل وجعلها في خدمة أغراضـه المختلفة, لأن اختلاف الكثرة المادية يؤدي إلى اختلاف الطاقة, وأن إقامة التناقض والتضـاد والصـراع والحرب, قد وضـع الطاقة داخل قيود ذلك الاختلاف حيث أصبحت رهينة الفكر.

صـــحيح أن الوجود الظاهر من مادة وحياة, مجرد حركة, لكننا نبقى نبحث عن محرك, ومنذ الأزل والإنسان يبحث ويتأمل ويتقصى في تطلعاته واستغاثاته ونجواه عن هذا المحرك لنقل : إن الوجود وجوب محض, لا سلب فيه, هو مشحون بضمير إنما هو ضمير الوجود وسابقه, مبثوث بكل ثنياته,يحركه من صميمه,حركة إرادية. إذاً , من الذرة نبدأ:

قال علماء الفيزياء : إن الذرة تتألف من شحنة بروتون موجبة, وشحنة الكترون سالبة , ونيترون عديم الشحنة.

لنسـأل علماء الفيزياء السؤال التالي : من أين أتت الشحنة إلى الذرة وهي مادة يابسة لا حياة فيها ؟

وقد سألت بعض المتكلمين خلال محاضرة لي في المركز الثقافي لمدينة السويداء هذا السؤال , لم أحصل على جواب له .
وكان جوابي هو الآتي : إن الفلك مشحون بضمير,هو جوهر الوجود مبثوث بكل ثنياته يحركه من صـميمه, والجوهر ينبسـط ولا يتحرك حيث هو المحرك من ثبات مطلق. إذن, الجوهر هو بسـط وقبض, والبسـط والقبض هما فؤاد الوجود النابض, هو المحرك الحقيقي للوجود كالفؤاد أبداً, وكأنه ترنيم بسـط يسـتمد ويعطي, يسـتمد من الجوهر المحض ويعطي الوجود الظاهر.
إن الوجود هو أنت كون وكينونة, وليس ظاهراً وباطناً , إذا ما كنت جملة من الخلايا يحتويها الجوهر, فأنت أنت أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر.
إذاً,لا بد من أن يكون الكون جوهراً مبسوطاً في الوجود وهو ثبات مطلق, ومادة تشكل مظهرية الوجود وهي في حركة إرادية مطلقة من صميم هذا الثبات المطلق.
يقول المعلم: "وهنا نقع على وحدة جدلية أخرى هي وحدة المادة والطاقة,أم وحدة المادة والحركة, كون الحركة مظهراً من مظاهر الطاقة". ص ١١٢
نرى من خلال نظرتنا إلى الوجود أنه يتألف من "وحدة جوهرية وكثرة مادية". فالوحدة الجوهرية تتعدى الكثرة , لأنها بسـاطة محضـة, إذاً, لا بد أن يقابل الوحدة الجوهرية كثرة مادية من أجل أن تكون حجاب لها, والكثرة المادية في عالم الطبيعة هذه , خاضعة إلى التبدل والتغير والاستحالة لأنها دائبة الحركة.
ونرى أنه يجب أن يكون الوجود قائماً أبداً على وحدة ثبات محركة, هي جوهر الأجناس كلها , وروح الأجناس كلها, هو الجوهر المحض, مبدع الأجناس كلها, وسابق الأجناس كلها, هو الواحد الأحد.
فأنت أنت وجوداً مطلقاً, بك جوهر الثبات المطلق الذي يحتوي في صـميمه مبدأ الحركة المطلقة؛ الحركة التي تنطلق من مبدأ الثبات في ذاتها حيث تحمل من خلال هذا المبدأ؛ غاية الجوهر حين يصبح صراط أمرها فيما بين العلة والغاية ولا يتعداه.

فإذا ما كانت هذه الحركة غائية؛ تكون متحركة إرادياً من خلال إرادة عقلية غائية كحركة الوجود في دقة نظامها وشمولها وأبديتها, وهذه هي الحركة التي تصل إلى غايتها إذا ما تحققت بوعي الإنسان لها .

ونرى أنه يجب أن يقابل الوحدة الجوهرية , كثرة مادية هي في غاية الاختلاف من حيث عدم ثباتها, وتباين عناصرها, وتمايز معادنها, وما إلى ذلك.

وأنت أنت تلك الكثرة التي إذا ما انتظمت في نظام الوجود,وارتقت بوعي جوهر وجودها إلى وعي الغاية منها , والتي هي تحقيق الكمال لذلك الجوهر, أضحت مادة شريفة طاهرة معتوقة من عبودية الفكر,سيدة أمرها, لتصبح حركتها إرادية غائية حرة في عالم سيد حر- لتصبح أنت عالم تلك السيادة الحرة. ......

ومن الأسئلة التي وجهها السيد وضاح إلى الأستاذ كما جنبلاط , السؤال التالي:

ما علاقة الفكر الواعي بالحدس ؟

يجيب المعلم قائلاً: " الحدس يتم عندما يتجرد الإنسان من الالتزام بما يدركه من ظواهر .. أي عندما يقف الإنسان موقف الشاهد من الأشياء .. عندما يتجرد الإنسان من الالتزام يكون هذا الإنسان في سكون فكأن العقل فيه يتوجه, ولو إلى لحظة, إلى حقيقة هذه الهيولى اللاهيولانية ونسمي ذلك.. إذاً,فالحدس هو نوع من الفكر السريع دون إطلاع على مراحل التفكير. .

والشيء الأكيد الذي لا يتبدل في الإنسان هو الوعي الآتي من التنور الذي به نلمس, نفكر, ونصنع به كل شيء وبه تكوّن كل شيء في الكينونة الداخلية والخارجية ". ص ١١٥

هي الحقيقة , فعندما يتجرد الإنسان – لا بد أن يصبح في عالم العقل, لأنه تجرد من عالم الفكر,وحين يصبح مجرداً من أي فكرة وفكر؛يصبح شاهداً على فعل الفكر من ذاك الجبل المطل على مدينة الفكر المزدحمة بانفعالات الفكر بالأغراض.

فقد قلنا في أول عبارة من كتابنا " ضياء العقل " الذي كتبناه في نهاية القرن

الماضي, ونشرناه في عام ٢٠٠٦ م قلنا " عالم العقل هو شاهد على عالم الفكر,إذا كان عالم الفكر هو القائم بالفعل, وإذا حضـــر عالم العقل, وقام بفعله العقلي , غاب عالم الفكر".

إن طيبة المعلم هي في سعادته الذاتية, تلك السعادة الهانئة في وداعة كيان من الجمال القدسي, في عالم من القداسة النورانية التي يتوق إليها من يعيها, ويكفر بها من يجهلها,وعالمه هذا ليس سكوناً, فأنا قد رفضت نظرة زينون بالنسبة إلى السكون حين " رأيت أن السكون لا يوجد إلا في داخل الحركة المادية هذا إن وِّجد". إنما هو بساطة جوهرية,بساطة غبطة شوق وسعادة وحبور,فالمعلم في خلوته,لا بد أنه كان في وداعة تلك الوديعة النابضـة بالحب – بالحياة – بالغبطة الحقيقية, وهذه هي ثمار ما غرس, وعبق ما زرع, ونعيم ما فعل...

بلى,أن الوعي لا يتبدل حيث تعدى عالم الحركة إلى عالم الثبات – عالم العقل- مبدع الحركة ومجريها في الوجود المادي (فالسيد الحر قائد لقانون الطبيعة) حسب أفلاطون. وهذا السيد الحر هو المعلم الذي بقي يظن أنه فكر وهو عقل من عالم العقل مثله مثل معظم الفلاسفة المثاليين.

سؤال: المرأة والحب؟

يجيب المعلم :" كل شـــيء ينظر بهذا المنظار . الحب علاقة جدلية .. في النهاية لا يفرق الأشياء جسداً و روحاً. طبعاً يصل الإنسان إلى مستوى من الحب الحقيقي الذي ينعدم فيه أي مظهر للعلاقة الجدلية الأولى, أي يصـبح الحب محض عطاء أي غيرياً بكل معنى الكلمة .

لهذا يوجد نوعان من الحب. البعض محبتهم أنانية,والبعض الآخر محبتهم مجردة عن كل أنانية أي غيرية لا تطلب شيئاً مقابل عاطفة الحب, وساعتئذ يتوجه الحب إلى حقيقة الإنسان.. " ص ١١٦

وما يقوله المعلم:" الحب هو الذي آلف مراسي الوجود.. الحب قوة داخلية تجمع كينونة الأشياء – الحب الحقيقي هو طريق الوصول إلى الاحدية. .

لنقل: إنا وإن كنّـا, فنحن جذوة الحب المبارك في عناصر الوجود. ليس هو الحب الخاضـع إلى مادة العواطف تلك؛إنما هو الوعي لجوهر الحب,هو نغم يترنم على شذا ألحانه فؤاد الوجود , فعلى وتر الحب الصامت الصافي نسمع لحن الخلود, إذا ما كان الصمت يسمعنا نغماً بلا وتر,حين يترنم في ذاتنا النغم والوتر.
جميل هو الحب إذا ما كان في قدس أقداسنا-إذا ما كانت أقداسنا صوامع محبة,علنا بالروح نحب– بالله نحب– بالوعي نحب - من أجل أن ترقى الحياة فينا – من أجل أن تصبح هي في ذاتها- جنات نعيم – وحدائق حب – جميل أن نعي الحب الحقيقي – من أجل أن نعي الحق والحقيقة – من أجل أن نحيا حياة الحقيقة – حياة الحب الحقيقي.
"السيدة والبستان ",هو البحث الذي وضعناه إلى جميع النساء والرجال في كتابنا " الإنسان والوجود ", ص ٦٣
ســؤال : ألا تعتقد بأن البعض لا يملك أهلية التطور؟ يجيب المعلم : " الوعي هو الشـــيء الأســـاســـي في الإنســـان .. ولا شـــك أن مفتاح العقل هو المعرفة .. من الضروري اعتماد دراسة الجدلية في المدارس بحيث نسهم في تحرير الإنسان وفي جعله ينفتح للعيش كما يجب أن يكون .. فمعظم الناس اليوم خاضـــعون لمخدرات فكرية, وعقائدية, أملتها بعض التقاليد القديمة .. بالطبع, هناك تقاليد قديمة لكنها سليمة .
ويقول المعلم أيضاً: لقد قال السيد المسيح:" إذا كانت بصيرتك طاهرة فكل جسدك يكون في النور ". البصيرة هي العقل في النهاية". ص ١١٦
بلى,فالوعي هو الشيء الأساسي في الإنسان,هو الوعي الذي يرقى بمعارفنا إلى حيث تتعدى القيود من أجل أن نصبح في مواقع السيادة الحقيقية. هو الوعي الذي يرقى بنا إلى عالم الإرادة – عالم العقل– بعد أن نتحرر من موبقات عالم الفكر- بعد أن نغتسل من ترابيتنا الثقيلة بماء الجوهر- هو وعي المعرفة من أجل أن نبسط السبل إلى صراط الأمر,إلى حقائق الوجود,هو عالم الغائية الذي نفته فلسفة عصر النهضة الأوروبية من نظام الحياة حيث ألغت نظام الحياة , هو الوعي الذي

يتناغم مع الحق والواجب, مع نظام الوجود الحق, مع جوهر الحياة والوجود, مع كينونة الإنسان في الحياة , مع العقل الجوهر, مع الله.

وفي لحظة حرة لمخيلة المعلم طافت عبارة حرة من قيود الفكر تؤنسه كما هو في غاية الإيناس ليقول : البصيرة هي العقل في النهاية . تلك العبارة التي كنت قد تعلمتها منه وبقيت كما بقي في كياني .

فالعقل مصدر الشوق,هو العلة الأولى,هو المبدع,وكل شيء راجع إلى عنصره بفعل الشوق. إذا ما كان النور ينبلج من مصدر النور, من جوهر النور, وليس من ذلك الفكر صانع الموبقات.

كمال جنبلاط الحكيم .. في مقابلة مع ملحق جريدة النهار.. إدوار الزغبي

" كما تأكل تكون ". الشوفيون يعتبرونه حكيماً بالقوة. يعرضون عليه أمراضهم و يسألونه عن العلاج, وإنه يسرح, ويحلل, ويحدد , ويصف. و وصفاته ليست سوى دعوة للعودة إلى الطبيعة,والبساطة, والبعد عن (الأكل الحضاري). وتراه يلح على زائريه أن يجعلوا نسبة الخضر في مآكلهم ترتفع إلى ثمانين في المئة. والدواء الوقائي ضد مرض العيون,وآلام المعدة والكليتين, والربو, والسرطان, هو في رأيه نبات القمح الذي لا يزيد على خمسة عشر سنتيمتراً.

فقد طالعت خلال زيارتي عن شعب لا يعرف المرض اسمه شعب الهوانزا الذي يعيش على حدود التيبيت وباكستان .. يعيش الشخص منهم ١١٠ سنين و١١٥ سنة و ١٣٠ سنة. والظاهرة الغريبة, أنهم لا يشيخون , ولا تظهر عليهم بوادر الشيخوخة,

يرى المعلم أن الحضارة تبدأ من عقل الإنسان ومن أعصابه, فالصحة الجسدية تحدد, في الواقع صحتنا العقلية أو النفسية, فنكون أو لا نكون". ص ١١٨

## مقابلة مع صحيفة الصفاء أجرتها معه لمياء ثابت .. بعد عودته من الهند.

يقول المعلم :" الهند, بالنسبة إليّ , هي جوهرياً لقاءاتي مع الحكماء. فالحكمة تتنزّل من المعلم إلى المريد. إنها الهبة المباشرة مما يسمّى العقل الأرفع.

والمعلم,باتصـــاله, هو الذي يكشــف الحقيقة القائمة منذ الأزل في المريد. الحكيم لا يوحي شيئاً إلى المريد, لا يعرفه المريد. إنما يجعله يستوعبه بكل بساطة, تخيـّــلوا أنكم قد التقيتم شـخصـاً ما يسـألكم عن عقده, إذ يخال أنه أضـاعه فتجيبونه : العقد ها هو في عنقك ".

ويقول المعلم:" إن الأديان وجدت لجعل الإنسـان يرتفع معنوياً وخلقياً, وهي غير مخصّصة ليوحى بها عن طريق وسائل التبشير والتعليم الديني العادية. إنما هذه الوسائل مخصّصة , حصراً, لإعداد الميدان أمام المؤمن, ولتحضير الإنسان لكي يتساءل عن الأساس : ما الله , وأيضاً من أكون؟ ومن الواضح أن السؤالين ليسا إلا مسألة واحدة".

- سيد جنبلاط , ألا يستطيع السائل أن يفكر, وأنت الحكيم بأنك لا تكشف شيئاً إلا ويعرفه من قبل؟

لا أستطيع أن أقول ما الله ما لم أكن موجوداً هنا. إن بيكون الذي أورده إنجلز بكل طرافة,في كتابه Enti-Duhring,ألم يكتب:" الشيء الوحيد الذي لا أستطيع إنكاره هو وجودي بالذات؟ " والدين يطرح مسألة الحقيقة على المستوى الثنائي : علاقات الذات بالموضوع, أو علاقات الإنسان بالكون أو علاقاته بالله.

"هذه الثلاثية– الإنسان/ الكون/ الله–لا بد من تخـّطيها لاستكشاف الأحد, الحقيقة. وإننا بالحكمة نتوصل إلى الكشف. فالحكمة تصوّر توحيدي, يرقـّـي هذه الثلاثية ( الإنسان/ الكون / ألله )أو هذا الثالوث( الجسد / الفكر/ الحواس)". ص ١٢٦

إن فضيلة الحكمة والحكماء هي أنهم فضيلة الوجود الحق, وفضيلة الإنسان هي وعيه أنه هبة الموجود الحق – أنه فضيلة الوجود.

ونكتفي بقول المعلم : فالحكمة تتنزّل من المعلم إلى المريد. إنها الهبة المباشـرة مما يسمى العقل الأرفع. لنقل: إن الحكمة هي السبيل إلى العقل, أي أنها تحررنا من قيود الفكر من أجل أن نرقى إلى نحن بالحقيقة, إذاً, لا بد أن نقول : لا توجد

الحقيقة في عالم الفكر , إذا ما وضع هذا الفكر بينه وبين الحقيقة عالماً سعته التاريخ كله.

إن الأديان لا توجد, إنها دين الله الواحد,هو الدين المتجدد, فالذي قاله موسى عليه السلام؛ قاله خاتم الأنبياء محمد "ص"مع ما لزم لقاء تطور البشر, ولمواجهة الفكر بما لديه من وسائل للاختلاف والكفر والتفرقة.

كان يحتاج بيكون إلى إثبات وجوده جوهرياً, لكن ما قام به هو إلغاء الجوهر من الوجود حيث وجد من خلال فكره المادي,أن لا داعي للجوهر,فيكون قد ألغى الروح والعقل والله معاً, والحقيقة وجوهرها , ليصبح الإنسان جسداً بلا روح.

إن فضيلة الدين هي غرس الفضيلة في الوجود, من أجل أن تنعم الحياة بفضيلة الوجود. فالدين يغرس ورود الحقيقة في حدائق الحياة من أجل أن يصبح البشر في ذاتهم – ورود ورياحين تلك الحدائق.

فالدين وعيه, على أنه إرادة حياة لمن يرقى بالدين إلى مواقع الإرادة , هيهات هذا لمن هو يرزح تحت رغبات الفكر.

لا بد من القول: إن الدين يحرر,يسـمو ويرقى بالفرد إلى الحرية الحقيقية, إذا ما كانت جميع القيود صناعة فكرية, فالكذب والدجل والنفاق هم صناعة فكرية. قال لي والدي الأميّ ذات يوم :" إن الإنسان مركّـبٌ على الخطأ ". علم ذلك من خلال رؤيته إلى مجتمع الفكر, وما هو في ذاته كانسان.

## جنبلاط الكون , والله.

يقول المعلم:" الحقيقة الواحدة, الفريدة, المطلقة,هي قاطرة كل شيء". ص ١٢٧

- كيف يطبّق جنبلاط نفسه، في الملموس, في حياته اليومية؟

"هذا المسـلك يحفظني على مسـتوى الحقيقة المطلقة.وإن التقشـف البسـيط المطلوب هو اعتبار الجسـد,الروح,الأنا,الظواهر,كأنها مدّ دائم التبدل, لا هوية ذاتية, موجودة وغير موجودة في وقت واحد. لأنني حينما

أبصرها, تكون قد تبدلت.
ويقول المعلم:" قوام الحكمة أن تكون على الدوام واعياً لهذا التبدّل في الأشـياء, وأن تقرر في نهاية المطاف إن الشـــيء الوحيد الذي لا يتبدل هو الأنا. قوامها أن تكون واعياً لديمومة الأنا واستمراريتها في سيلان كل شيء داخلي
أو خارجي. فكل واحد منا هو المطلق في حقيقته الحميمية, الذاتية الداخلية الأخيرة الإنسان هو المطلق. الكل هو المطلق. ونحن نملك سلطاناً إلهياً, سلطان الإبداع. لأن إحدى وظائف الفكر هي إبداع العالم الخارجي".ص ١٢٨
نحن مع المعلم في قوله أيضاً :"وإن مجرّد رؤية حكيم ما, هي كشف للحقيقة. فالحكيم تخطى كل تعارضات الازدواج. إنه وحي ذاته بالنسبة إلى ذاته وسواه, إنه المطلق.
ولا بد أن يكون الحكيم قد تخطى ازدواجية الفكر والمادة, الفكر والتضاد, الفكر والمصلحة,الفكر والذاتية–من أجل أن نقول عنه كما قال معلمه عن الحكيم :" أنا لست فكراً وليس لي فكر ... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال" أتمننداص ٤٩ تقديم كمال جنبلاط .
وقال الحكيم أيضاً :" المعرفة عندما تكون غرضية , تصبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا " تبقى كالشاهد على الفكرة " ص ٥٤
وقال الحكيم أيضـــاً :" إذاً وبمعنى أدق , لا يوجد فكر. يوجد فقط وعي, وفكرة الزمن هي محض افتراض سببه الخداع ". ص ٤٢
"فالحكماء أجمعت بأن الفكر هو الجهل,والصفاء الكلي هو المعرفة,فبالمعرفة وحدها طريق الخلاص ". أتمننداه في كتاب أتما دارشان ٢١
إن قانون الوجود هو "وحدة جوهرية- كثرة مادية".الوحدة مبدأ الكثرة, الوحدة ثابتة أزلياً, والكثرة متحركة أبدياً, والثبات جوهري مطلق يتعدى كل شيء, سيدٌ حرٌ مستقلٌ , لأنه منزه عن الانفعال والخطأ, هو الكمال في ذاته, والكثرة خاضعة إلى التغير والتبدل والاستحالة والانفعال والخطأ,لأنها تتجه إلى غاية الكمال.

فالروح,إنما هي من الأنا [ الوحدة الجوهرية ] الثابتة أزلياً,هي ليست خاضعة إذا ما كانت من صميم الوحدة الجوهرية,( بساطة محضة)

الروح مستقلة عن الموضوع لكنها ليست منفصلة عنه لأنها اتحدت به بفعل الشوق, وكل جدلية لا تتجرد إلى الحقيقة, لا علاقة لها بالروح.

إن التبدل قد يكون إرادياً, بفعل الإرادة الكلية كحركة الأفلاك, وكل ما يقصر عنه الفكر, من حركة غائية , ومن فعل الطبيعة.

فالماضي والحاضر والمستقبل يشكلون حركات نحو جميع أقطاب الدائرة, خلال تسلسل زمني أحادي الاتجاه, ولا بد من أن تكون وليدة القاعدة, لتصبح أمهات, ثم وليدة ذاتها واستمرار تلك الولادات أبدياً.

إذاً,لم تنفصل حركات التاريخ أبداً , لأنها مرتبطة بزمن دائم الحركة وثابت الاتجاه إلى الأمام كما أنها مرتبطة عضوياً بأسباب ونتائج.

إن وعينا للماضي والحاضر يحدد نظرتنا إلى المستقبل,إذا ما كان الماضي والحاضر هما معاً بناة المستقبل.

إن المطلق هو الله (الجوهر المحض) هو الوحدة الجوهرية المبثوثة في كل ثنيات الوجود,وأن مظهرية الوجود هي الحجاب المادي لتلك الوحدة الجوهرية , هنا,لا بد من معرفة الوجود من أجل أن نعلم من نحن منه,وأين هو المطلق منّا.

فإذا ما عدنا إلى الآية الكريمة من سورة السجدة التي تقول: " ثم سواه ونفخ فيه من روحه". لا بد أن نعلم أننا من روح الله, أننا من صميم الجوهر, أننا جملة خلايا يحتويها ذلك الجوهر, أننا أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر.

يقول المعلم:" ولدى الموحدين هذه الإشارة: م: قالها: ولدى الدروز.

حتى يُطلع المطلق الكائنات المشاركة في جلاله الخاص، عكس من حوله مرايا يُستمتع في النظر فيها إلى شكله الخاص الذي لا أشكال له".

إنما هو الوعي الذي يحقق الرؤية, إذا ما كان يتناغم مع ذاته في أشـــياء الوجود ويبقى الوجود شاهداً على ذلك التناغم.

إن الوعي الذي يتعدى أحجبة الفكر القاتمة, يكشـف عن المكنون, فيتجلى في ذات الوجود صوراً تردد نغمه في سبحات الوجود المبسوطة في غبطة ذاتها.

إن كل من يعي أن الوجود نغم؛لا بد من أن يكون وتر ذات النغم, وتر يصف في صفاء البسط غبطته.

هذا حين يرتقي الناظر إلى أن يرى بعين المنظور؛هنا تتوحد الصورة المرئية حيث تصبح الصورة والمصور والمتصور... واحداً .

سؤال: لماذا تصدمون الآخرين, ولماذا أنت شخص يُجَادل فيه كثيراً؟

يجيب المعلم:" إن الحقائق الصغيرة التي تقال للآخرين, يعتبرونها غالباً كأنها فضائح. لكن المسألة اليوم, وبكل تأكيد, هي مسألة الحقيقة.

أما الحقيقة السياسية فهي أولاً تطوير الإنسان في اتجاهه الطبيعي,وهي إبعاده قدر الإمكان عن تصنّع الحضارة الغربية.

المقصود هو منح الإنسان الشعور بالتكامل الكلي بين الروحي والزمني في حياته. الشعور بضرورة الشريعة الأخلاقية المرتبطة بالنظام الكلي. بشريعة الكون؛ وعندما يخالف العرف البشري هذه الشريعة تقع الكارثة. ". ص ١٢٩

نرى أن الإنسان قد راح ينحدر في كل يوم إلى درك لم يكن متوقعاً, وقد أصبح هذا الانحدار مخيفاً ومفزعاً حين أصبحت جملة الموبقات مألوفة لدى مجتمعات تجد فيها عصرية تغذي أهوائها, وكل من لا ينغمس في تلك الأهواء,تراه عقبة في سبيل التطور حسب رؤية هذه المجتمعات.ومن أجل الانتباه إلى ما يجري في عالمنا هذا؛ فقد وضعتُ بحثاً بسيطاً تحت عنوان " لقد شاخ هذا العصر " في كتاب نشرته هو " الحقيقة ومرآة العقل ص ١٥٧"

إن التكامل الروحي الجسدي يتطلب وعي الروح والجسد, وعي العلة والغاية, ليس حسب ما قدمته الفلسفة الأوروبية الحديثة,لا بل حسب ما يكشفه الوعي لمكنون الحياة والوجود.

إذا ما كان الوعي يحقق لنا السعادة الحقيقية والسيادة الحقيقية؛ فلماذا لا يكون هو المنهج والنهج من أجل تحرير النفس والحجر والنبت من جهنم الفكر.
لا سيادة تحت قيود, ولا سعادة تحت سيف القوة, ولا حرية مع الجهل, ولا أمان في عالم الحرب هذا.إن الفوضى التي يعيشها عالمنا اليوم؛هي نتاج الفلسفات الخاطئة, والتي نبّه عنها المعلم الحكيم كمال جنبلاط .
إن الوعي يحقق غاية الوجود بجميع كائناته, ويجعل الإنسانية أسرة واحدة قائمة على الحب والسلام والسعادة والفرح.

## مقابلة المعلم مع صحيفة الأنوار ١٩٧٢

سؤال: عندما تكون في حالة تأمل, ما هي طريق العودة التي تسلكها نحو العودة إلى الحياة الواعية؟
يجيب المعلم:" التأمل ليس حالة خاصة بحدّ ذاتها, إلا إذا كان التأمل محض تأمل فكري, أي تحديد الفكر وتوجيهه إلى غرض مادي أو مثال معنوي".
راما, سيدة ضليعة في علم اليوغا, تقول ليّ: حين أتحرر من العقل وأدخل في تأمل الفكر.
هنا قاطعتها بقوة,وقلت لها: إنما أنت في عالم الفكر, وفي سياق الفكرة المتجددة وهذه الفكرة مادية غرضية , فمن أجل أن تستطيعين التأمل , يجب أن تتجردين من كل فكرة وفكر ومن كل ثقل ترابي من أجل الارتقاء إلى عالم النور الجوهري, عالم العقل المتسامي عن عالم الحس الذي تعبث به رياح الفكر. فأنت تفكرين وتبحثين وتتقصين عالم الفكر هذا بالفكر,بالحس, بما هو مادي, لكنك إذا أردت الخلاص من عالم الفكر ,عالم الأغراض والمصالح والرغبات هذا حيث إن ثقله الترابي يقصيك عن السمو والارتقاء, وأنت في موقع إرادي دأبه السمو إلى عالم الإرادة العقلية والانعتاق مما هو حسي؛هنا عليك الجلوس طويلاً

حتى تتجردين من كل فكرة وفكر , إلى يقظة يذوب فيها الزمان والمكان , وتتجلى الإرادة العقلية, هنا تتجلى الحقيقة.
ألم يقل سقراط المعلم :" أسدد الخمس الكوى تعرف مسكن العلة". ألم يقل أتمننندا المعلم :" أجمعت العلماء على أن الفكر جهل ". بلى هو جهل لأنه يجهل درب الحقيقة التي هي السيادة الحقيقية والسعادة الحقيقية إلى جميع البشر.
وقد كان السؤال خاطئاً , لأن عالم الفكر هو عالم الغفلة, وليس عالم الحياة الواعية. لأن عالم الحياة الواعية لا تقع خطيئة فيه, فالخطيئة رفيقة الجهل.
يقول المعلم:" أما التأمل الحقيقي فهو إراحة الفكر, أي جعله يرتاح من كل انقباض فيصبح الفكر خاوياً من كل فكرة أو شعور, وطبعاً يحلّ فيه لون من ألوان الفرح الداخلي. وهذا اللون من التأمل يهدف في النهاية إلى تلاشي الفكر ومحوه تماماً من ذاك الذي ينبع منه في كل حين يشكل أفكار, من الوعي". ص ١٣١
إنني أجزم أن المعلم ليس فكراً,وليس له فكر,إذا ما كان غريباً على الفكر وعلى عالم الفكر,فقد كان المعلم وعياً من عالم الوعي,فإذا ما كان من طلاب المعلم أتمننندا القائل : " أنا لست فكراً وليس لي فكر... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال".إذاً,هو المعلم صورة من صور الغريب المفارق,لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال ... هو عقل .. إنما قال هذا تواضعاً منه.
فحين تزول الفكرة من حركة الفكر؛ لا يبقى فكرة ولا فكر. ولا تزول الفكرة إلا بزوال الفكر, وحين يزول الفكر تزول مادته القائم فيها والقائمة فيه , لأنه لا يحتوي جوهراً يحميه ومادته من الفناء.
إن التأمل يتعدى التلوين إلى الصفاء الخالص , ويتعدى الهدف إلى الغاية, حيث عالم الوعي.
سؤال , متى يكون الإنسان خليقاً بالموت ؟
يجيب المعلم :" الإنسان في حقيقته لا يموت, لأن ما من شيء في الطبيعة يضمحل ويزول, حتى الجماد , حتى المعدن, حتى الجزئيات الصغيرة من الذرة, والزوال هو مستحيل, أي أن يصبح الشيء لا شيئاً. لأن العدم هو غير موجود. إنما

كل ما يحدث فينا وحولنا وفي جسدنا هو تغير وتبدّل مستمر, وتحوّل من حال إلى حال .

فالموت إذن هو غير موجود بالنسـبة إلى الحياة. الموت هو عكس الولادة, ولكنه ليس نقيض الحياة. لأننا في كل هنيهة وفي كل برهة صـغيرة من وجودنا في هذا الجسد نحيا ونموت. إذ إن مليارات من الخلايا تموت في جسدنا وتولد مليارات من هذه الخلايا لكي تقوم مقامها". ص ١٣٣

هي الحقيقة لا شيء يفنى في الوجود, إنما هناك تبدل وتغير واستحالة للأشياء المادية فقط, لكل ما هو متحرك, لكن المحرك " الجوهر" هو الثابت السـرمدي. هو الوجود وهو الواجد, وهو الموجود, وأن هذا المكنون الإنساني هو من صميمه.

سؤال , لكن يبقى الخوف الذي ينتاب الإنسان من حالة الموت؟

يجيب المعلم:" الذي يخاف من الموت, ليست الحياة فينا,بل هذه [ الأنا ] الظاهرة الأنانية التي توحدت خطأ في هذا الجسـد, لأنها تظن أنه هو الحياة, بينما الحياة تعبر بالجســد بحد ذاته, كما تعبر طاقة الزوابع الصــغيرة في الماء فتحركها فترة من الزمن. فإذا أدرك الإنسـان حقيقته, أي أن الحياة كلها فيه لا جزء منها, كما يتصـور بعضهم, لأن الحياة ليست عنصراً مادياً يتجزأ, بَطـُلَ الخوف وانهزم الرعب في أعماقه, وحلت والطمأنينة". ص ١٣٤

هو فعل الإرادة الإلهية حسب جميع الأديان والمعتقدات حيث صار الإبداع من صميم دائرة الوجود,من مصدر الشوق"الشوق المحض"هو شوق الصورة إلى ثبات جوهرها فاتحدت بالهيولى,وشوق الهيولى إلى إثبات وجودها فاتحدت بالصورة.

فالصورة مصدر الفعل والحركة,والجسد هو الحركة المحققة غاية الوجود بالفعل لتصبح الحياة في مكنونها وفي مظهرها من أجل تكامل الوجود, فيما بين مكنونه وظاهره, فيما بين ثبات مطلق وحركة مطلقة من أجل تحقيق غاية هي غبطة في ذاتها,غبطة الصورة الدافعة من ذاته ما في ذاتها,وسعادة المادة المحققة وجودها من خلال حركة فيها تحقيق ذاتها في وجود هو غايتها.

إن جمال الصورة ينعكس في مرآة المادة فيبعث فيها جمال الحركة, ونضارة الفعل, وهذا ما يضيف صفات وسمات ومثل إلى مظهرية المادة مستوحاة من القيمة الجوهرية للصورة.

هذا ما نريد تحقيقه في إلغاء الفكر الذي ألغى الصورة الحقيقية هو السمو والارتقاء إلى المواقع التي أسقطنا منها الفكر لتكون الصورة بجمال جوهرها رائدة الحركة من أجل تحقيق غاية الوجود.

فمن أجل ثبات الحياة في عين الحقيقة, لا بد من وعي الحياة , وعياً جوهرياً, من أجل أن يكون الوعي هو القائد لحركة الوجود, إذا ما كان الوعي هو الذي يحقق الحياة الفرح.

إن الوجود الكلي من خلال احتواء الجوهر له هو حياة تنبض بالحيوية والجمال والخير والعطاء.

فقد نتحقق أبديتنا من خلال وعينا للحقيقة, حيث نعي أننا منها وإليها, والذي يفصلنا عن أبديتنا,إنما هو جهلنا لذاتنا الجوهرية الحرة أبداً.فنحن نخاف لأننا نجهل.

سؤال , ألا تشعر أن هناك اضطراباً في حياتك الصوفية والسياسية؟

"لا أشعر أن هناك تناقضاً: لأن ما من شيء في الوجود ينفصل عن المحرك الأول للوجود الذي هو العقل.فالكون هو وحدة تامة بكل ما فيه.إذاً, لماذا يكون هناك تناقض بين ما نتوهم أنه داخل الإنسان, وبين ما نتوهم أنه خارجه ؟

السياسة نشاط كسائر النشاطات التي يقوم بها الناس في حياتهم, وفق ما يوجههم إليه قدرهم. هذا القدر الذي هو نتيجة أفكارهم ومشاعرهم وأفعالهم. إذاً, ما يفعله الإنسان في هذه الحياة هو جزء لا يتجزأ من كينونته الداخلية". ص ١٣٤

إن فضيلة المعلم , هي أنه عَلَّم الفضيلة سواء في الصوفية أم في السياسة. وقد يكون الغريب في تصرفه هذا, إذا ما كان قد حّل عقدة التناقض من أجل أن يحقق الوحدة الكونية في ذاته. إذاً هو عقل وليس فكراً, حيث قال: ما من شيء في الوجود ينفصل عن المحرك الأول للوجود الذي هو العقل .

فحين عاد إلى نقطة بيكار الدائرة " العقل",يكون قد حّل عقدة التناقضـــات جميعها وأصبح في صميم الوحدة الكونية,وأن ما فعله كان فعلاً إرادياً كما فعل السيد المسيح الفعل الذي صار له وليس عليه.
سؤال , كيف توحد بين المتصوّف والاشتراكية ؟
" الاشتراكية نظام اجتماعي واقتصادي ومعنوي, يهدف إلى جعل الناس يتساوون ما أمكن في أوضـاعهم العامة, لكن الاشـتراكية ناقصـة, مبتورة, كما نراها في معظم البلدان إذا لم تتوّجها حضــارة معنوية تأخذ بعين الاعتبار, بأن ما يوحد الناس ويجمعهم ليس هو الجسد,وأجسادهم شتى, وليس هو الفكر وعقولهم مختلفة ومتنوعة كتنوّع الأزاهير في حديقة الرحمن, لكن ما يجمعهم ويوحدّهم هو معرفة الحقيقة والتحقق بها , والصيرورة في المحبة الأصيلة, الإنسانية, الراسخة, الشاملة, التي لا يعود فيها, أنا وأنت , بل يصبح فيها الكل واحداً.
ويقول المعلم: هذه هي الصـوفيّة من معناها الرفيع. الصـوفيّة هي ملح الأرض, لأنها اختبار الإنسان الرفيع لذاته, وهي ملح الاشتراكية إن صحَّ وقامت يوماً من الأيام اشتراكية سليمة وإنسانية في المعنى الصحيح للكلمة ".ص ١٣٥
ترى الاشتراكية " أن من خلال مصلحة المجموع تتحقق مصلحة الفرد" أي أن كل شـبر من الأرض هو ملك الجميع, وكل ما في المصـنع هو ملك الجميع, وكل ما في الوطن هو ملك الجميع . هنا لا بد أن يحافظ الجميع على جميع الوطن.
إن الاشـتراكي كادر مثقف يحمل رسـالة, بينما القاضـي في مجتمعات كثيرة ليس كادراً ولا مثقفاً ولا يحمل رسالة.
إن الاشتراكية علم وعمل يحقق هدف العلم,بينما في مجتمعات كثيرة يتم تحصيل الشهادة من أجل استحقاق الوظيفة, ثم يعود ذاك المحصّل إلى أمية المفاهيم السائدة في مجتمعه.
في الاشتراكية يتحقق العمل إلى الجميع من أجل خلق التوازن والتساوي وإلغاء الطبقات, بينما في باقي المجتمعات يتحقق رأس المال للأفراد الذين تعلموا وسائل الربح. حيث وصل أولئك إلى الرأسمالية, ثم إلى.......

في قرية " شورتاو الألمانية الديمقراطية "وضع أصحاب الأرض حصة الأرض واحد بالمئة,وحصة العمل تسعاً وتسعون بالمئة. وهذا دليل على أنهم يحققون رسالة الحياة الاشتراكية ... فقد تم ذلك قبل توحيد الدولتين.

إن الصوفية عطاء,وصدق ,ومحبة. وقد تحققت هذه جميعها في المجتمعات التي كانت اشتراكية على مرِّ التاريخ. والذي قام بتدمير جميع ما حققته الاشتراكية على مر العصور هو الفكر لأنه علم أن " في تحقيق غاية الشيوعية يزول كفكر" لأن غاية الشيوعية والمثالية معاً هي الكمال الإنساني, أي الخلاص من الازدواجية في عالم, يصبح عالم الوعي.

إن غاية الصوفية هي, الوحدة الكونية,وتتحقق بزوال الازدواجية "إلغاء التضاد والتناقض والصراع والحرب أي إلغاء الفكر. أي وحدة الكينونة والكيان, من أجل أن تصبح الحركة إرادية,غائية,سيدة,حرة من جميع القيود تبدعها الكينونة , ويحققها الكيان ".

يقول المعلم:" لا يوجد ممارسة سليمة للاشتراكية في أنظمة العالم. نحن ننزع إلى تحقيق الاشتراكية السليمة أكثر فأكثر, لكننا لا نزال بعيدين جداً عنها.

- والسبب ؟

لأن الاشتراكية تفرض قيام حضارة معنوية تزول فيها جميع التناقضات وأسباب الارتهان المادي والخلقي والنفسي عند الإنسان المعاصر كما كان يتصور في حلمه الجميل " كارل ماركس " و " إنجلز " , اللذان طبعتهما اليونان, يونان سقراط وهيراقليطس وديموقريطس طبعة لا يمكن إزالتها من عقولهم وقلوبهم ". ص ١٣٥

نرى أن المفاهيم التي صاغها الفكر من أجل قيام الاشتراكية؛ كانت الأرقى والأغنى على مرِّ العصور وأن الوسائل الرهيبة التي قضى بواسطتها هذا الفكر على الاشتراكية كانت الأدهى والأعتى على مرِّ العصور.

إن النظرية الشـــيوعية من إبداع الفكر,لكنه حين علم حتمية فنائه إذا ما تحققت, في " الكمال الإنساني, أي العقل " فقام بمحوها من هذا العالم بجميع الوسائل.

## مقابلة المعلم مع صحيفة " الموندداي مورننغ " ١٩٧٣
## " المطلق "

نرى في هذه الكلمة التي تتسـع لكل شـيء – أنها غاية كل اتسـاع يحركه الجوهر, إنما هي غاية الغايات جميعها– هي الكل الباقي المســتديم- هي البقاء السرمدي– هي المكنون فينا- هي بالوعي ذاتنا الحرة من كل قيد.

يقول المعلم في المطلق:" موجود في كل شيء مخلوق, بل أنه هو كل شيء موجود. هو كل شيء وكل شيء إياه, وعليه يكون الإنسان,أي حقيقة الإنسان أو الذات, هو المطلق, هو الألوهية. إنما الناس لا تعي هذا, فلا يعدو الإنسان حسب تفكيرهم كونه فرداً ذا أنانية أنية له فكر وحواس وعواطف مختلفة, منفصل عن الله الذي خلقه وأوجده. إن هذه الازدواجية, هذه الثنائية ليست حقيقية, وعندما يعي الإنســان هذا ويدركه يســتنير بالذي تسـميه المسـيحية الروح القدس".ص ١٤١

إن المطلق هو الوجود الحق, في مكنونه الذي يصون مظهره من العدمية والفنـاء,هو الوحـدة "أس الوجود وجوهره "هو"الثبـات الســـرمـدي,والحركـة الأبدية" هو " الوعي المحض, هو الله ".

أنت وأنا واحد

يقول المعلم:" أنت تحدث عن الإنسـان كمن هو المطلق.لأجل هذا نجد الكتب الهندية كثيراً ما تأتي على العبارة أنت إياه ويقولون لك أَدِم التأمل في هذه العبارة؟ أيبتغون من ذلك تحققّ الإنسان المطلق؟ ".ص ١٤٢

نرى أنا إذا ما اغتسلنا من أوحال الفكر نصبح واحداً, حيث نعود من غربتنا الشقية في أودية المصالح والأغراض, نعود بالوعي إلى جوهرنا الواحد.
إن سبب الثنائية هي أوحال الفكر, وسبل الوحدة يحققها الوعي في الانتظام بسنن الوجود, حين يرقى الإنسان إلى وعي الحقائق الثابتة من أجل أن تصبح الحركة رائدها الوعي بعد أن يحررها من وثنية الفكر الجهنمية, فالعالم يجهل الحقائق التي هي جوهر ذاته, ويعمل بأوحال مادته الغبية العمياء.
تسأل الصحفيّة في اللغة الانكليزية , هل أنا المطلق؟
يجيب المعلم:" نعم لأن ذاك المطلق هو أنتِ, ولو أنكِ أنت إياه. أنت إياه وإن لم تعرفي ذلك.

- وكيف أعرف ذلك ؟

لن تعرفي ذلك بواسطة الفكر ولا عن طريق التحليل العقلي,إنما بواسطة الإدراك الداخلي المباشر, بواسطة الحدس المباشر, وبمساعدة الحكيم Guru الذي يساعدك في التوجه صوب التحقّق من ذلك. عندما تدركين أنك المطلق ذاته, وأن المطلق هو كل شيء .. بهذا المعنى أنتِ وأنا واحد .. وبهذا المعنى قال السيد المسيح : أنا وأنت واحد. ص ١٤٢
نرى أن المطلق هو الخير المحض, والسيدة إنما هي فكر, والفكر يفعل الشر, إذاً, هي تصبح المطلق حين تغتسل من ذاك الشر, من خلال الوعي, حين تنعتق من قيود ثقيلة لا يمكنها السمو والتحليق في عالم الغاية إلا بعد الانعتاق منها.
إذاً,لا بد ما العودة إلى حقيقة ثابتة هي " إن الفكر مصالح ورغبات وحين تزول المصالح والرغبات,يزول الفكر وتتجلى الحقيقة التي تسمو بالإنسان إلى المطلق.
وإذا ما قلنا: إن العقل واحد في إبداعه وفي وجوده وفي عالمه, فعند زوال عالم الفكر ؛ يحضر العقل وعالم العقل. هذا ما ذكرناه في مقدمة كتابنا ضياء العقل.
إن العقل حسب رؤيتنا ليس عقل ديكارت الخاضع إلى التحليل والتركيب, لا بل هو العقل الواحد المبدع المسيّر نظام الوجود بدقة وشمول,أي نعود إلى نظام الوجود كما هو لنصبح منه وإليه.

-أنت السيد المسيح
-ومن الصعب التصّور أن كل إنسان مقتدر على الوصول إلى مثل هذا التحقق.
يجيب المعلم:"إن لدى كل إنسان طاقة لأن يصبح مسيحاً,إن كل إنسان هو المسيح في داخله وفي قرارة نفســه, في جوهره , وفي حقيقته. ربما أنه لا يدرك ذلك , ولن يعيه إطلاقاً, أو لعل عدة ولادات وميتات (طريق انتقال الأرواح أو التقمص ) تسبق وصوله إلى التحقق من هذا, ولكن على الرغم من ذلك فإن حقيقة الإنسان, أو ذاته هي هناك ولا بد من تألق هذه الذات متحققة مستنيرة بعد أن يسقط عنها وهم العالم الظاهر, العالم الذي تخلقه أفكارنا وحواسنا وعواطفنا". ص ١٤٢
هي الحقيقة التي يحققها الوعي من خلال السمو والارتقاء بالعلم والمعرفة والحكمة من أجل ذوبان تلك الذاتية التي صنعها الفكر, والخلاص من هموم الدنيا إذا ما كان الوعي يقود جميع أغراض الحياة في سبل مبسوطة ومستوية وصائرة إلى غبطة الناس وسعادتهم وتحررهم من أهداف الفكر الجهنمية .
إن الوعي يحقق غاية الإنسان في التسامي إلى مواقع الإرادة الغائية,وليس للطاقة موقعاً في نشده هذا , فالوعي قد يرفع هامة الإنسان من أجل أن يرى السمو الذي يتناغم مع عظمته ليكون هو قائد لهذا التسامي الذي ينشده كيانه في الوجود,إذا ما كان هو غاية هذا الوجود, ينشده من صميمه من أجل أن تنسجم الحركة مع نظام الوجود المتحرك غائياً من أجل كمال غايته , ليكون للإنسان غاية في الحياة هي من صميم غاية الوجود , غاية يعلمها من خلال هذا السمو, حين تأخذ بالتساقط أوراق خريف الفكر.
فأنت وأنا منذ الأزل كنـّا ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية. لكن الفكر الذي حرمنا من غايتنا هذه,ووضعنا وراء خنادق الحرب والقتال,تحت أهداف ومبادئ؛ حرب أخذتنا إلى غابة موحشة ,وصيّرنا وحوشها الضارية, فتجاهلنا حتى جهِلنا واجبنا في الحياة , واجب بناء الجنة المتصورة بالوعي في ذاتنا وتحقيقها على أرض هي بالوعي جنة الروح؛ هي بالفعل جنة الخلد.

إن مَن يعرف السيد المسيح " عقلاً " هو المسيح في ذاته, ومَن لا يعرف السيد المسيح حقيقة - هو فكر.

تنتقل الأرواح إلى مالا نهاية ما دام محرّكها هذا الفكر, وترقى إلى عالم الحياة الحقيقية " عالم الغاية والنهاية " بعد أن تغتسل من أوحال هذا الفكر بماء الجوهر حتى تصفو وتتجلى لتنير عالمها الجديد – عالم الفرح الذي قال عنه المعلم .

يقول المعلم:" إن الفرح هو أصل طبيعتنا وحقيقتها. تجذبنا الملذات إليها, ولكن عند الحصول عليها لا نجد اللذة في تلك الجوانب إنما نجدها في إحساسنا الداخلي. لذلك نجزم بأن الفرح هو حقيقتنا, تبدو كأنها سرور ولذة,لكن الفرح أصلاً لا يتسبب عن شيء خارج عنه. ليس للفرح سبب أو علة. إن الفرح أشبه بالوجود ذاته إذ ليس للوجود سبب خارج عنه. إن الفرح كالوعي المطلق أيضاً,لا سبب له, ليس له بداية ولا نهاية هو لب كياننا.ذاك هو الثالوث الحقيقي: الوجود, الوعي , والفرح. تلك هي الحقيقة المطلقة بذاتها, إنها تتعدى الجسم والشكل , وهي وجود محض".ص ١٤٣

هنا, وفي روح هذه العبارات نجد غاية بحثنا, إذا ما كنّـــا من صميم هذا الوجود المشرق بذاته في ذات جوهره– إشراق غبطة شوق وهيام- هو هو مغتبطٌ في ذاته غبطة جوهرية يعيها مَن يراها بعين الوعي, ويحياها مَن أصبح في قمة الجبل كالمعلم الذي راح يزداد غبطة في النظر علواً.

فقد أخذتني الفلسفة في سبيلها المبسوط والمستوي, وطوت غابر أيامي التي كنت قد قضيتها في قفار الفكر, ووضعتني في حدائق رياضها,وعلمتني أبجدية لغتها من غير كلام ولا نظر,فذهبت إلى صورة في ذاتي ومنها,وبعينها رأيت الحدائق جميعها – رأيتها- صورةٌ لذاتي- فعرفت أن في ذاتي السعادة والغبطة – والفرح.

فقد ولدت من جديد- ولدت من صـميم الوجود – ولدت بواسـطة حكيم ماهر هو- الوعي– حين أصبحت من ذاك الجوهر المتجلي أبداً– حين أصبحت من ذاك الفرح.

بلى, لقد قادهم الفكر إلى ملذاته, فشـربوا وأكلوا, وازدادوا شـرباً وأكلاً , لكنهم لم يرتووا, فازدادوا عطشاً , ولم يشبعوا , فازدادوا جوعاً ونهماً , فاختلفوا وتقاتلوا وما زالوا يختلفون ويتقاتلون على ما توهموه بعين الفكر أنه لذةّ.
لا وجود حقيقي للعالم ...

- ما هو العالم إذاً ؟

يجيب المعلم :"ليس للعالم الظاهر المرئي وجود حقيقي. إن الأشـــكال التي نرى هي من خلف وتكوين أفكارنا, بســـبب علاقتها بالحواس وتفاعلها معها, لذلك تكون مواصـــفات هذا العالم غير موجودة بذاتها. وبهذا المعنى أكون أنا خالق العالم, أنا أصنع باستمرار هذه التكوينات الفكرية. من الناحية العلمية إن نحن نرُجع الشيء إلى أصله وعنصره نجد أننا نرتطم بالفراغ المليء بالممكنات, إنه غير العدم بل شيء يتعدى الاسم والشكل وله مقومات الوجود. يسمّي العلماء هذا الفراغ بالقوة المتشكلة بشكل الذرة أو البهباءة. إن حياتنا ليست إلا طاقة. إن باستطاعة العلماء أن يقولوا عن هذه الأشياء إنها ليست حقيقية لكنهم لا يستطيعون أن يعرّفوا الحقيقة المطلقة لهذا الفراغ [اللاشـــيء ] الذي يحمل كل إمكانيات الوجود في ثناياه".ص ١٤٣

وقف الطالب أمام معلمه, وبعد هنيهة عرفه المعلم أنه كان تلميذه في جيله السابق,وعرف الطالب معلمه الذي ضربه بأصبعه على صدره فغاب الطالب إلى عالم لم يكن يتصـــوره. لكن المعلم قد أعاده بضـــربة إلى حيث عالم الواقع ليقل: ليتك تركتني في عالم الجمال الذي لم أكن أتصـــوره, عالم الحقيقة الذي أعجز الآن عن تصـــوره. فقال المعلم مجيباً: إنما عليك الكثير من أجل أن تحيا هذه الحقيقة .. من أجل أن تحياها أبداً.

بديع هو قول المعلم, لأننا من خلال حواسـنا الشـاحبة النظر, لا نرى سـوى ما كدّســه لنا الفكر من آلام وهموم , فهذا ما نســتطيع رؤيته بنور الفكر [ نور المادة ] في عالم يرزح تحت نير القوة الغاشمة. ومع زوال الفكر .. يزول عالمه هذا..

فمن خلال مطالعتي الآنية إلى موسوعة [ الأدب والأدباء العرب ] والألم يعصر فؤادي على أرواح زُهقت بسيف ذاك الفكر, وعبارات مأساة سُطرّت بأقلام باكية من تظلم ذاك الفكر, وأيام ونقود قد صـرفها الجهل الذي صـرف به ذاك الفكر كل حساباته مع التاريخ. لأقل من كل أشجاني كلمة واحدة هي (يا للعزاء).

بلى , إن المعلم , وأنت , وأنا بالوعي نخلق العالم, حين نصبح سادة أحراراً؛ إنما نصبح من صميم الجوهر المحرك لمادة حرة تتحرك إرادياً, ليست هذه المادة التي تحركها أغراض الفكر وذاتيته المفرطة.

ويزول الفكر حيث لا يحتوي جوهراً, وتزول القوة,لأنها سيف الفكر الذي يحقق له السيطرة واستعباد البشر, وهذا حتمي إذا ما حضر عالم العقل, عالم الإرادة, عالم الحقيقة, عالم الفرح.

فما هي الممكنات التي تملأ الفراغ ؟ لنقل: إن الوجود وجوب محض, لا سلب فيه , مشحونٌ بضمير, إنما هو ضمير الوجود وسابقه, مبثوث بكل ثنياته, يحركه من صميمه..هذه هي نظرتنا إلى الوجود الذي هو في ذاته .. خلاء إلا من, وملاء .

وما هي قيمة التسمية لعلماء يغزون الطبيعة بمنظار الفكر الذي لا يرى سوى ما يبحثون عنه مما في جعبتهم من أفكار تتعلق بأغراضهم المادية.

إن حياتنا هي غاية في البسط والغبطة والسعادة والفرح إذا ما كانت مبسوطة بجوهر هو نور الوجود وجماله وبهجته,هو علوّه وسموّه وعظمته,هو الثراء الذي يتعدى كل ثراء, إذا ما كان ثراءً معنوياً.

إن حياتنا هي إرادة وعي تحرك طاقة مادية, إذا ما نظرنا في منظار الحقيقة إلى الحياة,لكن ما قام به الفكر هو إلغاء عنصر الإرادة المُحرك من صميم دائرة الوجود؛ لتصبح الحركة في ظاهر الوجود, حركة مادية غرضية.

حقاً, أن العلماء لا يعرفون الحقيقة المطلقة لهذا الفراغ , من خلال منظارهم المادي, إذا ما كان سبيل الوصول إليها لا بد أن يكون من ذات نور الحقيقة المطلقة.

- ما هي إذاً هذه الحقيقة المطلقة ؟

هنا يجيب المعلم بالقول الفصـل:"هي المطلق, الوعي المطلق, الذات Self . كل شيء هو وعي مطلق, كل شيء هو النور. " ص ١٤٤

بلى. كل شــيء هو النور,إنما يجب وعيه من خلال ذات النور, وليس بنور آخر كنور المادة والفكر مثلاً. " إن الإنسان يجهل".

فالإنســان يرزح تحت جملة قيود مادية,ذات ثقل ترابي,حيث إن العلم والمعرفة والوعي يغسلون عن هذا الإنسان ترابية المادة الثقيلة من أجل أن تزول جميع القيود حتى يتنســم روح الحرية[ الســيادة الحقيقية ]هنا يتحرر من جســده القابل للتغير والتبدل ولجملة الغرائز حيث يصــبح حجابه مادة حرة ســيدة , تســيرّها إرادة عقلية غائية, لأن عند زوال الفكر تزول مادته الفكرية.

إن الإنســان غاية الوجود, غاية تتحقق إرادياً حين يتعدى قيود الفكر هذه, وهو ليس غرضــاً في الحياة , وليس له غرض؛ إذا ما كان الوعي هو الذي يقود أغراض الحياة جميعها؛ يقود جميع أغراض الحياة نحو الكمال حسب سنن الوجود. .....

- ما هو التأمل؟

يجيب المعلم:"للتأمل منهجان أو طريقتان إما عن طريق تركيز الفكر على تصوّر فكري, الله مثلاً,أو المسيح, وإما عن طريق تهدئة الفكر- وهذه هي الطريقة الفضلى – طريقة تهدئة الفكر الذي يمنعك بالدرجة الأولى سوف يحول بينك وبين معرفة الحقيقة. فأنتِ إن هجع فكرك وســكن إلى حدّ يكون لك فكر هادىء ســاكن غير مضـطرب, تكونين متأملة, فأنتِ عندئذٍ ذاتك وحقيقتك أنتِ الذات بدون أي حجاب بينك وبينك إذ تصلين إلى مستوى المطلق". ص ١٤٥

نرى أن التأمل في عالم الحقيقة,لا بد أن يكون بواسـطة نور من عالم الحقيقة, أذا ما كانت أفكار الفكر تستحوذ مظهرية عالم الطبيعة المادية, إذاً, يجب الانعتاق من الفكر ومن عالم الفكر من أجل السمو إلى عالم الحقيقة الذي يعلو ويرقى بصفاته ومثله وسماته عن هذا العالم المتدنّي , وهذا ما يراه المعلم.

إذا ما قال المعلم: " فأنت إن هجع فكرك وسكن".نرى أن التأمل قد يصبح تأملاً فعلاً , إذا ما صفى هذا الفكر الذي لن يحقق الصفاء, لأن الصفاء يفنيه كفكر, فكيف يصفو وخليلته المادة تجبره على الحركة, فالحركة دائمة ولا يوقفها شيء أبداً سوى الوعي الذي يزيل حركة الفكر والمادة الجارية وراء المصلحة والغرض والهدف والغريزة وما إلى ذلك , من أجل أن يصنع حركة غائية تحقق جنة الذات في الذات وعلى الأرض, أي " غاية الحياة والإنسان والوجود".

إن المتأمل هو في عالم فيما وراء الطبيعة أثناء تأمله, وهو غريب على عالم الطبيعة ويبقى غريباً حتى لو كان بيننا. إذاً هو في عالم الغاية " عالم العقل -الغريب المفارق. ولا علاقة بين الفكر والمادة وبين المتأمل, لأن التأمل الحقيقي هو في عالم الحقيقة.

فلو سألنا السؤال التالي , أين نحن , وإلى أين؟

منذ ساعة تقريباً,كنت والمازني وفلاّحاً من ريف مصر, وكان المعّلم في المخيلة, "سبعون عاماً والعشق يتناغم بين الفلاح وأرضه". وتحت عنوان " ذكرى" في كتابي الأول (نظرات في عين الحقيقة),ص ٤٣ وبقلم باكي بدموع الحنين الهائمة من وراء البحار, قلت:"كان القمر والليل والنجوم – في إنسان عيني يسهرون- ومع ذاتي يسرحون ويمرحون– ومن خمرتهم كنت أرتوي – ومن خمرتي كانوا يرتوون – حتى الطير والشمس وحبات التراب– في عين ذاتي كانوا ينظرون, وحين رفعت يدي مودعاً – في أم عيني رأيتهم يبكون – من غير مقلات وعيون – رأيتهم في ذات ناظرتي يبكون. فقبلات شوق إليهم , إلى حبات تربتي – إن هذا الحب لا ينساه قلب مكنون". هذا في ٧ / ٨ / ١٩٧٥

وبعد أن عصفت رياح التغيير في كل شيء حتى حبات التراب وفؤادي وذاتي- وامتلأ كل شيء من حضارة العصر– امتلأ كل شيء كفراً وهماً وسماً وغماً– فلم أعد أرنو إلى شمس أو قمر- ولا إلى جبل أو سهل أو ذات أو فؤاد أو حب أو نغم عصفور أو لحن وتر. لأن زمن التغيير قد غّير طبيعة الأرض وطبيعتي – حيث فقدت الأرض عناصر حبها بعد أن كساها الزمن بحلل الغضب – وفقدتْ أيضاً

رائحة الحب الشهية منها ومنّي– ومن الطبيعة والوجود– وحين هاجرت إلى المدينة – نسيت أن أقول لأرضي كلمة– نسيت أرضي والبشر– نسيت حتى الكلمة– الكلمة التي عاشت في عميق أعماقي– وهذا ليس ذنـبي – بل هو ذنب العصر الذي أفقدني حتى أعماقي- وأفقدني الكلمة – لا بل أفقدني لغتي الحقيقية – أفقدني ذاتي ........

************

ونعود إلى المقابلة الصحفية

- كيف تصف الحكيم أو المعلم؟
- إنه صـــاف كل الصـــفاء, نقي وطاهر بدون شـــائبة أو تحّفظ. هو ليس إلا تلقائية صفاء الحق وعفويته.
- هل تستطيع أن تصف هذه التجربة, هذه الحقيقة أو تلك المعرفة أو المعاناة؟
- إن الحقيقة هي فيما يتعدى الحرف, فيما يتعدى الكلمة والمعرفة, وتتعدى التصورات الفكرية أيضاً . " ص ١٤٦

بلى, إن الحكيم صـــاف كل الصـــفاء,لأنه كان قد اغتســـل من ترابية المادة والفكر, وسمى إلى عالم الغاية الصافي من كل فكرة وفكر, وصار يفعل فعلاً عقلياً إرادياً من خلال وعيه إلى واجب الحياة.

والحقيقة كما يراها المعلم , إنما هي عالم الغاية , عالم الكمال المطلق, عالم الوعي الذي تعدى الحرف والكلمة والعلم والمعرفة وجميع الوسائل, إذا ما كانت من أجل هذه الغاية.

أنت في عالم الفكر,تحتاج إلى جميع قيود الفكر في عالمه هذا, إذاً, أنت خاضـع إلى قيود الفكر, لكن جميع الحاجات التي تكون قد حققتها بالوعي,فأنت قد حققتها بك ولم تعد خارجة عنك, إذا ما كان الوعي هو الذي يحققها لك, والوعي منك ولأجلك من غير طلب, فالذي يحضر بالمخيلة آنياً , تجده حيث أردت.

## مع صحيفة الأنوار في السبعينيات

يقول المعلم: " إننا قادمون على عهد روحي جديد. الديانات القديمة لم تعد تملأ فراغ الإنســـان. فلا هي تطورت باتجاه البحث العلمي, ولا هي تقدمت في مجال البحث عن الحقيقة. هناك تناقض بين الحضـــــارة المادية وبين رغباتنا الحقيقية في السعادة. والتناقض يتجلى في الواقع. رغبة الإنسان الحقيقية, في النهاية, هي أن لا تكون لديه رغبة. هدف كل رغبة أن لا ترغب في أي شيء. الفرح لا يولد في أنفســـنا إلا عندما يهدأ فكرنا تماماً, ويزول ســـعينا إلى هذه الرغبة. فعندما يموت الفكر يموت سـعينا إلى الحصـول على الشــيء. وفي الدقيقة التي يتوقف فيها الفكر يتجلى نعيم الذات".ص ١٥٠

ليس العيب في الدين الذي جعله الفكر ديانات, إنما العيب في هذا الفكر الذي جعل من الدين وسائل اختلاف مادية,حيث أخرج الدين من غايته الحقيقية وهي معرفة الله معرفة تتجلى على أكف الوجود من أجل وعي الوجود من الذات حتى اللانهاية ؛ وجعله الفكر من أجل الاختلاف على مصـــالح ورغبات مادية دنية.

فقد أتيت على الرغبة في العديد من المواقع منها البحث الفريد الذي وضعته, تحت عنوان " ما بين العقل والفكر" ص ١٠٤ من كتابي ضياء العقل. فوضعت العقل في موقعه الحقيقي, ووضعت الفكر في موقعه الحقيقي ضمن صفحات ثلاث. منها " إن العقل يريد ولا يرغب – والفكر يرغب ولا يريد " فالرغبات خاضعة كونها من أجل هدف أو مصلحة أو شهوة . في حين أن الإرادة سيدة غائية.

إن الوعي يغسل الإنسان من الرغبات التي يقودها الفكر,حيث يرقى بهذا الإنسان إلى الغاية من وجوده؛ الغاية التي تنسجم مع غاية الوجود,فالرغبة تفعل أبداً من أجل تجسيد ذاتها, وتنفعل أبداً في حاجات ذلك التجسيد .

إن الفرح الحقيقي هو في انعتاقنا من قيود الفكر وشعورنا بالحرية, حين نعي أننا ذات جوهرية لا تفنى ولا تموت,أننا جوهر مبسوط في الوجود,جوهر بسط وسعادة وغبطة وفرح, حين نعي أننا نحن الأبدية في ذاتها ,حين يشـرق النور من ذاتنا ويتجلى على مظهرية الوجود, حين نحقق غاية إنسانيتنا بالحب والحرية والسلام.

## استراحة في حدائق الخيال

هو الشـوق الذي غرس في حدائق مخيلتي أُناساً من جنائن الإنس , فأتنسـتْ ذاتي بمؤانسـة إنسـانيتي الغالية, لأرى الحدائق وروداً وألحاناً , وطيوراً بلون الزنابق البيضاء, تحرك نسائم النغم – في ذاتي وفي الوجود.

فأنا,عرفت ذاتي والحياة – بين الزنابق في المروج الخضر- وتغنيت مع طفولتي الهائمة ونسائم الربيع, ونغم الطير وعشق الزهر والنحل– لشهد الوصال بجمال قدسيّ - يشرق من الأشياء ومنّي – ومن ثغر الوجود.

وكيف لم أعد أنا – في ظلمة بيتي وغدي وقدري – في غبائي وانفعالي وجنوني- في كياني المهدود- وكوني - بعد أن صار الوجود نغماً يثمل الروح – بعد أن أخبرني بلغة الأنغام – أنني منه أنشودة حب – أنني منه وصلة نغم– كالورود العاشقة مثلي - روحها على نغمة الحب- على شفة الأديم – على شفة – النغم.

وهمومي كلها – وأحزاني كلها – وعذاباتي كلها – تلك التي جنيتها في ربيع عمري – وضاع فيها عمري كله , وأصبحتُ منها,وأصبحتْ منّي – كلها ضاعت حين ابتسم الوجود – وعزف لحنه الأبدي, وأشرق من ذات مخيلتي - وصار نغما.. يثمل الروح ..

فقد كنت هوية فكر تجسّـدت في كياني وذابت روحي في هذا الكيان, وفي لحظة واحدة من وحي الخيال – ضـاعتْ هويتي– وذابت – مع قطر الندى – فوق جفنات الورود - من غير أن أدري – وصارتْ نغم.

وأحلامي التي كتَبَتهَا المآقي والدموع– والأماني الكامنة بين الضلوع – قد تلاشت كلها في لحظة– بعد أن غسـلها عبق الزهور– في دموع الفرح – فتراقصـت على وتر الخلود – وصارت نغم.

وكأني أفتح باب الوجود – فلم أجد لا أنا ولا هو – ولا شـقاء ولا جنون- إنما وجدت الجمال في ذاته – يترنم مع ذاته - وذاتي هي الوجود – وذاتي هي الحقيقة وهي الخلود – وهي الجمال والمثال – وهي القيثارة والوتر- وهي الناشد والمنشود – وهي النغم .

فما أبدع أن ترى الوجود بما في عينيك من الجمال- ما أبدع أن ترى الوجود بعين ذاتك – وما أبدع أن تكون ذاتك مشـكاة نور , من أجل أن ترى الجمال في ذاته – تراه صورة من نور - صورة من صور الجمال القدسي – انه صورة ذاتك – ذاتك التي صارت بالحب نغما قدسياً .

بديع أنت إذا ما كان الابتسـام هو من فيض ذاتك – مشـرقاً على محياك – حين يكون الابتسـام - من وحي ذاتك – المتناغمة مع الجمال الحق – على وتر الخلود الصافي – لتعي أن الخلود هو – هو في ذاته.. نغم

بديع أنت – إذا ما كنت الوداعة في ذاتها– إذا ما كانت هي أنت – من أجل أن تصبح أنت الوجود المشرق بنور الحياة – بنعيم الفرح- لتكون كما هو تقاسيم نغم.

بديع أنت .. حين تعلم أن وداعتك.. هي من فيض ذاتك – لأنك من أبداع الجمال المحض– حين تصبح من ذات الجمال المشرق على مظهرية الوجود – لتصبح أنت الجمال – وأنت الابتسام – وأنت الوتر – وأنت الحب – وأنت النغم .

فالخيال ينتسب إلى الجمال, إذا ما كان الجمال هو الوعي الذي يعقل ذاته, إذا ما كان صوراً في غاية اللطافة للجمال المحض.

نحن بعين الوعي نرى صوراً لا تبصرها حواسنا, إنما هي التي تتماثل مع ما نتنبأ به كقولنا : " من وحي الضمير- من وحي الوجود- من وحي الخيال". فالخيال

هو الغريب على حواسـنا, والغريب  إنما هو المتجلي من عالم الإله, من عالم فيما وراء الطبيعة, متجلٍ أبداً من عالم الحقيقة, متجل لمن يبصـر بنور الحقيقة. وبما أننا نجهله, نقول لكل ما نجهله : إنه من وحي الخيال. فالحقيقة بالنسـبة إلى عالم الفكر هي من وحي الخيال. والخيال في عالم الوعي هو صور الجمال المتصورة على الأشياء جملة فتكسوها هيبة وإهابة.

الجميل الجميل , أن نجلس بين الزنابق والورود, نسـمع منها ترانيم الحدائق والمروج, نسمع بصمت وعمق, علها تذيب ضجة الفكر في صفاء أديمها وتصفو في ذاتنا التي قد تصبح حرة في عالم حرٍّ- وترنو إلى السماء تائقة إلى وحي السماء.

إن ما نتخيله في دائرة الفكر,هو من مادة الفكر الخاضـعة, وفي النهاية هو وهمّ, نعيش فيه كسَّلوة للحرمان الذي عانى منه الإنسان على هذه الأرض.

يشقى الفلاح عمره من أجل أن يشعر بدفىء الحياة, ويقدّم الخبز للآخرين ونادراً ما يشبع, وكأن الفلاح هو ابن الطبيعة, وباقي الناس أبناءه وأحفادها.

فأنا الفلاح الذي عشقني عود الفلاحة ومنجل الحصاد, بعد أن نفاني لوح الدراس حين أصبحت ثقيلاً عليه, فقد نفاني الجميع إلى معترك العمل الشاق المضني, وكأن الشقاء هو المعلم الذي كان يختار مهنتي وعملي في كل حين. وقد كنت أرنو إلى كل شيء بألم وحسرة , إذا ما كانت جميع سبل الرجاء والأمل , كيومي وغدي.

عشقني الشقاء وعشقته, وكان في لساني يتكلم, وكنت في لسانه أتكلم, هو كان المعلم والتلميذ واللغة والدرس, حين كنت خاوياً من أي لغة ولسان ودرس،

وذاتي التي كانت تذوب لوعة وأسـى من أجل أن أكون كلمتها, حين كان بيني وبينها,أكوام من التراب,كان قد جمعها صانع الأضداد والرغبات,فلم أكن كلمة ذاتي ولم أكن لون بصيرتي,ولا نغم فؤادي, ولا نور عقلي , إنما كنت فكراً يصنع أحجبة البعد والاختلاف بيني وبيني, وبيني وبين الآخرين,وبيني وبين الحقيقة, غريبة ذاتي عني وغريب أنا عن واقع لا يراني .

غريبة هي المآســـي كيف كانت تذيب كل شـــيء حتى الألباب ,ولماذا كان غرض الزمن أن يعصر تلك الألباب بآلة قاهرة,لتكون عصارة الزمن هي القهر والذل.

فمن يقود هذا الزمن, ومن هو الذي يحفر قنوات الألم والقهر في الصـــدور, وما هو الحرمان , ولماذا هذا الحرمان لبني البشـــر؟ لم أكن أعلم, إنما كنت أبحث عن جواب يحمل في ذاته علم اليقين.

إنما كنت أبحث بواسطة آلة فاقدة مثلي عناصر ذاتي الحقيقية, إذا ما كانت هي التي كانت قد أسقطت جميع سبل البحث إلى جرفها الهاري, بعد أن حملتني إلى أودية شقية, إلى قفار البعد والحرمان.

فكان الشقاء العابث في مخيلتي, قد لملمته من وجوه الناس والأشياء ومن مكنون ذاتي , حين كان شـعوري أن الشـقاء لذة, فكان هو عزائي,لا بل عزائي الوحيد, مع أنني كنت أشتاق, وكل ما كنت أشتاق إليه , قد فقد قيمته ومعناه حين توفر بين يدي.

إلى دير الزور وصلتْ ُبعد أن أخذ مني البرد مأخذه, هذا في الستينات من القرن الماضـي من أجل امتحان الوظيفة,وكانت الطامة الكبرى هي أنني أحب الوحدة, ولم أكن أعلم أن حب الوحدة مصيبة. وفي القنيطرة, خسرت الامتحان , لذات المصيبة. وفي دمشق خسرت الامتحان,لأنني أجبت أجوبة تامة على كل الأسئلة التي عُرضت عليّ, فرأيت أن المعرفة أيضاً مصيبة.

وحين طرق بابي ذاك الذي يسـمونه حب,وجدني مشـغولاً, حيث كنت أحزم أمتعتي. فكنت أعلم غرابتي حين أخبرتني الفلسفة عن تلك الغرابة, لكنها قبل أن تذهب, لم تعلّمني لغتها, إنما كان عزائي هو إدراكي بأني فلسفة, فلسفة من غير لغة حروفها منثورة على ثغور الزنابق والورود, فلسفة غريبة منسية, وكأنها في خزانة غريبة منسية.

وأول ما بسـطت يدي, أتاني أول سـائل مؤنباً فقال لي: عليك أن تبسـطها للعطاء وليس للسلب إذا ما أردت أن تكبر, فذهبت بكل جوارحي أبحث عن ذاك السبيل من خلال الكتاب الذي كان يخبرني بكل شاردة فيه أنه هو السبيل.
لقد أدّبني الزمن, وهذبتنّي حكمة ألأولين, و وهبني الله ما لم أكن أتصـوره من شغف بالكلمة, وتأمل بالقلم , وشوق إليه , وسعة بالحياة....
وبعد أن تسـاقطت جميع أوراق الخريف فوق هامتي؛ جلسـت مع شـتاء العمر حول مدفأة المعرفة هذا بعد أن مرَّ بيّ صـيف المعرفة المادية وادعاً في ضـميري- صحوة الضمير.
فقد علمتني الفلسـفة المثالية,كيف أحب,وكيف أتوق وأشـتاق. علمتني لغتها الحقيقية من أجل أحُيياها في ذاتي وأغرسـها وروداً بين السـطور, فأصـبحتُ وذاتي- كلمة جمعتْ حروفها الفلسفة الحقيقية للوجود, كلمة,صورّتها ذاتي بريشة إرادتي الحرة,
بعد أن صاغتها ذاتي من روح المعرفة, من جوهر الفلسفة.
في سهرة بديعة حول مائدة الفلسفة,من أجل مناقشة كتابي [ العقل والوجود] الذي نشرته سنة ٢٠١١ وبعد أن أتيت على ما أردت,وقف أحد الناقدين من الذين ينكرون عليّ ما قاله صديق ومعرّف وقف وقال: لا فلسفة ولا فلاسفة بعد ابن رشد. وكأنه يقول: يا قوم لا تتكلموا .... ووقف آخر وقال: لقد قرأت هذا الكتاب, فوجدته غاية في السعة والعمق وأطلب أن يُدرّس في الجامعات السورية.
إن معضلة هذا الكتاب وما نُشر قبله أم بعده هي, أن كاتبه يقدّم رسالة إلى الغدّ ولا يطلب شهرة. فالكتاب والكاتب قد تنصفهما الأجيال القادمة, إذا ما كان رجلاً يحمل شهادة عالية بالفلسفة وينادي بإسقاطها , فعلى مَن نعتب؟ لم أكن أتصور أن أحداً من عالم هذا العصر, يقف أمام حركة الحياة المتجددة في كل نفس وفي كل نبت حتى وفي الحجر, فالواجب أن يكون عصـر الظلام الذي مرَّ بنا , عبرة فقط ؛ لأنه بالحق عبرة لمن يعتبر.

فنحن جميعاً حركة توق واشـتياق , حركة تحقق صـورة الغد المشـرقة في كياننا وفي كينونتنا, إنما الواجب فقط وعيها من أجل أن يكون الوعي فينا هو المحرك لها.
إذا ما كانت الفلسفة هي القاعدة الحقيقية الفاعلة من أجل إشادة البناء الإنساني الذي يتسع إلى جميع غايات البشر عمقاً وسعة وعلواً, فعلى جميع البشر أن يرتقوا إلى عالم الحب والسعادة والسلام – إلى عالم الوعي – إلى عالم الفلسفة.
إن متعة الحياة هي أن تعلم أنك متعة الحياة, ولن تعلم ذلك إن لم تتحرر من قيود شقية أثقلك بها الفكر, والفلسفة هي الوسيلة الحقيقية من أجل التحرر والانعتاق من جميع القيود, لأنها وعي,والوعي هو السعادة,والسعادة هي بالوعي أنت. أنت رسالة الإنسانية ورسولها ... فكم أنت عظيمٌ حين تعي عظمتك في هذا الوجود العظيم.

# ما بين زيد وعمر

إن الاختلاف الواقع في ما بين زيد وعمر لا يزول حتى تزول أسبابه. ولا يزول الاختلاف فيما بين الكون والمكنون , حتى يزول الاختلاف فيما بين زيد وعمر؟

هناك فوق الثرى وتحت الثرية يجلس الخصـمان,زيدٌ وكتاب بيده , وَعمْر وأثقال الحياة.

- ما رأيك يا عَمْر في هذا الكتاب الذي بين يديّ الآن؟
- دعني منه يا صديقي فلا أظن أنه يساوي شيئاً.
- وهل طالعته حتى تصدر عنه هذا القرار يا سيدي؟
- لا لم أطالعه يا عزيزي,ولماذا أطالعه إن لم أكن أسمع بكاتبه على لسان أحد.
- لكن الكتاب يحتوي على روعة الكلام, وعمق المعاني. ليتك تأتي عليها أولاً.
- دعنا يا زيد من هذا الكتاب ومن كل كتاب, إن أفكارنا لم تعد تتسع,حتى زمننا هذا, ليس زمن الكتاب والقلم, أليس هي حقيقة نحسها جميعنا في هذا الزمن؟
- الجميل ألاَّ نرمي بأثقالنا على الزمن إذا ما كنـّا نجهل, فقد تكون الحقيقة في الكتاب والقلم يا صديقي عَمْر.
- لا بل هي في سعينا من أجل الحصول على مطلب الحياة, والحقيقة هناك هي يا سيدي .. هناك هي في نهاية الطريق.
- وما هو مطلب الحياة يا عَمر إذاً؟
- هو أن نعيش حياة كريمة
- إياك أن تدعَّي يا صديقي عَمْر بنبل الحياة التي نعيشها.
- لا بل منها قد نصل, إذا ما كانت الحياة تطور ذاتها وتتطور ذاتياً.
- جميل هذا يا عَمْر إذا ما كنـّا نعي ونعقل.
- كيف لا ونحن فعلاً نعي ونعقل , إذا ما كانت الحياة مدرسة من أجل ذلك ؟
- لا بل يا صديقي عَمر , فنحن لا نعي ولا نعقل, لأننا نختلف.

- وما هي علاقة الوعي والعقل والكتاب بالاختلاف يا عزيزي زيد؟
- هنا بيت القصـــيد يا من أصـــدرت قرارك زوراً وبهتاناً على كتاب تجهله, وأن قراراً يصـــدره الجهل لا بد أن يكون نبع الاختلاف.وهذه حقيقة جلية يا صديقي
- إنك تكيدني يا زيد من غير وجه حق , وفي هذا تظلمني وتظلم مجتمعاً قائماً على عادات وتقاليد راسخة في أعماقه منذ آلاف السنين .
- بلى يا عمْر, إنما هي تقاليد جُلها يمنع حركة الزمن. فمن لا يقرأ لا يعلم. أليس هذه حقيقة أيضاً؟
- بلى أنها الحقيقة .
- ومن لا يعلم , لا بد أنه يجهل , فهل أنت معي بهذا يا عزيزي عمْر
- أنت تقول الحق يا زيد بدون شك .
- وأن الجهل قائم على باطل , فهل أنت معي بذلك يا صديقي؟
- بلى , أنك تقول الحقيقة في ذاتها, إن الجهل قائم على باطل.
- إذاً , لا بد أن يكون هذا المجتمع الذي يقوده الجهل مجتمعاً باطلاً , أليس هي الحقيقة التي نحن بصددها الآن والتي تؤلم أعماقنا يا عزيزي عَمْر؟
- إنني معك يا زيد بقولك هذا : إن مجتمعاً يقوده الجهل هو مجتمع باطل .
- ولا بد أن نعلم يا عزيزي,أن مجتمعاً باطلاً ,لا بد أن يختزل ذاته في كل يوم, حيث إنك تكلمت في لسان ذلك الباطل عن هذا الكتاب يا عَمْر؟
- بلى أنني أصدرت حكماً باطلاً على ما أجهله. أعذرني يا عزيزي .
- وأن مجتمعاً يختزل ذاته في كل يوم هو مجتمع ســـائر على قدميه إلى الفناء. فهل أنت معي في رؤيتي هذه يا صديقي عَمْر ؟
- بلى,إنما أنت تظلم حركة الزمن حين تضع العادات والتقاليد سداً مظلماً جاهلاً بوجه تلك الحركة يا زيد, فكيف تطور الحياة ذاتها إذاً؟
- لا بل كل شيء في سبيله إلى التطور, ألم ترّ هذه التقنية الغريبة يا عَمْر؟

- بلى أرى أننا وسائل استهلاك لتقنية غريبة علينا , نركض خلفها من غير أن نعلم ما هي . أليس هي الحقيقة يا عزيزي زيد؟
- نعم هذه حقيقة , ولكن لا بد أن تعلم أننا في صميم حركة الزمن , وأن واجبنا هو دفعها بالعلم إلى الأمام , وليس شدها بالجهل إلى الخلف ليشهد لنا الزمن الذي يشهد علينا بأننا عقبة التطور ولسنا دعاته.أريد منك معرفة هذا الواجب يا عزيزي عَمْر وألاَّ تدافع عن الباطل.
- هي المعضلة الكبرى أننا في داخل حركة عصرية لا نعيها ولا نعرفها , إنما نتكلم عنها من أجل الكلام فقط , لأننا نجهلها .
- لا بل نحن خارج تلك الحركة, إذا ما كنـّا وسيلة استهلاك , ونحن المتحركون بحركة خارجة عنـّا وتبقينا حركة استهلاك إن لم نعلم كيف نصبح المحرّك نحن وتصبح الحركة لنا ولأجلنا. ولن نصبح إن لم تسمع ما يقوله الكاتب هنا.
- بالله يا زيد قلّ لي : ماذا يقول الكاتب إذاً.
- سوف أقول ما هو جميل إذا ما كنت في غاية الانتباه يا عَمْر من أجل أن تعلم غاية ما يقول الكتاب.
- إنني في كليتي توق لما سوف أسمعه يا صديقي .
- الكاتب يقول: النقطة هي ليست محور الدائرة فحسب؛ وإنما هي سرٌّ وجودها, تلك الدائرة التي لا تحفظ نقطتها فحسب ؛ وإنما غايتها ومركز وجودها أيضاً. وإذا ما كانت الغاية جوهر الوسيلة؛إذاً,لا بد أن تكون الوسيلة من جوهر الغاية من أجل ذلك,لا بد أن نعي نقطة بيكار الدائرة؛حيث مبدأ الحركة,حتى نصبح نحن المحرّك ونحن الحركة ونحن المتحرك. هذا مما يقوله الكاتب في هذه الصفحة يا عزيزي.
- إنني لم أفقه شيئاً من هذا الكلام , فما علاقة تلك الحركة فينا كبشر؟
- أنت وأنا أيضاً لم نفقه شيئاً من هذا لأننا نجهل.
- وما علاقة الجهل بفلسفة كهذه يا صديقي زيد ؟

- يجيبنا الكاتب هنا أيضاً حيث يقول: الفلسفة , إنما هي وعي المعرفة من أجل الكشـــف عن مكنونات الوجود. هنا يضــــعنا الكاتب في نقطة بيكار الدائرة ونحن لا حول لنا ولا قوة إلا أن نبحث عن وسيلة للخروج بسـلام يا عزيزي عَمر.
- كيف ذلك ونحن نغرق في لجة بحر لا ندرك أبعاده ولا أعماقه يا أخي ؟
- هنا تكون قد وضــعت قدميك على بوابة جهلك لترى ظلاماً دامســاً ولا حول لك ولا قوة سوى البحث عن سبل الخلاص يا عزيزي عَمْر.
- وما هي سبل الخلاص يا صديقي زيد بالله عليك قلٌّ لي؟
- هي أن تقرأ هذا الكتاب يا عزيزي ثم تصدر قرارك عنه من خلال المعرفة.
- وهل في قراءة هذا الكتاب نصل؟
- بلى يا عَمر , قد نصـــل إلى البداية, فنحن إن لم نقرأ , لن نعلم , وحين لا نعلم فنحن نجهل, وما دمنا نجهل , يكون قرارنا باطلاً , كقرارك حول الكتاب.
- أجل,أنك تقول الحقيقة, وكم تكلمنا بلسـان الحقيقة وعنها ونحن لا نعرفها ومع هذا كله نتحدث عن جهلنا بلسان يجهل ما يقول وفي ذلك نختلف . هل أصبت يا صديقي زيد؟
- نعم , لقد أجدت التعبير يا عَمْر,عما يخالج ذاتك وضميرك, إذاً يصح بنا أن ننظر فيما نحن, من أجل أن نعلم أين نحن من الوعي والعقل.
- أرجو أن تعود إلى الكتاب, عّله يخبرنا عن وسيلة تنقذنا من جهلنا يا صديقي.
- إذاً, لننظر مليّاً بما أتى به هذا الكتاب الذي يقول فيه الكاتب: إن الغرب وبكافة السبل قد حرمنا من إقامة مؤسسات عامة وخاصة لمجتمعنا, بعد أن سيّر كل قنوات دخلنا القومي إلى مصارفه, من أجل أن يحرص علينا كوسيلة اسـتهلاك فقط , لا يمكنها أن تصـبح في موقع قيادة الحركة , لأنه كان يعلم أننا في هذا الحرمان لن نتغير , ولن نملك وســـائل ذلك التغير الذي يحقق التجدد والتطور, حتى لا يخلق فينا "الإبداع"الذي هو غاية التغير

والتجدد والتطورفلم يدع أحداً منـّــــا أن يصـل إلى محور الدائرة ومركزها حين أودعنا منذ البداية في المحيط.

وقال لنا الغرب من خلال ثقافته الغربية عنـّا أننا نعي ونعقل وليس من داعٍ أبداً إلى إزعاج نفوسنا في ثقافة ولا صناعة متطورة مع تطور العصر,ولا علاقاتٍ عصرية تحقق التطور الفعلي , يكفينا أن نرى تلك الحركة الدائبة من بعيد. ونحن حسب قوله نعي ونعقل. هنا يضـعنا الكتاب يا عَمْر , في ذات الموقع الذي أبقانا فيه الغرب, ولا حول لنا ولا قوة يا عزيزي.

- وحضارتنا العظيمة التي كنـّـا ولم نزل نتغنى بعظمتها, أليست هي صاحبة الفضل عليهم جميعاً يا عزيزي زيد ؟ ليت كاتب الكتاب يعلم هذا.
- بلى يا صـــديقي فقد وقفنا هناك عند آخر معركة نصـــر لنا ورحنا نتغنى,في حين راح الغرب يشـيد البناء.ويصـنع التاريخ,ولا نزال نحن هناك فيما وراء التاريخ نتغنى حتى بعد أن تمزقت أثوابنا وأحلامنا وأكبادنا , لا نزال في ذاك التاريخ المجيد نتغنى, وقد صرنا هياكل عراة من جميع الحضارات وما زلنا نتغنى.
- وما هي المعرفة إذاً؟ بالله يا زيد زدني من هذا الكتاب.
- هي عصـــارة التاريخ و روحه وعقله وجوهره تلك التي قد تعفنت في خزائن البعـد ولم نخرجهـا إلى النور,من أجـل أن يتقـابـل النوران– نور المعرفة ونور
الذات. هذا حســب ما يقول الكاتب في هذا الكتاب. ويقول الكاتب أيضـــاً: المعرفة هي أنت من العلة إلى الغاية,هي أن تعرف من أنت, ومن أين, وإلى أين, وما هي علاقتك في الحياة,وفي الوجود, وما هو واجبك, وما هو حقك, وما هي غايتك. هي المعرفة ترجمة للعلم بفعل يثبت ذات العلم, ويفتح بوابة الإبداع. وهناك الكثير الكثير يا عزيزي عَمْر.
- إذا , دعنا ها هنا قاعدون فلسنا جديرين في خوض غمار حرب كهذه الحرب. بالله عليك يا زيد أن تدعْ هذا الكتاب الذي أصبحت أراه غريباً عنك وعنيّ.

- بلى , أنه غريب حقاً – كالعقل أبداً – العقل الذي هو الغريب المفارق .هذا حسب الكتاب يا صديقي عَمْر.
- وهذا العقل الذي نستخدمه بجميع حواسنا , مَنْ يكون إذاً ؟
- إنما للكاتب هنا قناعة تامة ترى " أن العقل لا يسَتخِدم ولا يُستخدَم حيث هو جوهر محض",وأن هذا العقل الذي يستخدمه البشر في مصالحهم وأغراضهم ليس هو إلا صنماً من أصنام الفكر الذي أقامته فلسفة الغرب من أجل تظليل البشرية جميعها . إنني ألمس هنا حقائق بديعة في هذا الكتاب يا عزيزي عَمْر.
- أية حقائق تراها هنا بين يديك يا زيد قل لي؟
- يقول الكاتب : إنها حقائق سطرّها عقل الوجود " قلم الأزل" في الصدور في سطور من نور, وصارت تضيء ذاتنا الجوهرية , وإذا ما توجهنا إليها في بصائرنا المشتاقة – ازدادت هيبة ونوراً وغبطة وإشراقاً, وإن لم نلتفت إليها فقد تبقى صدورنا في عتمة من ظلام الجهل. هذا ما يقوله الكاتب يا عمر.
- أنت تضعني يا زيد أمام مرآة ذاتي ولكن من غير بصيرة – وهذا ما يشوقني لأبصر, زدني علنيّ أبصر شيئاً من خلال هذا الكتاب.
- وكأنك يا عَمْر تبصر ما أتى عليه الكاتب تحت عنوان مرآة الحياة.
- ماذا يقول الكاتب يسرني أن أعلم لأنني أصبحت أتوق لهذا الكتاب يا عزيزي؟
- يقول الكاتب: إن لكل حركة متصورة في الوجود ؛ مرآة نرى فيها صورة هذا الوجود, صورة يهبها الوعي قيمة جمالية متصورة في مرآة الحركة.
- وماذا يعني الكاتب هنا ؟
- يعني الكاتب يا عزيزي عَمْر , أن بصيرتنا التي تتحقق بالوعي, تحقق تعقلنا إلى حقائق الوجود تلك التي هي جوهر كل علم ومعرفة وبحث.
- وما هي مرآة الوعي حسب ما يراه الكاتب , أليست هي الأجمل؟

- بلى يا صـــديقي , فالكاتب يجيب بقوله: إنما هو العقل,جوهر الوجود.هو التناغم وهو النغم , والقيثارة والنشد والوتر,وما يصدر عنه هو منه وإليه, إذا ما كان هو إرادة الموجود الحق وفعله.فهل أتى الكتاب على ما تريد يا عزيزي عَمر؟
- بلى يا أخي , غير أني لا أفقه شيئاً.
- هي الفلســفة يا عمر أشــد ما تحتاج إلى دقة الانتباه,من أجل الوصــول إلى روعة

المعنى مع وداعة الكلمة. فالعقل حســب الكتاب هو فعل الموجود الحق,حيث يحرك إرادياً,والحركة الإرادية إنما هي "حركة شوق منه وإليه " أي أن الجوهر هو في أعماق الذات "جوهر غبطة- جوهر شـوق" يبث الشـوق منها إلى الكيان كله الذي هو في غاية الشـوق لتلك الذات وهي في غاية الشـوق إلى المطلق في الوجود.وفي هذا تتم الحركة – حسب ما يراه الكاتب يا عزيزي عَمْر.

- يشوقني هذا البحث, وقد أصبحت أتوق إلى معرفة المزيد, فما هو الوعي إذاً؟
- لنبحث معاً يا عَمْر بين صفحات الكتاب علنا نجد الجواب.. بلى يا عزيزي ها هنا قد نجد الغريب والبديع, تحت عنوان " الإنسان والوعي "
- قل لي يا عزيزي ما ذا يقول الكاتب تحت هذا العنوان الجميل؟
- إن الكاتب يعلم أن عالمنا هذا الذي نعيش فيه يضعنا حقاً وراء حدود المعرفة الحقيقية للحياة الفرح. يقول الكاتب: إن الوعي هو عالم قائم بذاته , هو العالم الحر- عالم السيادة الحقيقية – عالم الحقيقة – عالم العقل – عالم الجوهر- هو العالم الذي نرقى إليه بنور منه- ومعرفة ذلك النور من أجل أن تكون ســبله الدالة إليه . هنا نجد أننا نجهل فعلاً يا صديقي عَمْر.
- أين نحن من هذا كله يا صاحبي إذاً؟
- لا بد أن نكون في غابة موحشة لم يتكشّف لنا نور الحياة الحقيقية يا عَمْر.
- زدني بالله أن تزيدني يا زيد من هذا الكلام البديع.
- يقول الكاتب هنا:الوعي هو الحب الذي يصــوغ ذاته صــياغة جوهرية,هو الذي يحرر الكيان من الغرض والغرضية , ويرقى به إلى سلام حقيقي- إلى

حرية النشــد– إلى التناغم الروحي فيما بين الناشــد والمنشــود- الوعي هو جمال مطلق هو سـعادة أبدية – هو سـيادة حقيقية- هو التحقق الجوهري – هو " عقل "
.

وما دمنا نجهل فلا حقيقة لنا, لأن الحقيقة لا تتجلى إلا بالوعي, فالجهل يحجب عنا جميع المقومات الإنسـانية والمعنوية والروحية-إذا ما كان الوعي يسمو بنا في عالم الجمال المطلق – إلى حرية الإطلاق– في عالم الإله.أتسمع يا عَمْر؟

- إن هذا ما يشده البصيرة والسامعة والبصر, إذا ما كان الكاتب يتصور هنا في ريشـة الوداعة ذاتها, وكأن الكلام هنا هو صورة الوداعة ذاتها, هل أتيت على روح المعنى في قولي هذا يا عزيزي زيد؟
- بلى لقد أجدت القول يا عَمْر , فهل أنت معي في قولي عن هذا الكتاب وعن كل كتاب تصُاغ عباراته بمثل هذه الصياغة الجوهرية؟

-في الحقّ,يجب أن نتعلم واجب الحياة,وأن ننتظم في ســنن ونظام الوجود بالعلم والمعرفة, من أجل أن نعي واجبنا في الحياة – من أجل أن نعقل إذا ما كان العقل هو روح الحياة , وهو جوهرها وضـــميرها , من أجل أن نحيا في روعة الضمير.......

# رسالة إلى مَنّ كتب رسالة

رسالة.. تصورت في ريشة ضميري, وفي نور ذاتي, فكانت مشكاة نور في ضميري وذاتي,مشكاة نوركشفت عن بصيرتي حجب الظلام, فتكشّف نور بصيرتي لأرى أن سُـــلَمَ الأبدية , لا يُرى إلا بنور الأبدية, ولأعلم أن الحياة قد ترقى بنا , إذا ما كنـّا نرقى بها , فالحياة هي نحن, لأننا البناء الأبدي إلى حياة لا تزول.

فلم يمت أحدٌ؛ وأحداً لن يموتَ,إذا ما كان بناة التاريخَ لا يزالون هم بناة التاريخ, إذا مـا كـانوا في كـل أين وفي كـل زمن,إذا مـا كـان دســتور الأبـديـة هو: ....................." الصعود والنزول من على سُلم الأبدية " .................

فكم تمازجت سعادتي في كنه الوجود وتغنتْ مع أنغامه, وتعانقت مع إنشاده, وتراقصت على أوتاره, لتكون سعادتي في الوجود هي أنا, وهي هو, وهي نحن.

وكم تمازجت شقوتي مع شقاء البشر, وكم آلمني ذلك الشقاء حين علمت أن التاريخ قد خطه قلم شقي– خطه على صفحات شقية,خطه بمداد أسود على صفحات ناصعة بيضاء فأشقاها وأشقانا. خطه بذلك اللون القاتم, لأنه لم يكن يهتدي إلى نور الحقيقة من أجل أن يخطه بمداد من نور الأزل,من نور يغبط الذات ويبســطها, لكنه حجبها بحجاب الجهل- فأماتها بالذل- بدلاً من أن يحييها بالغبطة والفرح.

حين قرأت رسالة التاريخ من خلالَ موسوعة أدب وأدباء العرب – حزنت على تاريخ خطه الحزن على وقع أنغام حزينة تبعث الألم في الصدور,حزنت على جهالة كانت ولم تزل هي الفكر المسيطر على كل شيء عدى الجهالة, هي المآسي .

فقد كان الإنسانُ مركولاً بقدم الزمن ولم يزل. وكان الزمن مصعوقاً بسيف الفكر ولم يزل , لتكبر غابة الوحوش وتعلو آفاقها وتتسع حتى تحجب وراء غياهب الجهل عالم السمات والصفات والمثل؛ عالم الحياة الفرح, عالم الحق والواجب.

إن الإنسان رسالة في ذاته تتصورْ, والعالم رسالة في ذاته تتصورْ, فما أبدع الرسالة التي تتصور في الذات بريشة الحقيقة, وما أبدع الذات التي تصور ذات ماهيتها من أجل أن تتجلى هاتيك الحقيقة الغريبة غرابة الذات عن التصور.

فإذا ما كان الجمال هو غاية كل تصـور, فاعلمْ أيها الإنسـان, أنك أنت الصـورة , وأنت المصّور , وأنت المتصور, فحين ترقى إلى مواقع الإهابة تلك, فتصبح أنت أنت رسالة الحياة , إلى عالم ينشد ... الفرح....

هي سعادتي أنت في جمال ذلك التصور,هي أن تبتسم– هي أن تحيي الابتسام في الأعماق, فحين تبتسم الأعماق؛ فالكون بكل أرجائه يبتسم ويصنع الابتسام على محياه ومحيانا, حينها يعلو الإبتسام في الكون والكينونة والكيان,لأننا بالروح ومن الروح نبتسـم – إلى وجود صـيّره الابتسـام غبطة جوهرية – وفي محياه المشرق الجميل - نبتسم.....

حين يبتسم الوعي,تتجلى حياة الفرح,يتجلى الحب الحقيقي وتصدح طيور الحرية بأنشودة السلام في فضاء حرٍّ,سعته الأكوان, سعته أنت, سعته الأرض والسماء, والغبطة والفرح, وفي ذات ماهيتك الحرة.. يتناغم النشد , فيما بين الناشد والمنشود لتحيا في جمال الوعي – في جنائن العقل – في حياة الفرح.

لتعلم أن الكتاب هو الحبيب– والحبيبة هي الكلمة, والحب هو القلم الذي يصـوغ دارته صياغة جوهرية يصوغها في الذات– ومن الذات تشرق محبة خالصة.

فقد علمتني الكلمة لغة الصمت,وقالت : إن لم أكن أنا كلمة الوجود .. أغنى ما في الوجود .. فالصـمت أثمن .. هي علمتني إنسـانيتي .. علمتني كيف أكون إنسـاناً في ذاته .. ومنه تشرق شمس المحبة .. تشرق في حرية .. وصيرتني الكلمة من فلذات روحها .. حين أصـبحت .. منها .. أنظر إليها بشـوق وهيام .. وصـرت فيها توقاً واشتياق .. حين رأيت أنها بعضاً من حروف ذاتي التائقة .. فصارت هي أنا .. حين ذابت ذاتها في ذاتي .. وذاب كوني وكياني في ذاتها .. وصـارت كلمة مشـرقة على الوجود .. مشـرقة بنور جمالها .. وعلو جلالها .. .. وبقيتُ العمر كله .. أنظر إليها بنورها .. وتنظر إليّ .. نظرة معشـوق حقق عشـقه في ذاته .. وقال لي الكتاب أن أتسع,حين أخبرني عن عظمة الاتساع, حين قال لي: الشجاع مَنْ يتلقى الصفعة في ابتسام, مَنْ يعطي مبتسماً , مَنْ يعذر, مَنْ يسامح.

وقال ليّ الوعي:إن الاحترام ينبوع الحضارة تلك التي أخبرتني عن الأدب قائلة: إن الأدب قد خطه قلم السـمات والمُثل بمداد الوعي - حتى الإهابة والوقار. قال لي: بالعفة تكبر,وبالأخلاق تكبر, وبالوقار تكبر .. وبالعطاء تصبح من روح الحياة .. إذا ما كان العطاء هو هو .. روح الحياة .. وإذا ما ذهبت إلى المُثل , فقد تصـبح منك تخبرك عنك في لغة الحياة .. في لغة الحقيقة.

وقال لي الوعي: السعادة هي أنا,فأنا هي في ذاتها.سوف تجدني في عشق الكلمة للقلم, وعشق القلم للوجود, وعشق الوجود للحياة .. وأخبرني أنه هو الحب في ذاته, والحرية في ذاتها,والسلام في ذاته, والأبدية في ذاتها, والصدق في ذاته.ثم قال لي الوعي كلاماً غريباً , غرابة الغريب المفارق , غرابة العقل.

وقال لي الوعي: إذا ما أردت السيادة أيها الإنسان فالسيادة هي وعي - أنا– ولن تعرفها -إذا ما كنت خاضـعاً لتلك القيود المهينة– فاعلمْ ان الوعي هو المحررمن جميع القيود .. فأنت وعي يجهل كنه ذاته, أنت جامعة علم مقفلة, أنت كلمة حرة حروفها سائبة في أودية الظلال,أنت رسالة سلام لم تـُحقق غايتها,أنت ينبوع الفرح الذي لم يتفجر, أنت أغنية بلا لحن ولا وتر, أنت عاشق يجهل معشوقه , فذابت في ذاتك صور العاشق والمعشوق. وأنت في ذاتك حركة شوق تائهة في قفار البعد.. واعلم يا صـديقي .. أن الوعي قد يرقى بك إلى صـراط الأمر... إذا ما كان الزمن هو لك ولأجلك .. فأنت بنور العلم .. تذيب الجهل .. وإذا ما نهلت من ينابيع المعرفة .. تتسامى إلى مواقع الوعي , وسوف تجدني في كل لحظاته مشرقاً منك– منيراً سبل الحياة إليك.. لأن عالمي هو عالم الحقيقة .. عالم السيادة الحقيقية .. عالم الغبطة والسـعادة والفرح ... هذا مما قال لي الوعي, وهذا الغذاء .. إنما هو من زاد رسالتي إلى عالمي الحبيب .. إلى من يريد أن يكون رسالة الحياة الفرح ٠٠

# الجزء الثامن من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

- **التوحيد بين ماهيته وأركانه**

يقول الكاتب:" الله ســـبحانه وتعالى معلّ علة العلل. العلّة هو العقل الكلي, والعلل هي المخلوقات. وعقولنا هي جزء من العقل الكلي, وبقدر صـــلاحنا يتنامى هذا الجزء حتى يصل إلى حدّ الإمامة, ولن يبلغها أبداً ".ص ٧

كنت أتمنى لو قال الكاتب عن عقل واحد, مبثوث في جميع ثنيات الوجود وفينا , إذا ما كان بسطاً محضاً , والبسط المحض لا ينقسم ولا يتجزأ.

والجزء , أي ما هو نقطة بيكار كل منا , ليس بحاجة إذا ما كان جوهراً تاماً من صميم الجوهر التام, إنما الحاجة هي منّـا إلى وعيه من أجل أن نسمو ونرقى بنور جوهره إلى عالمه " عالم العقل " لأننا عالم فكر.

وإذا ما قلنا في بحوثنا السابقة : " إن العقل كمال لصفات الخير جميعها ", وأننا حين نسلك صراط الأمر من خلال سمِّونا عن أهداف المصالح والأغراض إلى الغاية من وجودنا إرادياً , فقد نصبح في عالم غايته كمال صفاته , أن يعقل ذاته.

يقول الكاتب: "كل شيء في الأديان يكتسب قداسة مع الزمن, فينسى الناس الجوهر,ويتمسكون بالمظاهر,مبتعدين عن المبدع, لأنه بعيد عن حواسهم القاصرة.. والتوحيد عمّ الدنيا على يد دعاة منهم (زاما) الذي جاء من أوروبا إلى المشـــرق. و(إيما) في بلاد فارس, وكلاهما مع (كريشنا) نادوا بالصدق والحق وخلود الروح والتقمص ... كما أن الموحدين في مصر كان مثالهم هرمس الهرامسة,وهو أول من نادى بالتوحيد في وادي النيل, وكان يعتبر الفرعون (أتوم) هو المبدع متجلياً لهداية المصريين [ ٢٤٢٠ ق م ],وكانت الأضاليل قد شاعت بعد (أتوم) في مصر, فجاء هرمس بعد أربعة عشر قرناً وكشف التوحيد المرتكز على العقائد التالية:

- إيمان بإله واحد متأنس متجلّ بالناســوت, هو (البار)عند شــطنيل , و(أتوم) لدى هرمس.
- التقيّة في الدين .
- جوهرية النفس وعدم تجزئتها ولا تعددها, وخلودها ومقاضاتها.

- العبث بما كان سـائداً من تكاليف والسـعي لإدراك الحق بالمطالعات الروحية.

بلى ,هي رسالة الأزل,رسالة قدسية,إذا ما خطها قلم الوجود في مداد الحقيقة على صفحات الأبدية ,في لغة الحقيقة,أمام شهود الأبدية, لكن الطامة الكبرى هي أن عين الفكر لا تبصر سوى مادة أغراضه ومصالحه, لينظرها بعينه, ويترجمها بلغته, من أجل أن يخرجها من غايتها, ويضعها في خدمته.

فلم يسمع اليهود من السيد المسيح ما قاله في رسالته, لأنه قال لهم في لسان العقل , وأوّلوا ما قاله في سامعة الفكر, وشتان ما بين العقل والفكر.

ومن حيث التجلي نرى, أن لله شأن لا يدانيه شأن. لكننا نسأل عن سقف لهذا الإنسـان من خلال وعيه للرسـالة السـماوية بعظمتها وقدسـيتها وجوهريتها وأبعادها وأعماقها,لنقل:أنها قد ترقى وتسـمو بالإنسـان المريد إلى عالم الغاية الجوهرية,إلى عالم الإله. إذا ما تذكرّنا جملة من المتصـوفين الكبار وإلى المواقع التي قد وصلوا إليها من خلال سموّهم في تحقيق تلك الرسالة القدسية.

إنني أقول رسالة واحدة ودين واحد, لأنني قد رأيت في الإسلام , أن الرسالة كاملة, وأن الدين كاملٌ لأنه احتوى جميع ما سبقه, فأصبح الإسلام خاتم الأديان جميعها, إنما هي بالحق دين واحد, ورسول واحد, إذاً إن الرسالة واحدة.

فالذي أراده الكاتب هو إظهار حقيقة التوحيد في مناصرته للرسالات السماوية التوحيدية جميعها, حيث كان في صميمها وصار منها وإليها, وإيمانه بدعوة الحق وكان فيها مبدأ صدق, فصدق مع ذاته, وصدق مع الأنبياء والرسل جميعاً.

تعريف وماهية التوحيد:

يقول الكاتب:"- التوحيد[ في اللغة ] الحكم بأن الشيء واحد,والعلم بأنه واحد. في اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام, ويتخيل في الأوهام والأذهان – التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية, والإقرار بالوحدانية, ونفي الأنداد عنه جملة.

- التوحيد , معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد.. لا يحضـر في شـهوده غير الواحد جل جلاله.
- التوحيد هو حكم الله في قلوب عباده, وهو سـر يكاشـفه الله لعباده. التوحيد هو نهج العقل والقلب ومنطقه هو في منطق العقل . والعقل يطلب أيضـاً التوحيد والوحدة ... وحدة عقل جميع مظاهر الكون.
- التوحيد هو مسلك عرفاني يعتمد معرفة واختبار الحقيقة الأخيرة.
- التوحيد هو التوحد مع الذات الحقيقية,في مسـتوى الذهن وبصـيرة القلب وحدس الروح.
- التوحيد هو النزوع إلى الوحدة الشاملة للكون عبر الحركة في كل إنسان, من خلال نزعة الفكر إلى الوحدة, ونزعة الرغبة إلى الوحدة, ونزعة العمل إلى الوحدة , وفي الحركة نحو المطلق التي هي تعبير رفيع للوحدة.
- التوحيد هو اسـتنباط قيم الحق والشـجاعة المعنوية والفضـيلة الإنسـانية والجمال, واكتناهها من ضمن مسلك ينسجم فيه ويتناغم حدس العقل وشعور القلب.
- التوحيد هو وحدة الإنسان ووحدة الكون الشاملة, حيث تبرز وحدانية الوجود,
- التوحيد والوحدة أو مفهوم الأحادية والعمل على بلوغه يكون من خلال تجاوز الكثافة الجسـدية بما تحويه من رغبات ونزعات ومدارك وحواس ترابية.
- التوحيد هو الإيمان بإله واحد عنه تصـدُر الحياة ومنه ينبثق الخلق ويتشـكل التكوين.
- التوحيد هو إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته
- التوحيد هو التجرد من الأعراض في الظاهر وعن الإعواض في الباطن.
- التوحيد هو تنزيه الرب عن أوصاف البشر, وتنزيهه عن التمييز والتأمل.
- التوحيد هو إزالة رفع الحدث , وإثبات القِدم ...... وهناك الكثير" ص ١٣

بديع ما يقدمه الكاتب عن التوحيد, بديع هو التوحيد الذي يحقق وحدة

العلة والغاية, وحدة الوعي, وحدة العقل, وحدة الذات, وحدة الجوهر, وحدة الناشد والمنشود, يحقق غائية الحركة الإرادية..وخلاصة الكلام هي:إذا ما كان الجوهر واحداً في الكون كله, والعالم قائمٌ على الاختلاف كونه يرزح تحت عبودية الفكر, ولا يعي جمال وعظمة تلك الوحدة,لأنه تعلّم أن عقولاً في كيانه, ومن الواجب أن يعي أنه جملة من الخلايا يحتويها الجوهر.

إن في الوعي توحيد الجوهر في الكينونة, وفي الكون, وفي الوجود, من أجل أن تنعتق الحركة من جميع القيود , وتصبح إرادية حرة.

فقد يكون التوحيد " في اللغة " هو الحكم . إنما التوحيد في الجوهر, هو الوعي حيث تنعتق الرؤية من قيود المادة, وتصبح حرة إذا ما كانت عقلية إرادية.

حين نعي أن العقل هو المحرك إرادياً إلى صيرورة الوجود,وهو الذي يتناغم مع الكينونة والكون والكيان فينا,لا بد أن يصبح القلب هو الوتر الذي يعزف أنغام العقل في جميع أرجائنا, والقلب, إنما هو جميع خلايا الإنسان الواحد, إذا ما كان الجوهر يحتويها كلها. هنا تتجلى السعادة الحقيقية استجابة إلى غبطة داخلية.

في الوعي يتجلى الحب الحقيقي, الحب الذي لا يكره, وتتجلى الصفات الخيرة والسمات والمثل, في الوعي تتجلي الحرية والسلام – والحق والحقيقة والجمال, في الوعي ,يصبح الناشد والمنشود واحداً, حين تتوحد الأشياء جملة في مكنون غاياتها.

إن غاية الوجود كمال ذاته, وكمال صفاته, كما هي غاية الإنسان من أجل تحقيق كماله الإنساني, حين يعي أنه جنة في ذاته, بالوعي تتحقق جنة الذات, من أجل تحقيقها في الوجود,من أجل أن يعلم أنه هوغاية الوجود الحقيقية.

حين نغتسل من الاختلاف كلياً؛فنتوحد بالوجود كلياً,حيث نعي أن الوجود والواجد والموجود واحداً, حين نعي أننا من صميم الوحدة الجوهرية, من صميم الواحد. فقد نصبح وعياً خالصاً, والوعي هو التوحيد في مكنون جوهره.

- ليس التوحيد الذي وضعه الفكر في خنادق المواجهة, إنما هو التوحيد الذي يعي أن الوجود قلب نابض بإرادة واحدة, إرادة حب وحرية وسلام, إرادة غبطة

وسعادة وفرح,في نعيم أبدية هي جنة في ذاتها,التوحيد الذي يتعدى الخطيئة والفكر, ويتعدى هذا الشقاء الذي يعيشه البشر؛ هو التوحيد الحقيقي.

## [ التوحيد ] علم الدين – دين العلماء
## نظرية إبداعية يقدمها صديق حميم ..

لنقل: أن العلماء يغدون إلى مختبراتهم وفي أيديهم آلة مادية من أجل الاستعانة بها للكشـــف عن غرض مادي, ونرى أن واجب العلماء هو البحث الدائب حول مظهرية الطبيعة وهم رُسل عالمهم في هذا المجال الكبير.

إنما التوحيد حسـب ما تقدم من بحث قد يرقى إلى مكنون الحياة والوجود, ولا بد لنا من النقد الصـريح والموجز لما جاء في هذه النظرية حيث يقول الكاتب عن إبداع الموحدين:"هؤلاء النبهاء الفضـلاء- من الناس – هم الذين طاروا بلطائف جواهرهم صـعدا,بعد أن تفلّجت عن المكنون أغلاق سـجونهم الصـدفية الجسـمية وآب الشـعاع الأصيل إلى منبعه,فاكتملت دوائر خلقهم التطوري". ص ٩

لكننا نرى أن سمو جوهرهم اللطيف ارتقى بهم إلى مواقع إنسـانيتهم المثلى, ولم تكن أجسادهم في سجون , إذا ما كانت هيولى قابلة للإتحاد بالصورة الجوهرية ولا من خلق تطوري للإنسـان .إذا ما كان خلقهم حسـب شـجرة الكون بنطقة (كن) لابن عربي . (كوني فكانت), وهذه النظرة هي جوهر معتقدهم.

يقول الكاتب: " هناك يجلس معلّمهم الملك القدّوس (العقل الكلي الأرفع) إمام الموحدين, هادي المسـتجيبين في اللامكان واللازمان فيقول:" وليكن العلم قوتك والناموس سيفك والصمت ترسك " ص ٩

إن العقل الكلي هو إرادة الله العلية,يفعل فعلاً إرادياً,إنما وجود السـيف والترس في سياق الكلام يخفضه إلى مواقع الفكر المتدنية.

يقول الكاتب : " والعاقل يفهم أن الغرض الحقيقي هو تحقيق الوجود بالعرفان التوحيدي لنيل الغبطة". ص ١١

نرى أن العاقل هو مَن حقق أقصـــى درجات الوعي , وقد تعدى الغرض والفهم. هو الذي اكتسب العلم وارتقى بالمعرفة إلى مواقع الوعي, إلى عالم الإرادة الغائية حيث عالم العقل الجوهر. وهنا يصنّف الكاتب نظريته حسب الأتي:

الباب الأول : حقيقة العلم , وحقيقة الدين

الفصل الأول : حقيقة العلم

المبحث الأول: في مراتب العلم... يخلص إلى أن العلم الحقيقي هو [ معرفة, فلسفة, علم , حكمة , يقين , حقيقة , توحيد .. ] ص ١٧

لكنه قال لاحقاً : ويقال إن الفلسفة أم العلوم , كما كان عليه ألاَّ يضع العلم في مراتب العلم , إذا ما كان قد وضع كل شيء تحت مراتب العلم حيث أصبح العلم أيضاً تحت مراتب العلم,إنما كان عليه ألاَّ يضعه بالدرجة الثالثة, لأن موقعه الحقيقي أولاً,فالإنسان يبدأ التعلم بالأحرف الهجائية,ثم يتعلم العلم الذي يضعه على مفارق سبل الحياة أغناها وأشرفها هي المعرفة. لكن الكاتب بدأ بالمعرفة أولاً, فقد يكون سقراط قد فارق الحياة قبل أن يبدأ بالعلم لأنه قال بالمعرفة.. وحجته,أن الطفل يبدأ بالمعرفة منذ صغِره, فقلنا له: أن الحيوان يبدأ الرضاعة والحركة لحظة ولادته ...

يقول الكاتب:"المعرفة:هي الإحاطة فهماً بالأشـياء,وظواهر الأمورفي سـطحية هذه الأشياء والأمور ودون التعمق استدلالا على حقائقها المغيّبة. وبعبارة أخرى نقول: المعرفة هي الفهم الأولي لكل شيء (وقائع وظواهر) وهي الفهم المرتجل.... كما أن المعرفة في بعض مواضيعها تشير إلى علم المستقبل أو استشراق الغيب, وعلى هذا الأساس يسمى المشتغل بهذا العلم [ عرافاً ] وبالمقابل فان المشتغل بعلم الماضي السحيق يسمى (كاهناً). ومنه نستدل على مدى واتساع مدلول كلمة المعرفة, وما هي إلا شكل مبسط من أشكال العلم". ص ١٨

لكن سقراط المعرفة قال: "أسدد الخمس الكوى تعرف مسكن العلة" و قال سقراط المعرفة: " لا ترموا درركم بين الخنازير" فهل ما قاله سقراط هنا شكلاً للكلام, أم هو جوهر الكلام؟ وهل هو عرافٌ أم هو كاهنٌ؟

وقال فيثاغورس المعرفة: العقل الحكيم مرآة الله..ص ٥٧..الفلسفة هي المعرفة عن الأشياء اللامادية والأزلية.. ص ٣٨. فهل هذه المعرفة شكلية؟

وهنا ومن فيثاغورثياته أيضاً قال: "يستطيع الإنسان أن يكشف قواه بواسطة معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة ماهية روحه أي متى أتت ومتى تذهب. ص ٨٣ يكمن الدين في معرفة الله, معرفة النفس, وإتباع الله ... من يعرف الله سيعرف كيف يعبده ... تكلم الحقيقة أو لا تقل شيئاً على الإطلاق.. " ص ٩٧ ......أليس المعرفة هي التي تسمو بنا إلى عالم الحقيقة؟

إن معرفة النفس, ومعرفة الوجود, ومعرفة الله, من أشرف وأقدس واجبات الإنسان على الإطلاق .. وهي ليست فهماً أولياً فابن عربي ليس كاهنا ولا عرافاً .

يقول الكاتب:" الفلسفة وهي معرفة تعقلت,أي دخل فيها الفكر الهادىء عميقاً"

إن الفلسفة المادية قد أقامها الفكر من أجل أغراضه ومصالحه, لكن الفلسفة المثالية التي تسامت بالإنسان إلى مواقع مهيبة, منذ إشراقها مع فجر التاريخ, وكانت غايتها الكشف عن حقائق الوجود ومكنون الإنسان ذلك اللغز الغريب الذي يتوق إلى معرفة سر ذاته , وسرّ ماهيته.

إنما نرى أن الفلسفة هي" وعي المعرفة من أجل الكشف عن المكنون"فنحن بالوعي نعقل ذاك الغريب المفارق ( العقل الجوهر) الذي يظن بعض البشر أنهم يستخدمونه ويملكونه وهو مبدع الوجود وضميره وسابقه, لا يستَخدم ولا يُستخدم لأنه حرية محضة,ولا من عقل غيره سوى عقل ديكارت الذي صنعه من أفكاره الجهنمية.

يقول الكاتب:"أو تعامل العقل معها,واخترقها الذكاء باحثاً عن وشائج تنـّظم عقدها وتشد أزرها" ص ١٩

إننا نرى بالفلسفة بسطاً للسبل, وغبطة للذات, وسعادة للكيان المتناغم مع الوجود في حدائق جناته مع نغمه- على وتر الأبدية, إذا ما كان العازف هو الوعي الجوهر.

يقول الكاتب في وصف الفلسفة :" وبعبارة أخرى:[ الفلسفة] شمولية أيضاً, وهي تـُخضع المعارف إلى محاكمات عقلية منطقية ". ص ١٩

نرى أن الفلسفة غائية إرادية رائدها الوعي هي تتعدى الخضوع إلى السيادة, وتتعدى جميع المحاكم والمحاكمات لأنها سمو إلى ما هو أغنى, إذا ما كان عالمها هو عالم الحرية , فأنت بالفلسفة الحقيقية تكون قد تجردت عن عالم الفكر مرتقياً إلى عالم الحقيقة المجرد, عالم الفرح.

يقول الكاتب: " وذلك بإجراء حسابات ومقارنات ذهنية على المعارف الأولية, فتستقرئْ وتستنتج, تحت مظلة الفكر الثاقب والعقل الذكي". ص ١٩

نرى أن الوعي قد يرقى بجميع أغراض الحياة إلى مواقع تصبح حركتها إرادية حرة بعد أن يتعدى جميع مظلات الفكر الثاقب وعقل ديكارت الذكي,فجميع الأشياء هذه قد تذيبها نفحات الحقيقة حين ينعتق الإنسان من تلك القيود المذلة.

يقول الكاتب : " وبدخولنا في معترك الفلسفة هذا ". ص ١٩

الجميل الجميل هو القول: " وفي سمونا إلى حديقة الحدائق تلك" لأن الفلسفة هي وعي المعرفة , والمعرفة قيمة جمالية تنتظم في أغنى ما عرفه الوجود من حدائق تائقة في حب الجمال , فالمعترك الفعلي هو في ميادين الفكر فقط .

يقول الكاتب: ويتكـّون البناء الفلسفي من جملة حدوس وإلهامات, ومحاكمات عقلية.. تشكل طرائق في التفكير ترتفع – هذه الطرائق – فتصير نظريات وعقائد, ثم تنتظم – هذه النظريات والعقائد – في مدارس فكرية ,, ومجموعة مدارس فكرية منسجمة تشكل مذهباً فلسفياً" .ص ٢٠

نحن إذا ما تكلمنا عن المكنون [ الجوهر الواحد] حيث هو وحدة بسيطة لا تتجزأ, لا علاقة لذلك الفكر بنا إذا ما كان همه في السلب والنهب قد يكفيه.

لنقل: إن المذاهب الفلسفية العقلية - قائمة على باطل – لأن كل من تمذهب فلسفياً يكون قد تحزّب, وكل من تحزّب فلسفياً يكون قد تحزّب عن الحقيقة وليس إليها, فالحقيقة كلية جوهرية مطلقة ومجردة ولن نصل إليها إلا بعقل مجرّد.فالقاضي إن لم يتجرد لن يعدل , وإذا ما تجرد نطق بلسان الحقيقة وبروحها – وصار منها وإليها.

هي أمنيتي إلى من يتوق السعادة الحقيقية أن يتعدى خداع هذا الفكر بالوعي من أجل أن يرقى إلى حدائق الجمال الحقيقي في عالم الجمال الحقيقي – عالم الحرية الحقيقية....فكم كانت طعنات الفكر جلية على جبين الزمن – إنما كانت لعنات الزمن أكثر وضوحاً على جبين الفكر.........وأقول هنا : حين صورّت بشاعتي في ريشة الجمال, فقد رأيت بشاعتي في غاية الجمال .

يقول الكاتب:" فالمذاهب تنطوي على جملة من حقائق, وليس مجرد معرفة نظرية !! وعليه , فالمذهب يهدف إلى الحكم التقريري ومن ثم إلى إطلاق الأوامر والنواهي." ص ٢٠

نرى أن الأحزاب ُجلها قد وُلدت من رحم الفكر مملوك الاختلاف, وكل حزب قد يضع أمامه أهدافاً معينة ثم يناضل من أجل تحقيقها بزعامة هذا الفكر. هنا لا مكان للحقائق الجوهرية الثابتة, إذا ما كانت تلك الأحزاب قائمة من أجل مصالح مختلفة مما يكرّس الاختلاف فالصراع ثم الحرب التي استعرت منذ أن قال الفكر فرّق تسد.

لكن الموضوع الذي قامت الفلسفة من أجله هو أغنى وأشرف وأقدس,هو غائي, والغائية تتعدى الهدف.فهل يقبل المنطق الأخلاقي أن نضع سقراط وهتلر في لائحة واحدة, لا بد أن يكون البُعد شاسعاً جداً – كالبعد بين [ العقل والفكر] .

إن الفلسفة الحقيقية هي سمو وارتقاء عن ميادين الصراع التي أقامها الفكر في كل مكان حتى شمل كيان الإنسان الواحد, إذا ما كانت أشرف سبلها في ذلك هي التأمل في عظمة الوجود والحياة والإنسان.بلى الإنسان ذلك اللغز الغريب غرابة الجوهر عن عالم الفكر.

إن من يضع العقل والفكر في سياق واحد, كمن يضع سقراط وهتلر في سياق واحد ولا بد أنه لا يعرف العقل ولا يعرف الفكر هذا مع احترامي وتقديري إلى جميع المفكرين الذين أناروا الحياة بالنور المادي للحياة.

يقول الكاتب عن العلم:" وهذا مصـــطلح يتمادى في مدلوله ما بين الفهم الأولي, والابتكار العقلاني ومن ثم إلى اليقين التجريبي المخبري ... فالعلم – مبسّـطاً – هو المعرفة في حدود الاطلاع الأولي والملاحظة العابرة ! أما المعنى الدقيق للعلم فهو المدى الآخر لهذا المصطلح, أي أنه الحقيقة المستخلصة من تمحيص وخبرة وتجارب , بوسـائل العقل والعمل الميداني,, وفي موضـوع محدد ..فالعلم هو معرفة موضوعية عميقة متخصصة بالغة الدقة ! ومع ذلك فأن مجال العلم – إجمالاً – لا يتعدى الحكم القابل للمراجعة الدائمة ". ص ٢٠

رأيت في مختبرات العلم نظرية تقول: "تتألف الذرة من شـحنة بروتون موجبة وشـحنة ألكترون سـالبة ونيترون عديم الشـحنة". وحين تسـاءلت مع ذاتي عمن أعطى هذه الشحنة إلى هذا التراب؟ فعلمت أن عدسة العلم قد رأت حركة فوضعتها في هذا السياق المادي, لكن الحقيقة الجوهرية ربة الحركة قالت حسب رؤيتي : إذا ما كان الوجود واجب وجود- إذاً,لا سلب فيه– هو مشحونٌ بضمير- إنما هو ضمير الوجود وسابقه – مبثوث بكل ثنياته – يحركه من صميمه, وهذا الجوهر ينبسط ولا يتحرك وفي بسـطه يغبط الحياة والوجود, وفي قبضـــه يغبط ذاته , فالجوهر يحرك لأنه مبدأ الحركة السـرمدية التي هي نبض الوجود كالفؤاد أبداً .. وحين سـألت سائلي عن سر ما أتيت به – إن لم يكن هذا الإعجاز العظيم للمبدع الجوهر المحض, فلمن يجب أن يكون؟ فلم يجبْ. نرى أن العقل جوهر بسـيط والبسـيط لا يتركب. وأن مبدأ الحركة هو [ بسط وقبض ] وليس كما قال العلم [ سلب وإيجاب ]

وفي قول الكاتب :" إن العلم حركة حيوية واعية تحرّض على الوعي وتعمق الفهم ... ". ص ٢٤

نجيب: إن تعلم العلم يهدف إلى ... لكن معرفة المعرفة غايتها هي ... إذا ما كان الكثير من العلم عمل على هدم الحياة وقتل البشر,إذا ما كانت أزاهير المعرفة عابق شذاها في الأكوان,إذا ما كانت هي الدواء والشفاء, إذا ما كانت بلسم

العقل والروح,وهي تتسامى إلى عالم الوعي الذي فيه شهد وصال الحب بالحبيب الأزل. حيث لا ولن يراه علم من علوم الفكر الدنية.
يقول الكاتب: " والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمتلك عقلاً , وعقله هو الذي يعقل الحدود, أو يضبطها في الوجود الرتيب, والذي لا يرحم الشواذ ولا النشاز !! وعليه نستطيع القول الآن بأن العلم هو المظهر الخفي,وهو الحامل والمحمول إليه , وقد أوصل الإنسان إلى فرضية – يحاول إثباتها – ألا وهي : أن وجود العقل لديه هو الذي يستفزه ويضطره ويستنهضه لطلب العلم... " ص ٢٥
إن العقل جوهر بسيط والبسيط لا يتملك,كالحرية أبداً, هي ارتقاء وليست تملكاً. إنما الوجود الذي لا يرحم, فالجميل أن نتعامل مع الأشياء برحمة.لكن العلم لا بد أن يكون ظاهراً محسوساً أو قابلاً لذلك بواسطة مادته دائبة البحث في مظهرية الوجود عن أهدافه وأغراضه.
يرى الكاتب أن العلم سيد العقل,إنما نرى أن العقل هو قلم الوجود الجوهر, مبدع الوجود بإرادته العلية,والسبل إليه بعلمه ومعرفته ووعيه,إنما هي سبل حكمة ومحبة وبسط وغبطة وسعادة وثراء وعظمة ..وليست سبل استفزاز واضطرار واستنهاض لطلب من أحد.إن في الوعي انعتاق من جميع القيود,وفي العقل مشاهدة الحق تعالى.
يقول في خصائص العلم: " إنه في حدّيه المتباعدين– الأزل والأبد– واسع المدى وهو مضمار رحلة الوجود الدائب الدائم..إذ كل شيء متغير ومتبدل,أو متحول.. وبالعلم وحده يختصر المرء الكثير من شاسعات المدى !! فبتراكم المعارف وتنوعها يسهل ارتقاء معارج الحكمة.. وينكشط الظلام عن وجه الحقيقة الناصع وباكتشاف الحقائق تتوضح السموات وتدنو مرابع السعادات وتقترب ". ص ٢٦
- لا حدّية متباعدين فيما بين الأزل والأبد, إذا ما كانت الحركة حركة شوق منه وإليه,ولا من بُعد فيما بين العلة والغاية إذا ما كانت الوسيلة من صميم الغاية. هو الوجود في سفر, سفر الذات في الكينونة– إلى ذاتها الكلية في المطلق. ومهما

تراكمت المعارف وتباينت فلن تصل؛إن لم تكن الحركة غائية,وغايتها غاية الغايات جميعها, والحركة الغائية هي من جوهر الغاية حيث يتقابل النوران, فيزول الظلام وكل ظلام ويتكشف حجاب الفكر المادي, ليشرق نور الجوهر الحقيقي.

- يقول الكاتب:" وأن الحياة ما هي إلا صراع مستمرّ لاجتياز العقبات والمخاطر.. فبالعلم يتسلح المرء– بحرية المناورة– والقدرة على متابعة التحرك إلى الأمام" ٢٦

نرى أن الكاتب يريد الأمر بالقوة,ونحن نجد أن القوة تحرمنا من السيادة والحرية إذا ما كنا نتعدى الصراع إلى التسامي الذي يعتقنا بالوعي من أوحال الفكر الدنية .. فنحن لا نريد أن نحتل موقعاً , إنما نريد أن تشتاق إلينا جميع المواقع السامية.. نحن زائرون إلى حدائق الوجود ولسنا غزاة, وزياراتنا المتتالية تحقق أبديتنا.

يقول الكاتب:"ولأن المتعلم يمتلك الحكمة, لكبر مخزونه المعرفي, ونمو غريزته الاستكشافية,, فهو – إذاً – في – رفعة وسؤدد – تعلو منزلته بمقدار ما يمتلك من العلم وبالمقدار الذي يمكّنه عقله من استخدام هذا العلم". ص ٢٦

إن الحكمة لا تتملك إذا ما كانت حرة تنشد الحرية لبني البشر, فالحكمة تحرر من قيود الجهل والخطيئة والفكر, إذاً, الحكمة لا تتملك.

والغريزة قد تعيدنا إلى درك لا يناسب موقع المتعلم وهو في رفعة وسؤدد, كما أن العقل وهو حرية محض لا يستَخدم ولا يُستخدم لأنه غاية المعرفة.

يقول الكاتب:" ومع أن العلم غاية,,فهو أيضاً وسيلة لطلب المزيد من العلم " ٢٧

نرى أن العلم وسيلة من أجل تحقيق هدف ما والمعرفة وسيلة من أجل تحقيق غاية ما, والوعي وسيلة من أجل التحقق في العقل غاية الغايات جميعها.

المبحث الرابع : في مصادر العلم هذا حسب الكاتب حيث يقول:

١ – العقل

يقول الكاتب :"عندما نعترف بأن الإنسان وحده, من بين المخلوقات كلها, هو الذي يمتلك عقلاً قادراً على التفكير, والمحاكمة والقياس والمقاربة, وأنه هو وحده الذي يمتلك العلم ". ص ٢٩

نرى أن الإنسان لا يمتلك, لأنه مملوك للفكر, ولا يمكنه الإنعتاق من عبودية الفكر إلا بالوعي حيث يصبح سيداً حراً, والعقل لا يرى الفكر ولا يمتلك العلم لأنه هو العلم في ذاته. العقل جوهر بسيط, والجوهر البسيط حرية مطلقة .

٢ – نوافذ الجسد (السمع والبصر واللمس والذوق والشم, والعواطف والسجايا أو الملكات النفسية..) وجميعها متحققة للجسد فبهذه الآلات يمكن للعقل جمع المعارف وترتيبها وجعلها علماً نابعا, ومنبثاً ..". ص ٢٩

لا بد هنا من العودة إلى سقراط في قوله: " أسدد الخمس الكوى تعرف مسكن العلة " فبإغلاقهم ثم بالتأمل ملياً بنور العقل نعقل ذاتنا الحرة. لأن الحواس تدلنا على المحسوس فقط خاصة إذا ما كان آمرها الفكر.

نحن نبحث في المعرفة من أجل وعيها , ذلك الوعي الذي يتناغم مع العقل إذا ما كان العقل هو الغريب المفارق ولن نعقله إلا بالوعي, هو في صميمنا لكننا لم نلتفت إليه أبداً, لأننا مشغولون بخدمة مولانا الفكر كوننا عبيده, وحين نسمو إلى مصاف العقل فقد نصبح من عباد الله ولم نعد عبيداً للفكر, لأن العقل يكون قد حررنا من كل عبودية حين نصبح في مؤانسة الله لأننا من صميم جوهره الشريف.

٣ – كتاب الطبيعة : والطبيعة من حولنا كتاب مفتوح, هو للإنسان

٤ – المحن والفضول : .... فالمعرفة باب – إذا انفتح – يفتح أبواباً – والعلم نور- إذا أوقد – يشعل ناراً .

٥ – ميراث السلف.

٦ – المواهب والتنظيم : الناس طبقات , منهم الهمل , ومنهم العاديون , ومنهم النجباء والنبهاء والحكماء .. كما ومنهم الأنانيون , والذاتيون, والكونيون .. فذوي الميول المتدنية لا محل لهم في هذا المبحث ..... " ص ٣٠

لقد أكثر المؤلف من الطبقات, إنما ذوي الميول المتدنية قد يشكلون ما يزيد عن ثمانين بالمائة من البشر على وجه الأرض, أي أنهم القاعدة الأخلاقية للمجتمعات العالمية وهي القاعدة التي تعطي وتقدم وتحمي وتكافح, والتي منها الحكماء والعلماء والأدباء ومنهم سيادة الكاتب الذي قال في مطلع كتابه هذا: امتطيت

الفرس والجمل والحمار من قبل أن أمتط الطيارة والسـيارة والقطار ..قلعت الدرّيس والدردار من أخمص قدمي, وسللت السّفير من باطن كفّـيّ, ولكم انتفضت حينها من ألم .." ص ٣

إن هؤلاء البشـر هم أهلي وعزوتي, منهم أتيت, ولهم أكتب من عميق أعماقي, وأشاركهم الألم والحرمان,وأشاطرهم الفرح.هم الذين نهب الفكر عصارة جهدهم و أبقاهم أذلاء مستَضعفين بعد أن قتل حكماءهم وأدباءهم وفلاسفتهم ومرشديهم من أشعيا النبي حتى كمال جنبلاط . هم الذين يتمتعون فقط بعزة النفس, وطهر القلب, وروعة الضمير.....هم الذين لا يخفضون معاييرهم لتلاءم الظروف حسب غاندي ,بل يرفعون الظروف لتلاءم معاييرهم.

٧ – الدين

٨ – الوحي

كان من الواجب أن أكمل نقدي الذي يشبه الماس في صلابته, والفل في براءته كوني المستفيد من غير عناء , لكن ضعف بصيرتي في فهم هذه النظرية البديعة تجعلني أتوقف هنا مع شكري للسيد الكريم على تحفته هذه والتي لا تُـقدّر بثمن. ورؤيتي هي.. أن الحكمة ينهلها الحكيم من ينابيع الوجود .. ويغدقها على عشاقها .. والحكيم .. هو من يكون نبعاً للحكمة .. ومثلاً بديعاً لها .. إذا ما تطرق أحدهم إلى حكيم في لبنان .. يقول الحكمة من بين أغراض الحياة .. وهذا لا يجوز .. ..
إن نظرية التوحيد .. هي نظرية واحدة .. وعمرها ما يزيد عن ألف سنة .. أو ملايين السنين.. جميل أن نضع لها تفسيراً, أو شرحاً , أو رؤية .. تنسجم مع الواقع الذي نحن فيه, إذا ما كانت معظم الملل والفرق والعقائد والنحل قد وضعت في أزمنة الاختلاف , وأن عصرنا هذا قد تعدى ذلك الاختلاف .. فالواجب أن نكتب عن الوفاق.. بقلم الحب الصادق .. لنكتب عن الدين الواحد الذي هو دين الله الواحد, في مداد الجوهر .. ونعتق عنا كل تلوين .. إذا ما كانت الحقيقة .. محض صفاء .. إذا ما كان الحب الجوهر .. غاية الغايات جميعها ..

# قبسات من كتابات كمال جنبلاط

## ** الذات مرآة المطلق**
## ** جاء النور إلى العالم ولكن الظلمات لم تعترف به **
## ** لا تستطيعون أبداً تغيير العالم **

يقول المعلم:" كيف يمكن فصل الوعي– النور عن نار جهنم؟! فالنار– أي الطاقة كما يقول هايزنبرغ – هي أصل النور. لأنها أصفى شكل للطاقة حسب هراقليطس فهي تكاد تكون الحالة الرابعة للمادة"ص ٥٧

إنما نرى أن النور المحض هو سابق للطاقة, إذا ما كان ضمير الوجود-مبدع الوجود وسابقه- والطاقة من مبدعاته كونها مادية-أي أن "طاقة الحصان البخاري (١٤كم ساعي) إذاً,لا بد من القول:إن النور المحض الذي نحققه بالوعي هو صفاء محض – هو نور الجوهر المحض, إنما النار كركن من أركان الوجود الأربعة هي صفة عالية من صفات المادة [ نار- هواء – تراب – ماء ] . فقد يخطىء الذي يشبّه العقل بالشمس,إذا ما كانت الشمس مادة من مبدعات العقل الجوهر.

يقول المعلم:" رؤية الشمس المنعكسة في آلاف المرايا. الوعي الكلّي للنور, أو بالحري, النور-الوعي بالذات. أيمكن الأمل بوسط اجتماعي,أو بمجتمع على صورة هذه البيئة الصوفية الحقة – وهي تكشف الإنسان لذاته تكشفاً حقيقياً في العريّ الجوهري لأناه؟ " ص ٥٧

" هناك هو نور الواحد الأحد,هناك هو في عمق أعماق نورالشمس,إن تبصرونه" أخناتون مع التصرّف

ونقول أيضاً: في عمق أعماق الوجود والإنسان والأشياء نور الواحد الأحد – بالتأمل في نور الوعي نبصره.

نرى أن توحيد الجوهر من خلال الوعي في وحدة جوهرية إرادية هي : (الأنا الجوهرية) وليست (الأنا الذاتية) التي أوجدها الفكر وعمل على تجسيد ذاتية الإنسان من خلالها, فكما استعاض الغرب عن عقل الوجود الجوهر الواحد, بعقل من إبداع ديكارت, واستعاض الغرب أيضاً بنفس سيكولوجية تتناغم مع عقل ديكارت الموجود في الرأس عوضاً عن النفس الكلية [ذات الوجود الجوهر] .فالأنا الذاتية هي نتاج لتجسيد الاختلاف والأنانية والذاتية المفرطة التي زرعها الفكر على مظهرية الوجود,إذا ما كانت (الآنا الجوهرية) هي وحدة المكنون الجوهري في هذا الوجود.

يقول المعلم:"إن اعتبار العقائد والمذاهب والأيدولوجيات كأنها مطلقة والتصرف على هذا الأساس,إنما يدلان على موقف عبودية الفكرمن جهة,ويدفعان إلى الضلال والتحجّر من جهة ثانية ". ص ٥٩

نجد أن الكثيرين قد راحوا إلى تأويل الدين حسب ما يناسب رؤية كل فريق منهم وقد لا تكون تلك الرؤى صحيحة في معظمها, وراح كل فريق يجابه من موقعه دفاعاً عن رؤيته الخاصة به, فاختلفت الرؤى واختلف الناس في تأويلهم.

فالجميل الجميل وضع الصورة في مرآة الوعي, فقد تتجلى الحقيقة في صقالها, من أجل عقلها إرادياً, حيث إن الاختلاف في الرؤى وليس في حقيقة الدين الواحدة.

يقول المعلم:" لأن الوهم– أي اللاعقلي– يختلط على نحو خارق بحياتنا العادية, وحتى بتصوراتنا المزعومة بأنها تصورات عقلية, هذا إذا شئنا أن نتكبد مشقة فتح الأعين لنري". ص ٥٩

لا بل إننا نتوهم أن هذا الفكر هو رسول العقل لنقل: إن العقل من عالمه المعنوي يشهد علينا , وفي كل مرحلة يقودنا الفكر من خلالها إلى ذلك الجرف الهاري مدعياً أنه رسول العقل, تتجلى رأفة المولى وعطفه علينا فيبعث بنبي أو رسول أو حكيم لهدايتنا , لكن المصيبة الكبرى هي أن الفكر يبقى واقفاً بالمرصاد من أجل تظليلنا.

جميل هو قول المعلم في العقل:" إن العقل الأرفع يظهر شفافاً في كل الأشياء – شريطة أن لا نتصوره أبداً من زاويته البشرية المحض ( الإنسان مركز الكون)٦٠

نرى أن الإنسان حينما يتحقق بالعقل فقد يصبح حقاً مركز الكون حيث إن الثبات المطلق هو مركز الكون إذا ما كان المركز هو مبدأ الحركة, ونقطة بيكار الدائرة الكونية وسرّ وجودها ..

العقل الأدنى والعقل الأرفع

يقول الكاتب:" أما العقل الذي نعني فليس هو العقل في المعنى العادي للكلمة,أي هذه الوظيفة التي تمكّن من القياس والمقارنة والتمييز والمحاكمة

فيما بين أغراض الحواس ومقولات الفكر,وللاتصـال بشـؤون هذه الدنيا والتعاطي بأحوالها , والتمكن من معالجة ظروف العيش على تنوّعها ". ص ٧٣

لنقل:[ إن الوجود واحد,والجوهر واحد, والعقل حيث هو من صـميم الجوهر الواحد, ولا بد أن يكون واحد, والدين الذي أنزله الواحد الأحد, لا بد أن يكون واحد,والإنسان الذي هو نفخة من روحه,لا بد أن يكون واحد.

[ إن العقل واحد, نعقل منه ما نعي منه ]. إذاً, هو المكنون في صـميمنا, هو نقطة بيكار كل كرية في وجودنا وفي الوجود, وهو واحد.إذا ما كان الجوهر واحداً.

إذاً, نحن بنور العقل نفعل , بقدر ما نعقل من نور العقل, وإن لم نعقل شـيئاً من نور العقل ؛ لا بد أن نكون فكر وليس غير فكر, والفكر مادة ثقيلة همها أغراضها.

يقول الكاتب: " فالعقل العادي يتوجه إلى الخارج,ويسترشد في منطقه باختبارات أغراض الحواس وما تعكسه من معقولات, عن الدنيا في إدراكها وفي مرآة الفكر والتذكر. وهذه الأشياء والأغراض هي في دورة التبدّل والتحول الدائم, ولولا هذا التبدل والتغير لما كانت في الظاهر". ص ٧٤

لنقل : إن الذي يتوجه إلى الخارج,حيث هي الأغراض والمصالح هو الفكر الذي يسيّر ويحرك ويوجه الحواس الغريزة , والحواس لا تعكس معقولات إذا ما كانت المعقولات تُعقل بنور العقل الجوهر الواحد بواسطة التأمل والحدس والخيال تحقيقاً لغائية الوعي .فالعقل هو الأول وهو سابق الأشياء جميعها.إن الفكر والمادة خليلان ومرآتهما واحدة تنعكس فيها الأغراض والمصالح فقط في حركة دائمة .

يقول الكاتب:"أما العقل الأرفع فيستهدي ويستوحي بالحقائق الثابتة وبالاستطلاعات الأزلية المشـرفة, والاختبارات والتأملات المتجلية من الجوهر الكامن في غلاف العقل الظاهر, أي عقلنا الأدنى العادي, ككمون النار في حجره:

هذا على كل شيء الشاهد,

هذا نور ذاته,

في غلاف العقل,
على الدوام يسطع- شري شنكارا تشاريا- في وهج التوحيد,ص-٤ص ٧٤
إنما هو الهدّي والهداية عقل المعقولات جميعها, وهو هو الحقائق ثابتة المشـرقة من صميم جوهره, أليس هو إرادة الله العلية وفعله وصفيه؟
إذا ما كانت التأملات متجلية,لا بد أننا نعقلها بالوعي من خلال التأمل, إذاً, العقل الجوهر هو في تجلٍ مطلق وليس في كمون – هذا لمن يعي ويعقل العقل الجوهر .. الشـاهد على الفعل, وليس العقل العادي الذي هو فكر, ولا من غلاف للعقل, إنما هو حجاب الفكر المادي إلى الذين لا يبصرون الجوهر, حيث هم لا يتأملون ..
يقول الكاتب:" نهج العقل والقلب هو التوحيد
ومطلب التوحيد هذا هو في منطق نهج العقل البشري وتقصّيه وسيره واستطلاعه . [ فالشعور أي القلب] يطلب التوحيد والوحدة, ولا تطيب له السعادة إلا إذا غمرته غبطة واحدة ,متصلة, عميقة, دائمة,لا تتبدل ولا تتغيّر". ص ٧٩
قلنا سابقاً:"إن الإنسان جملة خلايا يحتويها الجوهر الواحد". إذاً, فالإنسان كلـه أقداس وأعماق وراء غطاءهذا الفكر..وقد يكون مركز الإحساسات [الرأس] ومركز المشـاعر هو [ القلب] , إنما الأعماق هي الكل, إذا ما كانت الخلية الواحدة هي كائن حيّ يحتويه الجوهر.. أنظر ذلك الإعجاز الغريب " تحتوي كل خلية بشرية ذكرية على ٥٢زوج من الكروماسومات رمزها[ ss ]– ومثلها أنثوية مع اختلاف ب[s ] واحدة من أصل مائة وأربعة , لتضع تلك الفوارق البعيدة بين المرأة والرجل.
كنّـا قد أوضحنا سابقاً أن مكنون الإنسان هو جوهر غبطة, جوهر شوق يبث الشوق في الكيان الذي هو في شوق " يتجلى بالوعي " لهذا المكنون الذي هو في غاية الشـوق لذاته في المطلق,لنجد أن هناك حركتين للوجود, حركة شـوق الكيان لماهيته في المكنون, وحركة شـوق المكنون لذاته في المطلق– فالوجود, في ذاته هو حركة شوق منه وإليه، .في هذا أبدية الحركة التي نظرها العلماء بعين

الفكر وأطلقوا عليها اسـم " الجاذبية " تلك التي رفضـناها كلياً في كتابنا (ضـياء العقل ص ١٥٧- بحث الشوق) .

يقول الكاتب: "والعقل يطلب أيضـاً التوحيد والوحدة وحدة التفسـير ووحدة عقل جميع مظاهر الكون, ولا يرتاح من قلقه الأزلي واستكشافه الأبدي إلا إذا حلـّـت فيه وحدة التفكير وانسجام الأسباب في فعلها الأول وكانت له نظرة واحدة منسجمة للكون "ص ٨٠ .

نرى أن العقل لا يطلب لأنه إرادة الوجود, إرادة تـُقرّ ولا تطلب, وهو من صميم الوحدة الجوهرية , وهو واحد لا ينفعل بطلب, وهو عاقل جميع مظاهر الكون لأنه مُبدعها , هو ليس راحة فحسب إنما هو جوهر غبطة سرمدية, ونحن الذين نقلق أذا ما كان العقل الجوهر هو غاية البسـط والفرح, والفكرة والفكر وظيفتهما مادية فقط وليس لهما أدنى علاقة بالجوهر, هو العقل جوهر مبسـوط في جميع ثنيات الوجود, وليس مَلِكاً جالساً على كرسيه من أجل أن يسوق الفكر بالأوامر, بل هو لا يراه لأنه ليس بذي مادة.

يقول الكاتب:" وهؤلاء العلماء المعتكفون في مختبراتهم, والمتأملون مدى الحياة في التفتيش عن حقيقة الأشـياء التي تتهرب دائما وأبداً أمامهم في غلاف تفكك المادة الأخيرة إلى أجزائها وجزئياتها الطاقية النهائية .... ".ص ٨٠

إن الأطباء والعلماء والباحثون في مظهرية الوجود المادية؛ لا يتأملون, بل هم يتفكرون من خلال بحثهم المادي بعين مادية, وآلة مادية من أجل تحقيق هدف مادي حيث لم نرّ طبيباً يذهب إلى عيادته بدون حقيبة مادية تحتوي على أغراض العمل المادي من أجل أن يتحقق من مرض مادي في عضو من أعضاء الجسم المادية ليصف للمريض وسيلة مادية من أجل الشفاء, كذلك العالم في مختبره القائم على التجربة المادية, جميعهم لا يتأملون, لأنهم مشغولون بأهدافهم حول خلق تحفة جديدة ترفع من موقعهم المادي والمعنوي,وتدفع الحياة في تطورها وتقنيتها إلى الأمام.

يقول الكاتب في التوحيد :"وفي ضوء هذا التقييم والإيضاح والاسترسال تبرز لنا حقيقتان بالنسبة إلى مفهوم التوّحد أو وحدة الوجود, وبالنسبة إلى الحلول أو التجسد.
فكيف يمكن أولاً للمتغير الفاني – والفناء هو في هذا التغيّر الدائب– أن يتوحّد أو يتحد بالباقي الأزلي الأبدي – وأن يبقى – هو الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يبدأ ولا يزول ...".ص ٨٤

نرى أن مَن يعقل التوحيد لا بد أن يصبح منه وإليه, إذا ما كان التوحيد هو وعي الجوهر لذاته أنه من صميم الجوهر الكلـّي, أي تحقيق فعل الجوهر " إرادة الوجود" حيث يُفنى الفكر القائد لحركة الحياة في عالم الطبيعة , وتتحرر المادة من عبودية الفكر بعد فنائه من أجل أن تتحرك إرادياً حسب إرادة جوهرية,لأن وحدة الجوهري قائمة منذ الأزل, إنما المهمة المهيبة هي وعيها حيث يصبح العقل هو رائد الوجود المادي وتتحرك المادة إرادياً محققة غاية الوجود فعلاً, في البسط والغبطة والفرح.
إذاً,لا شيء يُفنى سوى الفكر ولا شيء يتغير في الثبات المطلق, إنما يُرفع حجاب الفكر ويتجلى الجوهر.
إن الوعي يسمو بالحياة عن واقع الشقاء هذا, إلى عالم السعادة الحقيقية, أي يفـّـل جميع القيود من أجل أن تتجلى الحرية, أي, يزول عالم الدجل هذا ويتكشـف عالم الحق والحقيقة, أي يتحرر الكيان الإنساني من عبودية الأغراض والمصالح لتسمو الحياة إلى العلم الحقيقي,والمعرفة الحقيقية,والوعي الحقيقي.. ليعود الغريب المفارق رائد الوحدة في تحقيق الوحدانية ؛ أي نهج صراط الحق .... وتصبح الحياة أبدية خالدة يحقق خلالها الإنسان جميع غاياته المتسامية أبداً ...
في التنّزل والتجلي يقول الكاتب :" ولذا نرى الموحدين يؤثرون فكرة التنّزل أو التجلي,ويحصل ذلك عندما المتحقـّق الحكيم [ يتخلص من تلك الآدمية, فتفيض عليه الصفات الربّانية وتتجلى فيه الأنوار الإلهية] ومشهد وشهود هذه الحقيقة

واختبارها لا يتم إلا عندما تموت هذه النفس الأنانية الفردية في الإنســـان, فيعود قبس الجمر, بشكل من الأشكال, إلى الشعلة التي انطلق منها ". ص ٨٥

نرى أن المتحقق لا يتخلص من الآدمية, هو ينعتق من قيود الفكر الذي يبقيه رازحاً تحت عبودية الذل والجهل, كغرض رخيص لا قيمة له.

إنما الوعي الجوهر,هو الذي يحقق له قيمة جوهرية سـامية في عالم حرٍ لا حدود له , حين ينعتق من جميع القيود , ويحقق سيادته وسيادة وجوده , فقد يصبح كوكباً دُرياً ينير الأكوان,حيث هو الغريب العائد إلى موطنه, موطن السعادة الحقيقية.

هو يعود حين يعقل جوهره,يعود إرادة وجود وبقاء وخلود,لأنه أصبح من صميم الجوهر المحرك لقانون الطبيعة , ولم يعد مادة متحركة يتقاذفها الفكر كيف ما شاء.

قيل للنوريّ حسب الكاتب:" بم عرفت الله تعالى؟ " فقال: [ بالله ]. قيل : فما بال العقل؟" قال: [العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله]؛[ لمـّـا خلق الله العقل قال له : من أنا ؟ فسكت, فكحّله بنور الوحدانيـّـة , فقال: أنت الله ]. فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله. "ص ٨٦

أن أول إبداع في الوجود هو إبداع العقل من نوره الشـعشـعاني, إنما هو إبداع وليس خلقاً, لأن الخلق من لحم ودمّ. والإبداع الأول هو سابق الوجود, إذاً هو ضمير الوجود وجوهره, مبثوث بكل ثنياته, يحركه من صميمه – حركة إرادية.

في هذا نرى أن العقل هو فعل الله تعالى في الوجود وليس عاجزاً,إذا ما كان هو المحرك الحقيقي لهذا الوجود من ثبات مطلق, وكما جاء في إحياء علوم الدين عن رسـول الله [ص] " فقال له : أقبل فأقبل, ثم قال له : أدبر فأدبر, ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك, بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب ] ج١ ص ٨٣ من موسوعة الإمام الغزالي ... فهل نستطيع القول: إنه عاجز لا يدل إلا على عاجز... هذا مع إيماننا أنه هو العقل الواحد إرادة الله الواحد الأحد؟

ويرى الكاتب الوجود الحســي هو كالحلم حيث يقول:" ويكفي التنويه والتشــبيه بأن يكون هذا الوجود الظاهر, بوصـفه عالماً حسياً لا أكثر, تماماً كعالم الحلم بالنسبة للنائم الحالم الذي يراه حقيقة ووجوداً قائما, وإنما يكون كل ذلك من إبداع تصــور حواس حلمه ". ص ٨٩

نرى أن الإبداع منذ الأزل كان إبداعاً سرمدياً, إذاً, أنا وأنت من الأزل كنـّـا ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية , لأن الله جل جلاله في الناس وهو الدائم الباقي, ونحن منه وله,وهو منـّـا ينير ُسبلنا,وحين نعي ذلك – إنما نصبح هو ويصبح نحن, ونصبح نحن وهو واحداً.. لأننا من روحه الجوهرية الشريفة.

إذاً, نحن به نحيا الحقيقة, نحياها أبدياً, في هذا نحيا البســط في مكنوننا حين نعي أنه هو البسط في مكنوننا, حين نصبح وتراً لأنغامه في وجود بوعيه يصبح نغماً يطرب الحياة الأبدية.إذاً,نحن حقيقة وليس حلماً, حقيقة يثبت وجودها وعينا لمكنوننا حيث نصـبح في هذا المكنون لحناً – هو في ذاته لحن الخلود. فنحن هنا موجودون حقيقة من الأزل, وباقون في الأبدية, نبني بالوعي حدائق الأبدية . ....

# دنيا الظلال

نسأل الكاتب, لماذا وضع هذا العنوان؟

يقول مجيباً :" وفي مدى شرح هذه الكلمة للحكيم شري مهاريشي :

فيما عدى أن حالة الصحو هي طويلة نسبياً وحالة الحلم قصيرة, فإنه لا يوجد اختلاف أو فرق بين الحالتين ". ثم يقول الكاتب:" ويورد أحدهم هذا التعبير المدهش للعالم الفيزيائي الدكتور أدنغتون في كتابه [طبيعة العالم الفيزيائي المادي:إن التحقق الصريح بأن علم الفيزياء إنما يُعنى بعالم الظلال هو أحد التقدّمات العلمية الأكثر دلالة : في عالم الفيزياء نرقب عملية الآلة المسجّلة الظل لرواية الحياة العادية. فظل مرفقي يستند إلى الطاولة الظل,بينما يجري الحبر الظل فوق الورق الظل".ص ٩٠

إن تجسيد الصورة – اوجد الظل – وأن تجسيد الظل – اوجد التوهم الذي وضع الشك والاختلاف,إذاما كان مكنون الصورة صفاء محض– ليكون الظاهرتعبيراً عن المكنون [هو ذا في عمق أعماق نور الشمس ].إن في التلوين تظهر دنيا الظلال.

ونرى في ذلك غير ما يرى الحكيم,فالبعد الشاسع فيما بين الحرب المستعرة في كل أين,وبين الحب الذي يبسط الروح ويغرس الحدائق ووروداً ورياحين, هو كالفرق أبداً بين فكر يقتل الحب في الصدور منذ القِدم, وبين عقل يحي الحب في الصدور.. يحييه إحياء أبدياً.

ونحن مع قول الدكتور أدنغتون الساخر إذا ما كان واجب الفيزياء هو البحث الدائب عن أسباب التقدم والتطور والتغير والإبداع من أجل دفع الحياة علواً, وليس تدميرها بوسائل الموت الرهيبة. إن الِظل عنده هو ترجمة لأهدافه.

يقول الكاتب في الكيفية والجوهر:" أما العالم العرفاني فهو نقيض ذلك [ يعني ما تقدم به وهو:كل معرفة علمية هي في النهاية نسبية لأنها لا تتم إلا بالمقارنة], يقصد تبيان جوهر الشيء وهذا ما كان يقوله هرمس الهرامسة منذ آلاف السنين ولا يزال حقيقة العلم الراهن: [ يا نفس تيقّني وخذي معرفة الأشياء بانياتها وماهياتها, ولا تحفلي يا نفس بمعرفة كيفياتها وقدرها ]. ويعني بكلمة لا تحتفلي أي لا تفرحي وتبتهجي. إنما المعرفة الثابتة والحقيقية والصواب هي في معرفة جوهر الأشياء وماهياتها , لا كيفياتها. وتباين الحكمة القديمة وتمّيز بين

العلم وهو العرفان, وبين التعلم: واعلمي أن الإنسان لم يخلق لمعنى من المعاني إلا للعلم والعمل به".ص ٩٢

بديع جداً ما يقوله الكاتب وبديع أيضاً اختياره للشاهد الذي هو في الصدور.وها هنا هو فيما بين السطور ينيرها من أعماقها, فحين نعيد الأسباب إلى غاياتها, نكون قد رفعنا معاييرنا إلى مواقع إرادية غائية لنبصر الأشياء من خلال نسبتها إلى أمهاتها , حيث تتوحد الصورة المتمثلة في الذات والموضوع معاً , إذا ما تصورت في ريشة العرفان.

" ما غاب نور بدت فينا مطالعه ٠٠٠٠بل نحن غبنا وذاك النور لم يغب " المعز

## العلم الطبيعي للدنيا والتعلُم

يقول الكاتب:" هذا العلم الطبيعي البدهي التنزّلي , ونقصـــد به الحكمة والعرفان ولو لم تكن الحقيقة, أية حقيقة, فينا فكيف يمكننا أن نعرفها ؟ وفعل المعرفة يتم في العقل أي في الداخل, أي في الباطن لا في الخارج, ولذا سمّي بالباطنية في المعنى الحقيقي للكلمة, وكل حقيقة هي باطنية – هذا العلم البدهي اللدّني, (العلم الخامس) يهدف إلى معرفة جوهر الأشـــياء, أي حقيقتها, أما العلم (العلمي), أي علم العلماء, علماء المادة والحياة, فلا يستطيع – باعترافهم جميعاً – الكشف عن جوهر الأشياء والأغراض وحقيقتها, بل يكتفي بتحليلها و وصـــف كيفية صـــدورها بعضـــها من بعض كمثل تجزئة الماء إلى عنصرين غازيين هما الأوكسجين والهيدروجين..,"ص ٩٢

إن ما يؤرقني هو أننا من البداية ونحن نسأل عن أسباب زج الفكر عند الكلام عن حقائق الوجود, وقد قلنا: (إن ما يتجه إلى الخارج, إلى الأغراض والمصـــالح هو حركة يقودها الفكر,وما يتجه إلى الكينونة ... هو وعي .. يتعدى الفكر.. ). لنجد أن الكاتب يعود من تلقاء نفســه إلى هذه الحقيقة التي هي نحن كأقداس وأعماق وراء غطا هذا الفكر, أي نحن بالحقيقة.

إنما نحن مكنون وليس نحن باطن, وشتان ما بين المكنون والباطن, وشتان ما بين الهدف والغاية, وأن العلماء كانوا قد فسّروا العالم المادي من خلال نظريات مادية من أجل هدف مادي هو (بناء مادية الحياة بأغنى وسائل العلم وأشملها وأرقاها وأعظمها إذا ما كانت جديرة في التطور والتجدد والتغير والإبداع).

## الكيفية والجوهر

يقول الكاتب: "أما العالم العرفاني فهو نقيض ذلك,يقصد تبيان جوهر الشيء.وهذا ما كان يقوله هرمس الهرامسة منذ آلاف السنين ولا يزال حقيقة العلم الراهن :" يا نفس تيقّني وخذي معرفة الأشـياء بأنياتها وماهياتها, ولا تحتفلي يا نفس بمعرفة كيفياتها وقدرها". ص ٩٢

نرى أن رفع المعايير الإنسانية من واقع الأهداف المختلفة إلى مواقع إرادية من خلال الوعي , قد يذيب الكيفية التي هي سبب الاختلاف .

عودة الدائرة إلى نقطة البيكار

يقول الكاتب: " يتوجب علينا, إن كنا جادّين ومخلصين في تتـبع الكشف عن حقيقة الأشياء وحقيقة ذواتنا وحقيقة عقلنا – هذه الأداة التي بها نستجلي غوامض التكوين – أن نسعى على الأقل,وعلى قدر كفاءة علمنا وقدرة فكرنا,أن نتوغل قليلاً, على خطى أقدام طليعة المتوغلين فنرى الأشـياء والأغراض كما يجب أن نراها, لا من خلال علوم القرن الماضي المتأخر. وإذ ذاك يبرز لنا العرفان". ص ٩٨

نرى أنه لا بد من وعي تكوين الدائرة – دائرة الوجود – من نقطة البيكار التي هي سّر وجودها- ومصدر حركتها الغائية السرمدية – إلى التحقق من جمال الغاية في حدائق اللانهاية – وقد وضـعنا جوهر بحثنا في هذا الكتاب – تحت هذا العنوان [ ما بين العلة والغاية ], في الوعي يتوحد العنوان – حين تـُغسل المسافات في ماء الأبدية– حين تصبح الكينونة نبع الحركة– قطر الحياة الصافي- ينهل منه عشاق الأزل كؤوساً معطرات ..... وكم أتمنى ألاَّ نزج الفكر في موقع كهذا.

## جنبلاط الصوفي

[ ليس المطلوب أن تؤمنوا , وإنما أن تبصروا وتعقلوا].
كمال جنبلاط

[ إذا كان الصنم المادي ثعباناً, فإن الصنم الفكري تنين].
جلال الدين الرومي

لكنني أقول: إذا ما قال خطيب مكة المكرّمة إلى الحجيج عام ٢٠٠٨ " لقد استطاع هذا الفكر على الإسلام ". فقلت آنذاك : " لقد استطاع الفكر على الإنسان".

يقول الكاتب :" أطل على الأديان من شرفة العقل الصوفي الرفيع فرآها دروباً ومسالك تتوحد على مستوى الهدف مع كافة العلوم الإنسانية والطبيعية وإن اختلفت عنها في المنهج :

" قد نتسلق الجبل عبر ممرات عدة, ولكن المنظر من القمة هو ذاته بالنسبة للجميع ", ص ١٥٣

إنما هو الإيمان الذي يجلو البصيرة – إذا ما كان العقل جوهر الإيمان, وحين يرقى المرء إلى موقع كهذا – لا بد أن يكون قد حقق أشرف الغايات جميعها – وتحقق في غاية الغايات حيث العقل الجوهر- هنا لا يرى صوفية ولا مذهبية- إنما يرى جمال الأبدية والخلود.

[ فالرغبة والخوف اغتراب عنه, والمحبة تماثل معه وتوحد فيه]. جنبلاط

بديع هذا الكلام إذا ما كانت سبل المحبة تتعدى الرغبة إلى الإرادة, والخوف إلى الأمان.

[ كالسواقي تجري وتضمحل في البحار الواسعة فاقدة الاسم والشكل] الاوبانيشاد.

إنما هي كالينابيع تجري منها السواقي إلى غائية سرمدية – لأنها قد تعدّت ذاتية الكيان إلى الجوهر المكنون – نبع الخير والجمال.
[ عندما الرجال والنساء يصبحون واحداً أنت هو هذا الواحد]. جنبلاط
نرى أن الفصل الدائم الأبدي من الحياة هو [ تحقيق الآنا الجوهرية التي تصبح هي الفاعلة في الحياة فعلاً عقلياً إرادياً غائياً – حياة الحب والبسط والسلام والحرية والفرح تلك التي أبُدع الإنسان من أجل أن يحياها حقاً وصدقاً وأبداً. إذا, نحن باقون في رحلتنا السرمدية – باقون في حدائق الأبدية].

## العمق الهادىء والسطح المائج

يقول الكاتب [مطلاً من ذرى العقل الأرفع تبدى له الأنبياء بشراً وأبناء للإنسان. فالمسيح في باطنيته الصوفية إنسان حقق ذاته بالتوحد في الله. وكل إنسان يمكنه أن يكون مسيحياً], وهذا ما عناه المسيح بقوله :" أنا وأبي واحد ".ص ١٦٠
ناظراً متأملاً بعين الوعي – إلى عالم الحرية – عالم السلام المتصور في كيان مسيح الحب والسلام – وشذرات من نور مرسومة بقلم من نور.... ... " ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور ....هي كلمات قد تصورت من نور... هو السيد المسيح قد تصور...من نور... إذا ما كان هو...شذرات من ماهية النور.
وتحت عنوان العمل يقول الكاتب: " فنحن فاعلون ولسنا بفاعلين في آن, الفعل هو اختيارنا في الظاهر, ولكننا لسنا بفاعلين, بمعنى أن فعلنا ليس سوى استجابة لحوافز أودعها التطور فينا.. فنفعل محققين للفكرة التي هي جوهر التاريخ (هيجل). ولم يكن الحلاج هو الذي صاح "" أنا الحق ", وإنما الله نفسه تكلم بلسان الحلاج الذي كان قد فني في الله". ص ١٦٢

بالوعي نحن فاعلون , إنما نحن منفعلون بالفكر, لأننا نجري وراء أغراض ومصــالح, ولم تكن تلك الفكرة جوهر التاريخ , إذا ما كان هتلر قد حقق فكرة قتل من خلالها إنسانية الإنسان.

فقد صــاح الحلاج " أنا الحق" حين تحقق الحق في الحلاج, وتحقق الحلاج في الحق, إنما بقي الحلاج وبقي الحق, وراح من قتل الحق في الحلاج, وقتل الحلاج لأنــه الــحــق, راح مــرعــوبــاً مــن الــحــلاج ومــن الــحــق مــعــاً .

.. يقول الكاتب :"العمل هو فيض عفوي يحاكي فعل الخلق الأصلي ذاته:"بدون أي تعلق في أعماقك, ولكن عاملاً في الظاهر كمن هو متعلق, لا تتحرك في الباطن, ولكن في الظاهر كتّلك حرارة حماس, إعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا يا راغافا...

مجتهداً في الظاهر في أداء العمل

ولكن حراً في قلبك

إعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا يا راغافا

****

ويتابع الكاتب قائلاً : هذا التعارض بين ظاهر منشــغل وباطن لاعب مطمئن لسلامة القصد, غير عابىء بالنتائج . هذا التناقض بين سطح مائج وعمق هادىء, يذكر بوصف جنبلاط للسياسة بأنها لعبة يلعبها كما يلعب بطل المسرح البريشتي دوره". ص ١٦٢

فقد كان المعلم قاعدة بناء حقيقية وثابتة – في عالم يتعدى على كل شــيء حتى الثبات الذي عرفه المعلم– وتجاهله من يرغب في إخضاع كل شيء إلى حركة فكر لا يفقه ذلك الثبات.

حين تســامى طود الثبات وتألق المارد إلى مواقع لا ينالها فكر- وجد الفكر أن ذاك الطود يجب أن يتهدم,وأن لا مارداً يعلو بكيانه على كيان الفكر,وأن لعبة العبث لا بد أن تبقى هي القائد المسيطر على حركة العصر, إذا ما كان الثبات من وحي الحقيقة التي يرهبها الفكر– لأن تبيانها يفنيه ويفني عالمه, إذا, لا بد من

خلق وســـيلة من خلالها يتهدم ذلك الطود الثابت المتين. إذاً يجب أن يســـقط المعلم وكل معلم يدل على الحقيقة لأنها ترهب العصــر- عصــر هذا الفكر العابث في حياة البشر.

جنبلاط المتصوف الموحد .... يقول :

" المتصــوف ... يكون في عين البقاء بعد عبور جســر الفناء وفي التجلي الأزلي القائم بعد اضمحلال الحدث وكشف الحجاب".

" إذا كنتم تريدون أن تصــبحوا هذا النور – لا أن تعبدوه من الخارج – فعليكم أن تعرفوا هذا النور ... " ص١٧٠ " وتنجذب الروح نحو الحقيقة التي يمثلها الآخر" نحو الحب والخير والجمال " إن الآخر الذي تجالسه وتكلمه وتحدثه إنما هو نفسك الأخرى"

" الإنسان الحقيقي ليس له وطن, هو أخ الإنسان أينما كان ".

"الفرد لا تكتمل فيه معاني الإنسانية إلا بوجودية ذاتية ومجتمعية وإنسانية يعيشها تامة".

" العنصر المعنوي المناقبي الاجتماعي والروحي هو الذي بدونه لا يمكن أن تتكامل حياة الإنسان" .

" الغني ... هو الذي يعتبر نفسه وكيلاً ومنتدباً ومعتمداً لا أكثر ".

" المحتاج هو وجه الله ذاته ".

" السعادة في صميم الإنسان شعور داخلي .

" وجدت الأديان ومناهج الفلسفة لتثبيت مقاييس الأخلاق في النفوس...

" الوعي هو صـــميم التكوين الإبداعي كالنقطة بالنســـبة للدائرة, وكنور الوجود بالنسبة للوجود ذاته ... " ص ١٧٦

ونرى أن الصدق هو أقصر المسافات إلى الحقيقة .

والسـعادة هي وعي ... والوعي هو كشـف الغطاء عن المكنون الجوهر من أجل ....تحقيق السيادة والحرية والحب والسلام... وتمتع الذات في غبطة الجوهر..

فالشـــوق ، إنما هو غبطة الوجود إذا ما حقق ذاته في الثبات والحركة, فالحرف إنما هو توق واشـتياق من أجل تحقيق ذاته في الكلمة, والكلمة .. كانت جوهر بالقوة قبل فيضها من القلم .. لتصبح نغمة شوق إذا ما صفتْ في ذاتها,وحركة شوق إذا ما تاقت إلى غايتها - إذا ما كان الحب كلمة تكونت من فلذات الشوق الواجد في أعماقه وجد المحب ولوعة الهائم وشغف المشتاق.. فالوجود في ذاته حركة شوق وهيام.

وتصفو الألوان في ذاتها من أجل غبطة ذاتها..لأن في صفائها تحقيق غاية ذاتها وغاية الوجود.. فالوردة , إنما هي هي ماهيتها مبسوطة على أكف الوجود .. لمن يعي غاية ذاتها وغاية الوجود.. ليتناغم جمالها مع جمال الوجود, وجمال من يعي الجمال في ذاته.

والحرية تنشد الوجود أبداً .. ويتناغم نشدها مع نغمه .. حيث يصبح ذاك النغم واحداً.. يعيه من يعي أن الوجود نغم, يترنم في ذاته على وتر الحرية الصافي.

والسيادة هي وعي,وعي يتسامى إلى مواقع الإرادة,متعدياً كل أسباب الخضوع, متحققاً في جوهر الوجود , قائداً لقانون الطبيعة ......

والجمال..إنما هو وعي الجمال لذاته .. إذا ما حققت صفاته,إذا ما تصورت في ريشة تلك الصفات, وأصبحت منها وإليها .. فأنت الجمال حقاً وصدقاً.. والجمال هو أنت .. لأنه أصبح ينبع منك ....

والحب. إنما هو نغم يترنم على شذا ألحانه فؤاد الوجود.. الحب هو وعي لجوهر الحب.. هو شــغف بكائنات الوجود جميعها .. هو ترجمة لما خطه قلم الحبيب الأزل على صفحات الأبدية والخلود ... بقلم الحب الصافي...

من أقوال المعلم :

- التغيير يأتي من داخل الإنسان وليس من خارجه.
- مطلب الاشتراكية جعل الإنسان يتجّلى في كل إنسان .
- الحب الجوهري في الإنسان يتعدى مستوى عالم الثنائية.
- الحب هو تقديس الجمال المطلق في أهله.

- الحب الحقيقي هو طريق وسبيل إلى الأحدية.
- بناء الإنسان فينا هو القصد والهدف .
- مقام الإنسان هو مقام الآلهة " .                ص ١٨٤

المعلم في قلم الحكيم شري شنكارا :

...."إنه يتأمل, والتخاطب بيننا مخاطبة الذات للذات" أما أستاذي الدكتور اليوغي TMP Mahadevan فيقول:"كان جنبلاط مثلي يعمل بصـــفاء.." في حضـــرة الحكيم يستغرق الحضور الإلهي, مأخوذاً بصحوه وهدوئه, وصفائه ورصانته , السلام والطمأنينة يشعان هالة لشخصه , دائم التطلع إلى ذاته, منغمس بنورانيته, مبتهج في اكتشاف الوحدة الأصل البينة في الكثرة". ص ١٩٧

الأستاذة نهاد أبو عياش تقول :

" فقد رأيت كما يرى النائم حلماً, نوراً مشعاً, وأنا مغمورة فرحاً وسعادة والناس حول المعلم متحلقين , ناديته وأشـرت إلى النور, نظر وكأنه يقول : ما تشـاهدين أنا دائم المشـاهدة له . وتابع يحدّث الناس وأنا أحدق بالنور المشعّ الذي توسطه بعدها بدر بكماله, وفي وسط البدر استقرت صورة كمال جنبلاط...

وفي الطريق إلى [ كرفت نيجا ] في أيار ١٩٧١ , حدّثني عن طريقة التلقين الحاصـلة لدى التلميذ ومعلمه, التلميذ عندها يكون متهيئاً للأخذ عن الحكيم , والحكيم يكون مدركاً لهذا الاسـتعداد, والاثنان يكونان في المطلق تلك اللحظة المباركة, واستعان تعبيراً بحركة من اليد, فأدركت تواً ما جرى بينه وبين أستاذه عندما قابله آخذاً عنه ... قرأ فكري مبتسماً, المعلم دائم المشـاهدة ولأجل هذا يمكن الأخذ عنه لأنه دائماً في المطلق, وهو دائماً المطلق, وإن تصرف أحياناً كتصرفاتنا".ص ١٩٩

" كان جنبلاط يؤمن بالتقمص ويعرف من هو في ١٣ جيلاً ". ص ١٩٩

" القلم في المعنى القرآني هو العقل الأرفع ... وإن الوعي المتألق بالوحي تبّطنه الروح, أي الحياة, كما يمتلىء القلم بالحبر فيكون كل ما سـيكتب مودوعاً في هذا الحبر ". ص ٢٠٠

قالت الأســتاذة نهاد,والكثيرون وقلنا عن معلم– مثلما صـــوّره قلمه- وأخبرتنا عنه كلمته , إنما بقي ذلك اللغز غريباً غرابة الغريب المفارق- هو من عالمه ينشـد غاية في غاية السمو– ونحن من عالمنا ننشده من أجل غاية في غاية السمو– وكأننا نحقق غاية الوجود في عملية الدال والمدلول– إذا ما كنا نحقق غاية الوجود من خلال حركة شوق وهيام [ منه وإليه ] لنكون في صراط أمر الحقيقة [ ما بين العلة والغاية ] .

هو ينشد على وتر الغبطة مع ترانيم ذاته- ونحن ننشد على نغم الشوق مع ترانيم ذاته, إذا ما كانت هي ترنيم الأبدية والخلود- فلا بد أن يكون الناشـد واحداً– لأن جمال الحركة من جمال العلة – إلى جلال الغاية حسـب دسـتور الأبدية: [ الصـعود والنزول على سُلم الأبدية ]

هو المعلم حقيقة كُـتبت بقلم الوجود على صفحات الأبدية – حيث جاءت من الأبدية وبقيت في صراط أمرها – إلى الأبدية ...

هي حقيقة كنا منها من الأزل– ولم نزل منها وإليها– والســعادة في وعيها- في وعي معراج ذاتنا منها وإليها..

إذاً , هي الحقيقة فينا ومنّـــا وإلينا – هي الغبطة الحقيقية ولا من غبطة سواها – هي البسط الحقيقي ولا من بسط سواها ..

كنّــا والمعلم من الأزل – نبحث عنها – لكن شتان ما بين من يعي سواء السبيل- ومن يجهل جميع السبل- فمن يعي يصل – ومن لا يعي يبقى في ظلال...

يقول المعلم شري شنكارا في جنبلاط المعلم :" في اليوم الذي كان يصلُ فيه كان يخبر الحكيم بأنه قـَدَم إليه . كان يجلس بقرب شجرة المانغو, يمارس رياضة التأمل. يتأمل بأنه الحقيقة,في الحكيم. لم يكن هناك أي حديث بين جنبلاط ومرشده الروحي, وأن لقاءهما كان يقتصر على التأمل : " لكن مما لا شك فيه أنه كان يخاطب الحكيم مخاطبة للذات , وهذا ما لا ندركه نحن ". ص ٢٠٣

فالجميل أن نعي ونعقل العقل بالتأمل النوراني الشــريف– أي بنور الوعي – أي بنور العقل نتأمل العقل– أي بنور العالم المعنوي نتأمل العالم المعنوي– ولا من تأمل بغير

هذا النور.. إذا ما كنّا بنور الفكر نبحث ونتقصى ونفكر بالأغراض فقط وليس بغير الأغراض- فالأغراض هي مادة فعل الفكر الذي لا علاقة له بالجوهر...

إن العقل واحد وهو أرفع وأغنى وأسمى ما في الوجود– هو من صـميم الله– من صـميم الجوهر المحض الذي هو واحد لوجود واحد – وعقل واحد – ودين واحد- وإنسان واحد– لأنه من إبداع الجوهر الواحد.إذاً,لا يوجد عقل أدنى من كمال صفاته ولا من داعٍ للقول : [العقل الأرفع].

يقول المعلم جنبلاط:" إن الحكيم المتجلي,البادي للناس في كل أكوارهم وأدوارهم هو عينه دوماً وأبداً على الرغم من تعدد الصور والأشكال والكثرة المظهرية . وهذا الحكيم المتكشف هو الحاكم مؤسس التوحيد المطلق, الذي يتجاوز التوحيد التقليدي في مختلف الأديان".ص ٢٠٤

بديعة هذه النظرة للمعلم , إذا ما نظرنا إلى جميع الأديان بأنها دين واحد, ليكون التوحيد الذي هو جوهر وحدة الدين؛ هو جوهر هذا الدين – جوهر هذه الوحدة, ولا بد من أن يعي الجميع[أن تعدي الكثرة له صراط واحد هو صراط الوحدة الجوهرية هو صراط الحق والحقيقة– صراط الواحد الأحد- صراط واحد– هو التوحيد].

هنا, يتجلى الحب الحقيقي- والسـلام الحقيقي – والجمال الحقيقي – والسـعادة الحقيقية- - هنا تتجلى الحقيقة – إلى عالم من نور- من نور الحقيقة ....

" هؤلاء الحكماء هم أناس أطهار, إنهم لا شيء إلا عفوية محضة للوجود المحض"

جنبلاط – ص ٢٠٥

كمال جنبلاط

تحت هذا العنوان الكبير – لا بد لنا من التأمل والتطلع والنظر إلى ذلك العلو النضير- في بصيرة ذاك العلو النضير– علنا نرى من خلال ذلك الصفاء الوديع- وداعة الموقع والمعنى - حيث يقول الكاتب : " آمن جنبلاط بالحكمة القديمة [ من عرف نفسه عرف ربه]. كما آمن بأن العمل من أجل الجماعة الإنسانية هو

المطهر الأفضـل الذي تتطهر الذات في مخاضــه من الأنانية الفردية والجماعية, وأن وعي الذات الحقيقية نور لا يشاهد إلا بالنور,وللوصول إلى هذا الوعي , وجب أن يترافق العمل الغيري مع الاستبطان والتأمل ...

كان يبتغي تحقيق ذاته عن طريق التوحد في الله,فالوحدانية الإلهية قاعدة المعرفة الأولى والأخيرة. وليلج جنبلاط الصـوفي الروح الكونية, كان لا بد له أن يصـل إلى مرحلة يتلاشى فيها مثنى الذات والموضوع, الظاهر والباطن, حيث يصبح الإنسان وعياً بحتاً.

فقد كان كمال جنبلاط متصوفاً هادئاً مطمئناً, يعيش حياته في خدمة شعبه ووطنه فهو يحيا حقيقة المعرفة. إنه كامل الحقيقة الكاملة. حياته امتزاج مع الكائنات ومع البيئة ومع الوجود, فجنبلاط حكيم متحقق تلقى المعرفة والحكمة من المعلمين الروحانيين الهنود, بلغ الوعي المطلق في جلسـاته اليوغية التأملية مما أكد بلوغه حالة الإشراق. عاش تجربة اختبار الذات الموحدة, التي تساعد على بلوغ السعادة المطلقة" ص ٢٣٣

جنبلاط الرجل الأرستقراطي وقبل ساعات من سفره إلى بلجيكا من أجل إلقاء محاضـرات كانت مقررة, وكان يعلم أن حذائه ممزقاً من الخلف, لو لم يقم مرافقه بشراء حذاء جديد , وقليلاً ما عاد إلى بيته قبل أن يوزع ما في جيبه من نقود.

علم جنبلاط أن الحياة رسـالة عطاء فحققها بكل معانيها – حتى بروحه الزكية الطاهرة؛ فلم يقبل أن تسقط على صفحته البيضاء نقطة واحدة لا تحمل صفاء ذاته وجمال صفاته.

إن حكمة الحياة قد تجلت من صـميم الوجود من أجل جمال الحياة وروحها وصدقها وعفتها وشرفها وقدسيتها ومعناها, تجلت من خلال أولياء هم في ذاتهم أوائل ذلك الغيث الذي يشفي من كل غلُ.

فلم يكن كمال جنبلاط إلا عنصراً غريباً حمل إلى الوجود رسالة غريبة من عالمه الغريب المفارق – عالم العقل – من أجل أن يعي إنسـان عالمنا هذا أنه رسـالة حياة رسالة يعيها ويعقلها, ثم يحققها– حتى تتحقق الحياة التي أتينا من أجل أن نحياها

حقاً وصدقاً .. لكن عالم الفكر هذا- وعلى امتداد التاريخ كان وما زال يرهب الحقيقة ويكره ذكرها على السنة البشر – لأنه يعلم أنه قائم على باطل – وأن الحقيقة تفنيه.

" إذا كانت الحقيقة موجودة فلا بد من وجوب معرفتها " ص ٢٣٤

وحسب الكاتب كان يختلي ويتعبد ويصوم دائماً – ويسير بين الصخور الوعرة ويسبح في حوض بناه بنفسه , كما أقام بنفسه عرزالاً من قصب ينام فيه بعد غدائه الذي تألف دائماً مع النبات. كان يصوم ويمتنع عن الكلام نهار الجمعة – ص ٢٣٤

" كل إنسان لديه القدرة ليكون المسيح لأن كل إنسان هو مسيح في أعماق ذاته".

"ما الدين في النهاية إلا تعبيرعن لحن من ألحان الوجود,وموسيقى البعث والتكوين والعودة إلى المصدر والارتفاع إلى الينبوع الذي منه انبثقت الآلهة والبشر على السواء .. فهي من نوع أدب الروح وشعر النفس ومنطق العقل الرمزي".

" الحرية هي وجه من وجوه الوعي, وغاية الإنسان هو أن يدرك الحقيقة..عندما يزيل من نفسه الحجاب عن الحقيقة المطلقة, فإنه يقف في النور حراً من ذاته, حراً من فرديته,ومن أي قيد أو علاقة في هذا العالم أو أية عوالم أخرى .. حراً من الألم, من الموت, لأن الأنا الجوهرية بعكس الأنا الجسدية, لا تولد لا تموت, وبهذا المعنى الموت , تسمية خاطئة, لأنه لا يوجد " كمال جنبلاط – ص ٢٣٨

كثيراً ما وردت كلمة [ باطن ] في سياق البحث دلالة على الجوهر لنقل: إن الإنسان جملة من الخلايا يحتويها الجوهر, فالجوهر إنما هو مكنون الوجود بينما الباطن قد لا يكون مكنون الوجود. إذاً, جميل أن نضع [ الظاهر والمكنون ] بدلاً من [ الظاهر والباطن ] .

## العقل التوحيدي عند كمال جنبلاط

نرى أن العقل هو " الوحدة العليا للوعي ووعي الذات ".هذا حسب هيجل ونحن مع هذه النظر لهيجل, إذا , لا بد أن يكون العقل هو غاية الغايات جميعها إذا ما كان كمالاً لصفات الخير كلها .

يقول الكاتب:" فكمال جنبلاط ينتسب أصولياً إلى مذهب التوحيد, وهو المسلك التوحيدي العرفاني الجامع بين الإسلام والمسيحية. ... ولم يغب عن كمال جنبلاط الواقع والتاريخ عندما كان يبشر بالتوحيد الأكثر عقلانية والأقل سلفية ... ويبين لنا التناقضات في مسائل عدة طرحها في مفاهيم صوفية, دينية, فلسفية, وكان يعتقد أن كل هذه مثالية جوهرية, ... وأن الإنسان مسيّر ومخيّر في آن, وأن نظرية العقلانية المتصلة اتصالاً مباشراً بكل ما أتينا على ذكره من حركات صوفية , فلسفية سياسية على امتداد التاريخ رسّخ بها كمال جنبلاط مفهوم العقيدة الحزبية" ص ٢٤٣
باحث عن الحقيقة

يقول الكاتب :" أطل على الأديان من شرفة العقل الصوفي الرفيع فرآها دروباً ومسالك تتوحد على مستوى الهدف مع كافة العلوم الإنسانية والطبيعية وإن اختلفت عنها في المنهج :

قد نتسلق الجبل عبر ممرات عدة, ولكن المنظر من القمة هو ذاته بالنسبة إلى الجميع ".

ويقول الكاتب:" إن الهدف الأخير للأديان فيما يتعدى طقوسها وغيبياتها, هو قيادة البشر للتحرر من كل ارتهان يحجب الإنسان عن التحقق من كونه واعياً حراً. فالنعمة الإلهية هي نعمة الوعي التي لم يحرم منها أحد والتي بها يتميز الإنسان كنتاج تطور رفيع ".

بلى هي الحرية حقيقة الدين من حيث جوهره الذي يرقى بالإنسان إلى مصاف الوعي– إلى مصاف السيادة الحقيقية.لكن نعمة الوعي لا بد أن تكون وعي المعرفة

الحقيقية,تلك النعمة التي لا تزال حلم الإنسان على هذه الأرض؛فالوعي الذي نقصده إنما هو, وعي المعرفة من أجل الكشف عن مكنونات الوجود.

فالباحث عن الحقيقة , حدّد غاية الوجود الأخيرة بأنها " معرفة الحقيقة وممارستها كما يقول نقلاً عن هرمس -: " واعلمي أن الإنسان لم يخلق لمعنى من المعاني إلا للعلم والعمل به " , وكذلك الثمرة الطيبة لم تخلق إلا لتؤكل". ص ٢٥١

هي نفس سامية عرفها طالب المعرفة وتسامى بها على جميع المغريات التي كانت تناديه من كل حدب وصوب .. فكانت رحلة التسامي تلك إلى حديقة الحدائق, ليغرس في جنائنها أغنى الزهور والعطور .. ثم إلى صومعة الأنبياء, ليجدهم واحداً تكلل بالحب والسلام, وأنغام صافية تصدح في مآذن الحب والسلام.. وتملأ الأكوان في ذلك التسامي النضير البديع .. فبقي في ذلك العلو.. ينشد العلو...

جنبلاط والمعرفة عاشقان لعالم السعادة.. والحرية .. والسلام .. فهنيئاً لعشاق السعادة والحرية والسلام ..هنيئاً لهما .. فهما يحققان غاية عشقهما .. يحققان السعادة والحرية والسلام .. في ديار السعادة والحرية والسلام. ....

# باطل هذا الصراع

فكم سألت التاريخ المثخن بالجراح من ضراوة الحروب والويلات والمحن, فقد سألته ألف مرة ومرة , سألته بغضب لأنه كان تاريخ الغضب؛ لا بل سألته بخشوع وبقي السؤال يعصف في كوني وكياني وفي ميادين الحرب القائمة في هذا الكيان الإنساني, وفي ساحات الحرب المعلنة وغير المعلنة, وبعد ألف رجاء وتوسل وخشوع... سألته بقولي : لماذا هذا الصراع الذي أدمى مقلة الوجود..

لماذا نقتتل تحت مفهوم واحد هو [حق القوة] إذا ما كان الحق فوق القوة حيث هو [وعي] وعي قائم على تجريد الفعل, لأن جدلية الحركة فيما بين المفهوم والموضوع تجعل الحقيقة جلية على ظاهر الحركة, وأن ظهور الحقائق وتجليها على ظواهر الأفعال ؛ يجعل منها وسائل حقيقية للوصول إلى الحقيقة الكلية التي هي غاية كل فعل. وكل حقيقة تعي سبل التوحيد بين ظاهر الموضوع وعلل وجوده,تجرد الحركة والفعل للغاية القصوى منهما.

لماذا نقتتل؟ إذا ما كان الاقتتال يقتل عناصر الخير والحب والإيمان فينا, ويجعل منا وسائل وأداة يستفحل فيها الغضب , ذلك الغضب الذي رسم صورة التاريخ على شاكلته, بعد أن فقد الإنسان صورة إنسانيته المثلى, وأصبح صورة لتاريخ الغضب.

لماذا نقتل كل شيء حتى نفوسنا البريئة الطاهرة إذا ما كان كل شيء لنا ولأجلنا وقد صنعناه بأيدينا ؟ وأتينا لنغرس الأرض وروداً ورياحين .. ونسقيها بماء الحب.

لماذا ينتصر الحرب بكل آثامه ومآسيه وشروره؛ وتلوذ سمات الحياة ومثلها الرفيعة العالية وراء ركام المحن ؟ وقد أتينا لنسموا بالحياة إلى أسمى معانيها..

أليســت هي لغة القوة التي مَنّ علينا الفكر بحفظها, هي التي كانت ولم تزل, لغة الاستعلاء والاستكبار بيننا؟ وقد أتينا لنكون مشكاة نور تنير الحياة والوجود.

ألسـنا نحن وقوداً لتلك النار التي نشـعلها بجحيم مكرنا وحطام أجسـادنا, ونفرّ من لظى سعيرها الملتهب في أحشائنا,إلى جحيم تلك الحمم؟ ونحن روحاً طاهرة.

إلى أين المفر ؟ وقد أحرقنا الدار والديار, وحطمنا الكون والكينونة والكيان, ولم يبق منا سوى ذلك الدّخان الأسود الهارب كالغضب من جرائم أفعاله.

إن قوة الفكر وجمال الوعي لا يجتمعان, إذا ما كانت قوة الفكر [شـريعة غاب], في حين أن جمال الوعي [سيادة الإنسانية والإنسان سيادة الحياة والوجود].

إذاً, نســـتطيع القول: إن في الحرب ويلات ومحن – إذا ما كان الوعي جمالاً لا نستطيع أن نتصوره إلا حدائق وزهور.

فالوعي إنما هو علم الجمال الحق- هو علم الحياة الفرح- علم الأبدية والخلود- هو المعرفة التي تسـامت في تأمل ذاتها بنور الإرادة الكونية إلى عقل الإرادة وعقل ذاتها في ذاته في عالم الغائية الجوهرية.

هو الوعي – وعي الحقائق الثابتة – والكشـف عن المكنون بنور المكنون – هو حركة شوق وغبطة وسعادة وفرح- هو نور الوعي الجوهر وسبيله البديع.

هو ليس ما قاله الفكر من مفردات الغرائز الطبيعية. لأن الفكر قد وضـع الحياة بمجل مساراتها على قواعد ذاتية أنانية قوامها المصالح والأغراض.

إن الوعي قد يرفع جميع المعايير إلى حيث إنسانية الإنسان من أجل أن تندرج في مسـار الغائية الإرادية, إذا ما تحررت حركة الحياة من جميع القيود – ليصبح مسارها من العلة إلى الغاية عبر حدائق الفرح. وليس عبر التناقضات الفاسدة.

فالتاريخ يشهد والواقع أيضاً , أن الفكر لم يصل إلى غاية الإنسان في الوجود, لم يصل حيث إن الفكر ليس له غاية , إذا ما كان هو في ذاته مصلحة ذاتية وأنانية , لا ترقى إلى غائية الحياة والوجود.

لماذا بقي الفكر هنا,[بين الشـك واليقين– بين الفناء والبقاء- بين الصـدق والكذب- بين السعادة والشقاء...], لأنه لم يكن يبحث عن حقيقة ما,إنما كان وما زال يرهبها.

هذا الفكر الذي بنا قواعد الصراع بين البشر, ثم جسّده في ذلك الكيان الإنساني البديع,الذي هو موئل السمات والصفات والمثل الرفيعة العالية,الذي هو إله

في طور التكوين, وصنع منه وحشاً في غابة موحشة , وصنع له قانونه من قواعد تلك الغابة وشريعة هي في محتواها شريعة الغاب.
هذا الإنسان إنما هو إله في طور التكوين إذا سلك سبل الحياة الحقيقية من خلال العلم الحقيقي والمعرفة الحقيقية والوعي الحقيقي حيث صراط الحق والحقيقة , في حدائق الحرية والحب والسلام والجمال؛ إلى حيث الأبدية والخلود.هنا لن يقف واحد من هذه الإنسانية ليقول:باطل هذا الصراع...إذا ما ارتوى من ماء فرات عذب نمير وتغذى من شهد وصال الحب ؛ واغتنى بحكمة الأزل من ينبوعات الحقيقة, وترنم على نغم الأبدية, ونشد الحرية في عالم الحرية, وصار من الحقيقة وإليها, ينشدها وتنشده – على وتر الجمال القدسي.
هنا لن يمرّ في تناقض وتضاد وصراع وحرب وشقاء وفناء حسب قانون الغاب الذي وصل إلى سقوط الإنسان في بحر الفناء الحقيقي. هنا لن تقف البشرية جميعها على ذلك الجرف الهاري الذي وضعها الفكر فيه تقف بحزن وأسى لتقول بصوت واحد: [باطل هذا الصراع] باطل هذا العدوان على إنسانية الإنسان,باطل هذا الكذب على هذه الإنسانية , باطل هذا الدجل الذي أصابها هذا الفكر به.
وكأن السيد المسيح من أعماقنا يخبرنا عن عودة الغريب المفارق, ينادينا من أعماقنا المهجورة المغطاة بألف غطاء من أغطية الفكر, ولم نرفع يوماً غطاء من تلك الأغطية, فنحن مشغولون منذ الدهور الداهرة , مشغولون بلعبة الفكر التي تخدعنا كل يوم , ولا نزال في لعبة الخداع الماكرة .
فالجميل الجميل أن نذيب السمع والإبصار ,علنا نسمع صوتاً من أعماقنا ينادينا قائلاً : [بالطل هذا الصراع – باطل هذا الصراع].
الجميل هو علمنا,أن السيد المسيح في مكنوننا,إنما هو المكنون فينا, وحين نعيه حقاً وصدقاً؛ فقد نذوب في نوره - ليتجلى هو حين نصبح هو- هو السيادة والحرية والحب والسلام .... لنصل بدون صراع .. بعد أن يُفنى الصراع.

يقول الكاتب :" تســـاءل المعلم كمال جنبلاط قائلاً " ونحن كيف نوزّع الأديان ونميّز ونفرق فيما بيننا ودين الله واحد... والوطنية من صميم هذا الدين". ص ٥

نرى أن "الجوهر واحد- والوجود واحد – والعقل واحد – والدين واحد" وأن الذي فرّق في الدين الواحد إنما هو الفكر, خدمة لمصالحه.

وقد عرّف الكاتب الدين بقوله "هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة". لنقل :" الدين هو هبة السماء– هبة تتسامى بالوجود للنظر علواً– هبة تحقق تطلعات البشــر في إثبات وجودهم أبدياً– في ثبات جوهرهم– في أن نظراتهم وتأملاتهم واستغاثاتهم في سرهم ونجواهم – هي حقيقة ومن وحي الحقيقة التي قد دل الدين عليها وعقلها في الوجود حكمة رسّخها حكماء العصور.

وقد اســتفاض الكاتب في تصــنيف الأديان من خلال تنوعها على ســاحة الواقع, لنقل : [ الدين هو الوسيلة الملهمة إلى توحيد المولى من خلال الوعي والتجرد إليه].

يقول جورج بلنت حسب الكاتب: "إنني أومن بالله وأكثر من ذلك أوكل إليه أمري. ففكرة الإلوهية بالنسبة إليّ ليست مجرد قضية فلسفية, بل إن لها في نفسي قيمتها العلمية العظمى. وإيماني بالله جزء من صميم حياتي اليومية". ص ١٢

نرى أن الإلوهية ليســت فكرة إذا ما كانت الفكرة حكماً مادية, وتندرج تحت غرض مادي,إنما ألإلوهية هي عالم قائم بذاته [عالم فيما وراء الطبيعة] العالم الذي ينفيه الفكر, حيث إن الفكر يعتبر الإنسان جسداً بلا روح, وهذه هي خسارة المادية.

هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا دين؟

يقول الكاتب :" الجواب على هذا السؤال يقتضي معرفة كنه الدين.

لقد ثبت بالأدلة الحســية أن وراء هذا العالم المادي عالماً روحانياً أرقى منه ستنتهي إليه النفوس بعد الموت.

وأن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن أحداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها.وأن الإنسان مرتبط بالعالم الروحاني صلاحاً أو فساداً. وقد ثبت العلم العصري هذه الأصول.

إن من يعتقد بالعالم الروحاني يعتقد بالإلوهية وبالروح وبالبعث. ومن يعتقد بالخوارق يعتقد تبعاً لها بالأنبياء والرسل". ص ١٢

جميل جداً سؤال الكاتب " هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا دين"؟

لنقل :" إن الإنسان في عالم الفكر هذا وفي عصرنا هذا يعيش بلا دين " وقد قلتها صراحة في محاضرة لي " إن عصركم هذا,هو امتداد للعصر الذي قتل السيد المسيح, يسوع الذي عاش مع رسالته ثلاث سنوات ونيف, ولو حضر مسيحٌ جديدٌ فلن يعيش يوماً واحداً , سوف يقتله عصركم هذا, عصركم الذي لا يحتوي, لأنه يرهب الحقيقة ؛ لأنه فكر.

قد يعيش الإنسان بلا دين,إنما لا يعيش بلا جوهر- بلا معنى-بلا حقيقة-بلا روح - فهل يعيش للفناء ومن أجل الفناء. وقد يصل بالوعي - بالحب والسلام – قد يصل.

إن العالم المعنوي في أقداسنا,هو نحن بالحقيقة, إنما هو حقيقتنا, وفي جهله حرمان من غبطة الجوهر- من جمال الحقيقة التي هي جمال الوجود في ذاته. إن في جهله حرمان المرء من جوهر ذاته – من أقداسه – من سعادة الوعي - من السيادة الحقيقية – من السلام الحقيقي- من الحرية الحقيقية – من الله الكلمة التي في ذاتها جميع الكلمات– جميع الصور-جوهر الذات الكلية التي نحن هي. هو الصورة – وهو المصور – إذا ما كان هو هو المتصور- إذا ما كان هو المكنون فينا.

والعقل,إنما غبطة في ذاته- غبطة في وجوده– وفي الوجود– هو جمال الوجود وجوهره- وثبات الوجود والحركة,هو نبعها وهديها وصيرورتها وخلودها وأبديتها.

إذاً, عالم فيما وراء الطبيعة – إنما هو مكنون الوجود – هو أقداسنا, هذا لمن يعي أنه أقداس وأعماق – وراء غطاء هذا الفكر.

يقول الكاتب :" إن الفارق بين من يؤمن بالدين وبين الملحد الذي ينفي إيمانه به واضح وجليّ. فالمؤمن يقيم إيمانه على البصيرة, والملحد يقيم إلحاده على العمى.
الدين ميل روحاني من النفس للخلاص من أسر المادة الأرضية والعروج إلى سماء الأقدس... ففطرة الدين ستلازم الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به".ص ١٣
إذا ما قلنا : إن الدين وسيلة يرقى من خلالها العبد إلى معرفة المعبود, وهذه نظرة جلية في التاريخ وفي الواقع. أيضاً هناك سبل عدة سوتها حكمة الوجود من أجل من أجل الوصول إلى غاية ما ينشد المريد إذا ما نهج الوعي سبيلاً .
إنما الدين الواحد [ دين الله الواحد الأحد ] هو في علوه أبداً, حتى لو عمل الفكر في تفسيره ونقله وتأويله من أجل أن يأخذه إلى خدمة أغراضه ومصالحه, بقي دين الله الواحد الأحد إذا ما تأملناه في بصيرة عقلية إرادية غائية تفتح سبله إلى معارج الوصول , بعد أن تغسل آياته الشريفة الطاهرة مما شابه من تفسيرات الفكرمُظلة؛ بماء الجوهر؛لنراه بعين عقلنا الجوهر؛ دليل إيمان ويقين وإيقان – حين نعقله كدين واحد خطه قلم الأزل على صفحات الوجود الخالدة؛ يرقى بنا إلى معرفة الله حقاً وصدقاً.
يرقى بنا إلى وعي ذاتنا الحرة وعياً أبدياً– بأنها هي ذات الله في أقداسنا,يرقنا بنا إلى غايتنا الحقيقية الواحدة – في كمال إنسانيتنا الواحدة – في كمال جوهرنا الواحد.
فكرة التوحيد وتكريسها بدءاً من إبراهيم الخليل عليه السلام . هذا حسب -
الذي يتابع قائلاً :" إن أول رسالة توحيد فاعلة كانت مع سيدنا إبراهيم الخليل الذي كفر بالتعدد ودمر رموزه فوجّه فأسه إلى الأصنام ودمّرها ".ص ١٤
نرى أن التوحيد ليس فكرة إذا ما دعا هرمس الهرامسة إلى عبادة الله الواحد الأحد, تحقيقاً لما دعا إليه آدم الصفا عليهما السلام.
ونرى أن الأصنام لم تكن غاية في ذاتها, إنما كانت عبادة إله غير مُدرك من خلال غرض مدرك, إذا ما كانت تطلعات الإنسان وتأملاته في سره ونجواه؛ توحي إليه بعظمة الوجود وهيبته ووداعته , وأن هناك وراء هذا كله إرادة كونية فاعلة في

الوجود وفي مكنون ذاته,واستجابة لهذا ولنداءات دائبة في مكنونه راح ذاك الإنسان يحقق ما في ذلك المكنون على أغراض كانت هي الحاضنة لبقائه وعيشه وسكينته. فعبد الشمس حباً للنور... وما إلى ذلك, لكن الأجيال التابعة فقد حرصت على التقليد، ذاك التقليد الذي تجاهل الغاية وحرص على الوسيلة إلى أن أصبحت الوسيلة هي الغاية في ذاتها وذابت كلياً غاية العبادة آنذاك... بالكاد كما هو حاصل اليوم......

# كمال جنبلاط
# والحوار المسيحي الإسلامي

كنـّا قد أتينا على بحث جميل وموّسع من خلال مناقشتنا[ لموسوعة عالم الأديان] في كتابنا [ الحقيقة ومرآة العقل ], الذي صدر عام ٢٠١٢ إنما سوف نجني من هذا الجزء الهام والبديع من كل حديقة وردة , مما وراء تلك المروج الخضر.
كتب الأب أنطوان ضو:

" لقد آمن كمال جنبلاط بتعددية الأديان والمذاهب والأحزاب. فتعرّف إليها, وحاورها ودعاها إلى التفاعل والانصهار والتوحد والوحدة.

إن مسألة الحوار المسيحي الإسلامي في لبنان والعالم العربي عليها أن تتحول إلى حركة فاعلة,فتنتقل من عصر الحوار إلى عصر الوحدة.الوحدة بين المسيحيين, أي بين الكنائس المسيحية. الوحدة بين المسلمين, أي بين المذاهب الإسلامية كافة. الوحدة في العائلة، الوحدة في القرية،الوحدة في الحزب،الوحدة في المجتمع، الوحدة في الوطن، الوحدة العربية، الوحدة المسيحية الإسلامية.

هل يجوز مثلاً أن يبقى هذا التشرذم بين الكنائس في العالم العربي لتظهر طوائف وشيع كأنها لا تمت إلى الإنجيل بصلة؟

هل يجوز أن يبقى السّنة والشيعة والدروز والعلويون مذاهب وكأنها لا تمت إلى الإسلام بصلة في مسألة التقارب والتضامن والوحدة؟

هل يجوز أن نبقى مسيحيين ومسلمين مختلفين في ما بيننا في حين أننا أبناء إله واحد وذات مصير واحد على أرض واحدة وشعب واحد؟

هل يجوز أن تبقى هذه الدول العربية مشرذمة, مفككة متخلفة, مسُتغلة, متحالفة مع الجميع".ص ٢١٨

لقد رأى كمال جنبلاط ذلك الواقع كما هو فعلاً, ولم يقف عند الدعوة فقط, لا بل عمل بكل ما وجب من أجل الوصول إلى غاية كان وما زال ينشدها

جميع الذين طالعوا رسـالته ووجدوا أنها رسـالة الحياة التي أتينا من أجل أن نحياها حقاً وصدقاً .

إننا نرى من خلال ما تقدّم من بحث -ومما وصـل العالم إليه من سـقوط للقيم الإنسـانية كافة, ومن خلال دعوة الأب أنطوان ضـو وغيره من الذين ينظرون إلى الحياة في منظار العلم والمعرفة والوعي:

نرى واجب التغيير الشـامل – تغييراً تخطه أقلام تعي واجب الحياة– من أجل خلق منهج حياة -له روح وجوهر وحياة- منهج ينسـجم مع نظام الوجود القائم على الحب والحرية والسلام. حب الحياة والجمال والوجود- حب الحقيقة الجوهرية المطلقة المجردة– حب البقاء والأبدية والخلود- حب الإنسـان لجميع كائنات الوجود. حب الحرية الحرة من جميع القيود – حرية حرة في عالم سيد حر- حرية تعي ذاتها و وجودها وغايتها – حرية صورتها في ذاتها المتجلية على أكف الوجود, وروحها غبطة الروح الهائمة في حدائق الجمال – وسـلامها هو نور ذاتها في عالم من نور وجودها ....

تصور أيها القارىء الكريم .. إذا ما اغتسلنا من أوحال هذا الفكر.. أين نصبح ونكون ؟ لذا نرى واجب تغيير واقع الموبقات هذا,بعد أن فقد نظام الحياة والوجود- ذلك النظام الدقيق الشـامل–الماثل في الكينونة الدافع إلى غائية الحياة - من العلة الجوهرية .. إلى الغاية الجوهرية, عبر حدائق البسط والفرح. تصوّر أيها القاريء الكريم ..أن تتحول جميع الإمكانات البشرية القائمة على الحرب..كيف يصبح العالم إذا قام في بناء حدائق السلام على كل شبر من الأرض..علها تمتلىء صدورنا بعبق ورود الحب.. وأريج أنغام الفرح..وتمتزج ذاتنا الحرة.. بشـذا عطر الطبيعة النديّ .. فقد قرفنا رائحة البارود ودخان المصانع الحرب .. وآلمنا تعدي هذا العصر على روحنا البريئة من مكره وخبثه وشراسته..إذا ما كانت تائقة لقطرة من الندى, صافية من سموم العصر ..تائقة لنسمة حب نقية خالية من عفونة العصر ..لنغمة قيثارة .. تعبر إلى روحنا الضمآنة لترتشف عبير الوجود مع نغم الروح المتمازج ونغم الوتر ..بعيداً بعيداً عن عصر جعل الحياة أسواقاً

رخيصــة .. واسـقط الثقافة والعلم واللأدب .. لا بل أسـقط مقومات الحياة الحقيقية القائمة على إسقاط الإنسان إلي حيث موبقاته الرخيصة ..

## كالشمعة أذاب عمره لخدمة وطنه

بقلم المطران ايلاريون كبّوتجي

عرفته, رحمه الله, وفياً لربه وضـميره, مسـتقيماً في عقيدته, مؤمناً بعروبته, مخلصاً لقضيته... كالشمعة أذاب عمره لخدمة وطنه...حياته كلها. وقد قضاها زاهداً ناسكاً, كرّسها للبنان الذي أحبّ فقدس, وعنه ذاد حتى مماته.

العنف سلاح الضعيف الجبان !!! الاغتيال تجسيم للانحطاط والسفالة ... الهمجية بعينها لا يلجأ إليه إلا الرعاع القاصرون الجهلاء ... لا يقوم به إلا مرضى النفوس وصغارها.

لقد غاب كمال عن الأنظار ليسـكن في القلوب.. ليرقد بجوار ربه مع المختارين, مع المجاهدين الذين أوفوا قسطهم للحياة... مع المكافحين الذين أبلوا البلاء الحسن ديناً ودنيا .

ربي , منّ علينا بالعديد من الرجالات أمثاله , فكم نحن بحاجة إليهم".ص ٢٢١

هو المعلم من البداية – هو المعلم حتى النهاية – إليه نظر الناس علواً, ومنه غرس الناس حدائق ذاتهم وروداً ورياحين.

كان المثل الماثل لمن ينشـد مثلاً ... يحقق من خلاله غاية المثل بعد أن يضـعه المثل في موقع الغاية ... وهذا ما كنت أنشد... وهذا ما زلت أنشد٠

# كمال جنبلاط والمسألة الدينية

يقول الكاتب:".... في ذروة بلوغ العقل غايته وانكشافه لذاته كما هو, أي عقلاً/ روحاً تاماً خالصاً وكاملاً,هي مجاورة حميمية بهيغل في نهاية[ فنمونولوجيا الروح] أو مجاورة الاثنين لتيار العرفان التوحيدي المتصاعد من أناشيد المصريين القدامى إلى أعمال فلاسفة الاغريق,إلى الديانات الكبرى, فإشراقات متصوفة الإسلام.

ويقول الكاتب : يرى كمال جنبلاط, في نصوصه التي ستلي, أن مسلك الحكمة والتوحيد اختزال رائع لكل روافد العقل والعرفان المتحررة من أول الاختبارات البشرية وإلى أن ختم الإسلام رسالات السماء فكان محمد [ ص ] آخر الأنبياء : " في رأينا أنه لا يمكن النظر إلى مسلك التوحيد منفصلاً ومستقلاً عن مسالك الحكمة والعرفان المتقدمة في أدوار التاريخ المعروف والمجهول ". ص ٢٢٦

نرى أن العقل الذي قال عنه المعلم لم يره هيغل الذي قال : [ يتميز الإنسان عن الحيوان بالفكر]. هيغل الذي قال بالفكر المحض حيث لم يكن يعلم بعدم وجود فكر محض, إذا كانت كلمة [ محض ] تطلق على ما هو جوهري كالعقل مثلاً, والفكر يفتقد للجوهر.

كما أن حب هيجل للفكر قد أفقده اتزانه العقلي, ونسي أنه هو الذي قال:" العقل هو الوحدة العليا للوعي و وعي الذات". وظن أنه يتحدث عن عقل ألماني حين قال:" ما نراه بالعقل هو – محتوى يعيش ليس فقط في مفاهيمنا الذاتية أو الفكر الذي نعمل لأنفسنا, ولكن يحتوي جوهر الأشياء الموجود في ولذاته واقعاً موضوعياً؛- وهو للأنا لا شيء – ما غريب, ولا شيء- ما معطى من الخارج, بل منفوذ فيه تماماً ومتمثل- مستوعب من قبل الأنا. إذاً بجميع الحيثيات منتج من قبل الأنا-

راجع مختارات هيجل ص ١٢

فإذا ما كان العقل حسب هيجل يحتوي جميع الأشياء في ولذاته واقعاً موضوعياً, لا بد إذاً من إسقاط الفكر الذي لا يحتوي ذاتياً,

ولم يقل الحقيقة بقوله:" وهو للأنا لا شيء "إذا ما كان هو سابق لها- هو مبدعها بالإرادة الإلهية, وهو ليس معطى, لأنه إرادة إبداع وحياة ووجود, هو أس االحركة, لأنه نقطة بيكار الدائرة , أي مرتكز الثبات المطلق الذي منه تبدأ الحركة. وهو ليس منتج من قِبل الأنا حسب هيجل – إذا ما كان علة الإبداع.

هيغل معلم الفلسـفة, حيث أبدع فيما كتب, لكنه بقي في دائرة الفكر, ولم يسـمو إلى بوتقة العقل التي صوّرها أبدع تصوير.

يقول الكاتب:"هذه ميزة أولى في مسـلك التوحيد, يراها جنبلاط, وهي ذلك الانتماء العتيق إلى روافد الحكمة من أمحتوب إلى فيثاغورس, ومن التحقق الهندوسي إلى البوذا السعيد, ومن أسرار يسوع إلى حكمة الإسلام وفي محكم آياته".

وميزة ثانية في مسلك الحكمة والتوحيد, هو ذلك الانتساب العلني الصريح والمطلق إلى العقل. والعقل هو الكلمة,[اللغوس] في البدء, وهو أخيراً [ العقل الكلي الأرفع ] الذي يبدو مبدأ كل مسالك العرفان وغايتها في آن.

مصادر التوحيد حسب المعلم أربعة هي :

- المصدر الأول, التأثير الشرقي الهندوسي الفارسي.
- المصدر الثاني, هو التراث المصري.
- المصدر الثالث, هو التراث اليوناني.
- المصدر الرابع , هو الإسلام.

وميزة ثالثة,ذلك الشكل العالي من التوحيد المطلق... يبدو التوحيد انتماءً والتزاما بتراث متقادم من التوحيد البشري.. والتزاماً بالتوحيد الذي جاء به الإسلام ...

يرى كمال جنبلاط أن كل التاريخ الإنساني المعرفي, في الفلسفة والعلم والدين يقود إلى التوحيد: { مطلب التوحيد هذا هو في منطق منهج العقل البشـــري وتقصيه وسيره واستطلاعه}. ص ٢٢٦

لقد سألت مرات ومرات وما زلت أسأل عن هذا العقل البشري؟ سألت هيجل وبيكون وديكارت فوجدت أنهم فكر؛فكر ينفي ما هو عقل غير ذلك الخادم المطيع لذلك الفكر.وسمعت حتى العلماء يقولون:أنهم يفكرون بعقولهم..مع إيماني المطلق وثقتي الثابتة, وقناعتي التي أصبحت هبة العقل الجوهر,أن العقل الجوهر الواحد هو { العقل الكلي ] المبثوث في جميع ثنيات الوجود,ونحن نعقل منه بقدر ما نعي منه .

هو عالم فيما وراء الطبيعة,[عالم العقل ]– [ العالم المعقول ]– العالم المعنوي] هو كينونة الوجود المادي – هو حقيقة كل منـّا– هو الجوهر المبسوط في الوجود – هو الذي يحتوي كثافتنا المادية , هو الغريب المفارق- هو الذي لا نعرفه إلا بنوره– ولا نبصره إلا بالتأمل-هو الحرية التي لا تزال مجهولة عندنا– هو الحب الذي لم نعهده فينا – هو السلام الذي لم ننشده أبداً- هو أقداسنا الغريبة عنـّا غرابة العقل عن الفكر وعالم الفكر– هو إرادة الله وفعله. فالتوحيد { نتاج الوعي }

الجميل الجميل هو أن المعلم قد نظر إلى التوحيد في بصيرة الوعي الجوهرية- فرآه كما هو, فكشف عن وداعته بنور وداعته .. فبان التوحيد في مرآة كل مؤمن على هذه الأرض – إذا ما نظر إليه بنور الإيمان المشرق إليه من ذاته, حيث هي من الذات الكلية المبثوثة في كلية الوجود.

وما نحن سوى رسالة لم تقرأ- وما نحن سوى كلمة خطها الواحد الأزل, إنما خطها في مداد من الجوهر – وقد تبقى معجومة على كل من لا ينظرها بنور ذاك الجوهر- وفي لغة التوحيد – توحيد الإنسانية في وعي جوهرها.

وما نحن سوى ذاك النغم الذي يسمعه من جاز قاعة الامتحان في الازدواجية- إلى حدائق تعزف ورودها ورياحينها تقاسيم ذاك النغم بصمت وصفاء.

فإذا ما كانت دموعنا لا تزال تتساقط سفلاً, بينما كان الواجب أن ترقى علواً، حيث الأمل والرجاء.
نحن نتخيل مواقع لا نستحقها , ونسلك سبلاً لا تستحقنا, فهل سألنا يوماً عن غاية وجودنا وصراط أمرنا ؟
عجيب هو أمرنا , وعجيب هو فعلنا , إذا ما كان صـراط الأمر يدعونا إلى وحدة الاتجاه,وعجيب هو جهلنا الذي يدعونا إلى ما نحن فيه من الفرقة والضياع.
يقول الكاتب: " إن أهمية مسلك التوحيد في النهاية في كونه سعياً صادقاً يبدأ من الروح والعقل وينتهي في العقل والروح,مع قبول نسبي جدلي ونقدي لما بين المنزلتين.هو محاولة في تجاوز الحِرَف:[فالروح تحيي والحرف يميت].
والروح في النهاية وبالمعنى العرفاني,وحتى بالمعنى الهيغلي,هي العقل Geist, الذي به نبدأ وإليه ننتهي, ومسلك التوحيد, في نصوص كمال جنبلاط كما في { المنفرد} بيان ممتاز لسيرة هذا العقل, وبلغة العقل والمشاهدة في آن".ص ٢٣٣
هنا تبدو الصورة جلية حسب رؤيتنا , إذا ما كان المسير صعداً نحو تلك القمة بنور العقل والروح إلى ذلك الكمال المهيب.
ويأتي الكاتب على ما هو بديع وجميل حيث يقول:" الناس في مقامين ... منهم من تحقق ومنهم من تعبّد ... كالفراشة التي تزور الشعلة وتدور حولها, فهل تدري ما هي حقيقة النار قبل أن تتعدى الحاجز وتمزق الحجاب ؟!
أولئك الذين أكملوا الطريق في ما بعد وتركوا ظاهر الطقوس والشرائع وولجوا إلى حقيقتها,يدخلون في وهج الحق,يضيئون على الناس. .جناتهم في نعيم استغراقهم في ما هم عليه في حقيتهم – يعرفون المطلق بالمطلق, وهل يعرف الله إلا بالله؟
وتباركوا وتعالوا عن كل دنس, وعلى كل علقة طين أو علاقة فكر أو تقلص أو شعور".
ويقول الكاتب :" ها اكتملت الدائرة, وبلغت الكلمة الغاية, فتراجعت, ولم يبق غير وهج نور الحقيقة يتجسّد يقينا وفرحاً وخلاصاً : [ والآن تطهر كل شيء,حتى الشوائب العالقة بحبي ]. أننادا – السلام , ص ٤٧ " . ص ٢٣٤

نرى أن تلك الفراشـة العاشـقة للنور– تعي غايتها وغاية النور- فلم تكتو- هي في ذاتها تتحد بذات النور وليس بذات الشعلة الظاهرة.

إنما الناس مقامات – إذا ما كانت وجهتهم هي الوعي – النور – العقل – الواحد الأحد – وأن مقاماتهم تتسامى مع وعيهم – مع ما يعقلون من العقل الواحد.

إن العبادة مرحلة لمن أراد الوصـول إلى قمة الجبل- ووصـل إلى أعتاب قدسـه المبارك حولها- فالدين وسـيلة للوصـول إلى الغاية حيث تفنى الوسـيلة– وحين الوصول قد تنبسط الغاية في وهج النور– نور الجوهر الغائي لغاية الغايات جميعها – نور البسط والغبطة والفرح.

هنا الحياة الحقيقية التي أتينا من أجل أن نحياها حقاً وصـــدقاً قبل أن يظللنا الفكر. هنا – لا حدود ولا قيود – هنا ثبات الإرادة– والحركة الحقيقية– المتصـــورة من مركز الدائرة– من نقطة بيكارها– من الثبات المطلق– هنا تفنى حركة الفكر والمادة بشـكلها المنظور - وتتجلى حياة الحقيقة الأبدية لجميع البشـر- هنا تجد من غير طلب – وتحقق ما تريد من غير كلام ...

إذاً , جدير بنا أن نعلم علماً يقينياً, إن تقلباتنا في الآفاق عبر آلاف السـنين عائدة إلى جهلنا سبل العبادة الحقيقية التي تختصر الأزمنة والمسافات , إذا ما كان الخط المرتقي قد يصـل إلى القمة , بينما الخط الأفقي يبقى في ذات العلو, وهذا الخط إنما هو الخط الذي صنعه الفكر , والتحرر منه يتطلب العلم والمعرفة والوعي..

بديعة هي المعرفة التي تغسلنا من أوحال الفكر بماء الحكمة الجوهرية من أجل أن نتجرد إلى الحقيقة ؛ إذا ما كانت الحقيقة في ذاتها مجردة , تتناغم مع الحكمة الجوهرية المجردة من أجل الوصول إلى التوحيد, لأن من أهم صفات التوحيد , إنما هو التجرد.

يقول الكاتب:" {فالوعي الفردي يطلب العودة إلى الوعي الكلي– الموجود الحق- والغيبة فيه} ؛ وهذه كلها عمليات العقل التوحيدي الذي يعي أن المحجوب هو قبلة العارف, وأن الحجاب لا بد من إزالته بالتأمل أول الأمر. ويستفاد

من مرتكزات هذا التأمل/ التفكر الهندوكي أن الوعي بدلاً من الإنكباب على الواقع العيني,يتحوّل شطر ما يفترضه الصراع المضي إلى الحقيقة المطلقة { الموجود الحق },مصدر الوجود.

وعلى هذا الأساس حسب الكاتب , يمكن تعريف التأمل بأنه عملية عقلية هدفها الأخير التوحد والحق المطلق, بواسطة التحرر الفكري{ تحرر الفكر من الحواس والمظاهر الحسية } ". ص ٢٣٩

نرى أن الوعي واحد , إذا ما كان إنعتاقاً من الأنانية والذاتية, وهذه ليست عمليات العقل التوحيدي الذي هو وراء حجاب الفكر{ فهو المحجوب} ,إنما هو سمو الوعي الذي يكشف عن المحجوب { الجوهر } , فالعقل الجوهر الكلي الواحد والذي لا يوجد غيره في الوجود, والموجود في مكنوننا , هو عالم فيما وراء الطبيعة, هو غاية الغايات – وليس وسيلة- فالوسيلة إليه هي الوعي– والوسيلة إلى الوعي– هي المعرفة – والوسيلة إلى المعرفة { الحكمة } هي العلم الذي يتجه بنور المعرفة إلى المعرفة الجوهرية .

بلى,إن الحجاب لا يمكن إزالته إلا بالتأمل, بنور العقل إليه، فالتأمل هو الوسيلة المثلى من أجل عقل العقل الجوهر... لتأمل من مواقع الوعي وليس التفكر الهندوكي – إذا ما كانت روعة العبادة الهندية وعظمتها– هي بالتأمل العقلي..والشاهد العظيم هو المعلم أتمنندا الذي يقول:" أنا لست فكراً وليس لي فكر.... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال"ص ٤٩– " إذاً وبمعنى أدق, لا يوجد فكر. يوجد فقط وعي, وفكرة الزمن هي محض افتراض سببه الخداع " ص ٤٢ "المعرفة عندما تكون غرضية, تصبح فكرة. وإذ ذاك فإن {الأنا} تبقى كالشاهد على الفكرة "ص ٥٤ أتما داراشان قد يكون الكتاب الأغنى في الحكمة الهندية , حققه المعلم كمال جنبلاط.فالتأمل ليس عملية عقلية,ولا يحمل هدفاً,إذا ما كانت الأهداف عائدة إلى مصالح الفكر التي يحققها من خلال ذلك الصراع الذي أقامه والذي لا ينتهي إلا بفنائه.

التأمل هو تناغم فيما بين الوعي والعقل هو غبطة جوهرية تتعدى جميع العمليات القائمة على الأرض,هو سعادة لا يتصورها بشر في عالم الطبيعة , إذا ما كانت هي في ذاتها وحدة الناشد والمنشود في عالم الحرية والحب والسلام-عالم العقل الجوهر.
إنما الفكر فهو الذي لا يصنع سوى القيود, إذاً, نحن عبيد الفكر وعباد الله...

يقول الكاتب: " ولكن المريد يتوجب عليه دائماً التفريق بين المتبدل واللامتبدل: فالجسد والروح والحواس هي في تبدل دائم؛ والذات الحقيقية وحدها لا تتبدل, لأنها مصورة كجوهر أو نور" ص ٢٣٨

نرى أن الجوهري في ثبات مطلق, وغير الجوهري في تبدل وتغير واستحالة. فالروح جوهر مكنون, من روح الله { ثم سواه ونفخ فيه من روحه} سورة السجدة آية ٩ فمن الجوهر – من المكنون – من الثبات المطلق - تبدأ الحركة الغائية , إذا ما كانت الذات البشرية من صميم الذات الكلية.

{ الغرض والفكر لا ينفصل أحدهما عن الآخر. فهما , إذاً واحد... إذاً فالاعتقاد ذاته بأن الشيء يرتفع في الفكر هو محض خداع } . ص ٣٨ أتما دارشان

لنقل: إن الفكر هو العبودية في ذاتها, وأن الواجب الفعلي هو التحرر منه,وإذا ما كان يفتقد للجوهر؛ فكيف يتحرر من المادة وهو منها وإليها وخادمها؟ أنظر عالمنا بعين الوعي , تعلم أن ليس للفكر حقيقة .

يقول النبي { ص } :" من صمت افتكر " هذا حسب ما جاء به الكاتب,ونحن مع هذا القول, فإذا ما كان الكلام في حالة السلب, تكون الفكرة في حالة الإيجاب و نحن في عالم الحس؛ عالم التضاد و التناقض و الصراع , لكن بحثنا يرقى ويسمو إلى عالم معنوي, ولن نستطيع السمو إلا بنور ذلك العالم. وإن المعنى الحقيقي من كلمة افتكر عند النبي { ص } هي { تأمل } .

في { مراكاي الفنزويلانية } وفي قاعة سوف يحتويها نغم مرسيل خليفة حيث قال :"أرغب السكوت حتى أسمع رنة الإبرة". فكان علينا أن نحبس أنفاسنا . لكن

ما نريد هو أن نرقى بالصمت إلى التأمل , أن نرقى عن رنة الإبرة , علنا نسمع من خلال الصمت البديع الصافي { لحن الخلود } على وتر الوجود الهائم المشتاق .

## مفهوم كمال جنبلاط لله

{ كل من يعبد الله بدون معرفة إنما يدخل في عداد عباد الأصنام }
{ الحق, الحقيقة, الله, أو المطلق,هي أسماء مختلفة ذات المعنى الواحد } .
ويقول المعلم:"هذه الأسماء تختلف باختلاف الزمان والمكان والعقيدة,أما الحقيقة النهائية للوجود فتبقى واحدة متماثلة. والكل ينزع لإظهار الحقيقة ذاتها, والوثني, المؤمن, المتعبد, المتصوف, الكاتب, الشاعر, الموسيقي, الفنّان .... فكل يطلب الحقيقة بطريقته الخاصة, تماماً كما تطلب السعادة.
فالحقيقة والسعادة موضوعان لا ينفصلان ولا تباعد بينهما, وهذه الحقيقة النهائية مؤكدة لا حاجة لها لأي برهان إن كان عقلياً أو أخلاقياً,أو جدلياً, فهي المطلق أو الله ,إنها المبدأ الأعظم والأعلى, المبدأ الأزلي , حقيقة عالم الفكر, الوجود الحقيقة الصافي والتي لا يتوضح مفهوم الدين إلا بالتوصل إليها" ص ٢٦٧
نرى أن التوصل إليها يتطلب وعيها من خلال نور حكمتها, وهذا يتطلب من المريد أن يلج بوابة المعرفة من أجل أن يعي سبل السعادة الحقيقية في وعي الحقيقة التي هي مطلب من ينشدها في لغتها ونغمها ونورها .
يقول الكاتب: "يعتبر جنبلاط أن غاية الوجود هي إدراك هذه الحقيقة,إدراك النور الحقيقي في خضم ظلمة النفوس, وبالخروج من الظلمة, وبرفع الحجاب عن الحقيقة المطلقة يقف الإنسان في النور متحرراً من الذاتية,من الفردية,من القيود التي تربطه بأي علاقة في هذا العالم أو العوالم الأخرى– إن وجدت – متحرراً من المعاناة, من الموت ..

أله هو وحده الحقيقة. والعقل الأرفع, العقل الأولي اللانهائي, أصـــل التكوين والمحورية المركزية في كل فلسفة ودين, وهذا العقل الأرفع هو الفيض الشفاف المتدفق, وصورة النور البسيط المتجلي في كل الأزمنة" ص ٢٦٨

بديع هذا القول,إذا ما كانت غاية الوجود هي إدراك الحقيقة,إدراك المكنون الذي هو جوهرنا المبسوط في أقداسنا,والذي تقصينا عنه أحجة الفكر, الذي قال فيها علي رضي الله عنه: " لو رُفع الغطاء ما ازددت يقينا ". فأنا أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر,أي أن نفسي جوهر مكنون محجوب عني بألف غطاء وغطاء من أغطية الفكر المادية,وكلما كشفت غطاء أشرق نور الجوهر المكنون في أعماقي, وفي آخر غطاء, يشرق نور الجوهر المكنون من أعماقي ويتجلى على أكف الوجود,فأكون قد حققت ما أوصاني به سقراط بقوله:"أيها الإنسان أعرف نفسك". وكما قال النبي { ص } :" من عرف نفسه عرف ربه ".

إن ما يؤرقني في بحثنا الغائي هذا , وفي كل بحث غائي هو دس الفكر فيما بين العلة والغاية, والفكر ليس له غاية,لأنه يفتقد إلى الجوهر الغائي, إذا ما كان مشحوناً بأهداف مادية لا تستطيع الارتقاء علواً نظراً لثقلها الترابي.

إن الفكر يمتلك نوراً مادياً, وبما أنه يمتلك هذا النور المادي, فهو يستخدمه من أجل غرض مادي. هو لا يعرف الله ولا يؤمن بحقائق ثابتة, لأنها تقف بوجه أهدافه في السيطرة والتحكم والاستيلاء.

بما أن الإنسان هو في كونه وكيانه جملة من الأحاسيس والمشاعر , والسمات والصفات والقيم والمثل , وما إلى ذلك ؛ وجميعها تدفعه علواً, إذا ما كانت من روح مقوماته الإنسانية والأخلاقية , إضافة إلى ما يتجلى من كينونته من نور جوهره, إذاً فالإنسان في علو,وليس شأنه شأن باقي مخلوقات الله,إذا ما كان جوهر هذا الوجود.

يقول الكاتب :" الحكيم هو حقيقة الله.{ الحكيم يدرك هذه الحقيقة ويعبّر عنها ومن جلها ننجذب إلى موقعه لنمكث في نعمته في محور ذاته , وعبر المعرفة

الواعية نتوصل إلى الله ونكتشف النور الذي نملك. المعرفة الأساسية هي التسامي الذي به تقرع الأبواب فتنفتح لكل طالب ..

فقط من يكتشفون أنفسهم عبر الوعي, ويعرفون ماهيتهم يدركون الله. وجوده يُملي على الفرد الذي تتلاشى فيه وتغيب, وبالنقاوة تدرك الحقيقة المطلقة للوجود, وبالنزاهة تتم المشاهدة }. ص ٢٦٩

بلى, هو الحكيم الذي انعتق من جميع القيود , وأصبح سيداً حراً من كل قيد هو من صميم الجوهر المحرك لقانون الطبيعة كما قال أفلاطون{ السيد الحر قائد لقانون الطبيعة }. إن الوعي يحررنا من جميع أشكال التملك .. لنتجرد إلى حقيقة هي فينا.

نحن لا ننجذب– إنما نشتاق إلى مصدر الشوق الذي هو المكنون فينا انسجاماً وتحقيقاً لحركة الوجود التي هي حركة شوق وهيام –إذا ما كان هو الشوق المحض في الوجود وفي أقداسنا– في الوعي نعقله, لأنه الوعي المحض- الوعي الذي يتعدى المعرفة-هنا يتعدون معرفة ماهيتهم– حين يحققون{ ماهيتهم}– ماهيتهم الجوهرية – إذاً, لا بد أن تكون نفسهم هي المكنون– هي من روح الله- وأن الواجب وعيها وعياً جوهرياً.

# الجزء العاشر من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

يقول الكاتب:"منذ كان الإنسان..كانت الحرية... وكانت العبودية في الوقت نفسه..
إنها وحدة وصراع الأضداد في الكائن الواحد,المتمثل بالإنسان– كمحور أساس هو المبتدأ وهو الخبر". ص ٥

نرى أنه منذ الإبداع الأول – أبدعت الذات الإنسـانية من روح الله – من الذات الكلية, والذات الكلية هي من صـميم الله .إنما عمل الإنسـان خلال الدهور فرغب – فتكونت لديه الرغبة – تلك الرغبة التي وضعت ذلك الإنسان في موقع أدنى حيث كان الإبداع إرادياً – ثم تكونت الفكرة من أجل تحقيق الرغبة – الفكرة التي قادت الإنسان إلى عبودية الفكر.

من العلة إلى الغاية– في وداعة الوجود الجوهر– في حدائق الأبدية– بدأت رحلة الأبدية – من جوهر العلة إلى جوهر الغاية- بدأت في إتحاد الصورة بالهيولى من أجل ثبات جوهرها – وفي اتحاد الهيولى بالصـورة من أجل إثبات وجودها – بفعل الشوق - وليس من أجل بناء التضاد والتناقض والصراع – في خلق الازدواجية التي وضعت الاختلاف بقيادة الفكر.

بلى كانت الحرية تحتل مكانة هامة هذا حسـب الكاتب , لأن الإنسـان حر بطبعه وطبيعته, مثلما هو عبد– في الوقت نفسه– لحريته, وإزاء غيره في بعض الأحيان.

ويقول الكاتب: من هنا نتذكر المعلم في قوله :{من لا يكون متحرراً, حراً في داخله, فكيف يستطيع أن يدرك حقيقة الحياة, حقيقة الحرية والمسؤولية النابعة منها, وبالتالي حقيقة الرسالة ...؟ ص ٥

إذاً,إن تلك القيود التي يرزح تحتها هذا الإنسـان؛قد أفقدته طبعه وطبيعته؛ أفقدته حتى إنسانيته – إذا ما كان يكتسب إضافة تضيف إلى طبعه وطبيعته جمالاً وسعة وحباً ورفعة ومهابة من خلال علمه ومعرفته ووعيه. ولم يكن عبداً لحريته أبداً؛ إذا ما كان عبداً لجهله ولأفكاره السوداء.

" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " . هذا قول عمر رضـي الله عنه . إنه قول بديع ولكن ليست هي الحرية التي ننشدها, فالحرية التي ننشدها هي { وعي }, وعي يحقق السيادة الحقيقية, والسعادة الحقيقية, والحب الحقيقي, والسـلام الحقيقي , وعي يتعدى الهدف إلى الغاية, ويتعدى الفكر إلى العقل, ويتعدى الفناء إلى البقاء الأبدي .. إذا ما كان الواجب أن يكون الإنسان حراً أبدياً.

الإنسان والعالم ما يطرحه الكاتب :"

أ – مصير الإنسان

١ – قليلون هم الذين يدركون أن هدف الحياة البشرية هو رؤية الله.
٢ – غاية الموحد{ الفيدانتي} التوحد بين الذي ليس صـــفات ولا وتنوع,وبين الذي يقوم بالتنوع وبالصفات.
٣ – بمعرفة الواحد الفرد تعرفون كل شيء.
٤ – احصل على الله قبل كل شيء سواه . فإن ملكت الروحانية فلا خوف عليك من أن تفقد طمأنينة روحك.
٥ – تتحدث عن الإصلاحات الاجتماعية, قبل أن تسعى إليها. حقق الله في ذاتك. شاهد الله أولاً, ويمكنك بعد ذلك أن تخاطب الناس .
٦ – الذي ضمن لنفسه الراحة الأزلية , يستطيع أن يتفرغ لعمله اليومي.
٧ – وسأل أحدهم راما كريشنا : " هل إن جميع الناس سيبصرون الله ؟" فأجابهم : لم يجبر أحد من الناس أن يصوم نهاره بكامله.
٨ – علامة الثروة المميزة أن يكون في كل غرفة من البيت قنديل مشع.
٩ – تأمل في الحكمة وفي السعادة الأزلية تلقَ السعادة.
١٠ – يحمل الإنسان إلى العالم معه عند ولادته نزعتين:
- الأولى : نزعة المعرفة التي تدفعه إلى التفتيش عن طريق متحررة.
- والنزعة الثانية: وهي الجهل, تجره إلى الحياة الدنيوية وإلى العبودية.
ب – طبيعة الإنسان الحقيقية
ج – الموت والتقمص
د – الدين ............". - ص ٤٥

إن طبع الإنسان وطبيعته وسجيته وفطرته أيضاً– هم الكل الذي يتوق الإنسان ويشتاق أن يحقق إنسانيته وبلوغها كمال جوهرها من خلالهم– ومن خلال الإضافة المثلى من حكمة الحياة وروحها ومعناها, من أجل ولادة الملاك الطاهر– وليس سقوطها إلى ذلك الدرك الذي أصبحت فيه الآن .

إن غاية الحياة لا يحققها هدف ما – بل تحققها إرادة الحياة – إرادة الوجود – إذا ما كان الوجود إرادة عقلية جوهرية .

إن السبل جميعها مبسوطة لله – مبسوطة بسطاً جوهرياً – والبسط إنما هو غاية الحياة وغاية الإنسـان وغاية الوجود- ومن يعي هذا البسـط – فقد يصبـح غبطة في ذاته – في مكنونه – وفي وجوده.

حين تصبح في تلك المواقع– فأنت في مطلق السعادة والسيادة والفرح, فاذهب إلى عملك الذي هو تحقيقاً لذاتك ولوجودك ولإنسانيتك .

أنت تكون في النور – ومن النور - وإلى النور الذي يشـعّ في كونك وكيانك – ويشرق من جمال وجودك .

أنت سـموت عن أوهام الفكر – إلى رحاب التأمل – إلى عالم حرٍ عالم يترنم على أنغام ذاته- يترنم على وتر الحب الصامت الصافي.

بـديع أن نكون نحن من الإبداع الأول – أن نكون بناة الحياة من الأزل – وحتى الأبدية– بديع أن نكون نحن الأولى– من حيث جوهرنا المشـرق أبداً على سيماء الوجود– بديع أن نكون أنت وأنا من الأزل– كنـّـا ولم نزل في رحلتنا المباركة– في حدائق الأبدية.

لنكون نحن البناء– ونحن البناؤون– ونحن الزُراع ونحن الحاصـدون- ومنـّا الوجود ولنا ومن أجلنا – نكون حقاً غاية الحياة من الأزل – حتى الأبدية....

كما جاء في الآية الكريمة { لا تبديل لخلق الله } سورة الروم آية ٣٠

والدين واحد – هو دين الواحد – دين بشرية جوهرها واحد.

وحدة الوجود أو وحدة الطاقة والتكوين

يقول الكاتب:"اتهم عدد كبير من العارفين الصوفيين المسلمين وبعض المسيحيين – ... اتهمهم بالقول بوحدة الوجود. أي في النهاية بوحدة هيولى الوجود, أو بكلمة علمية أوضح, بوحدة هيولى الطاقة الكونية الشاملة للوجود باطنه وظاهره".ص ٩٠

بديع هو البحث عن الحقيقة– بديع أن ترسـخ أغنى المسـلمات الحقيقية في أعماقنا من أجل أن تصـبح من أعماقنا– إذا ما كانت وحدة الكينونة الإنسـانية– صورة مهيبة عن هذا الكون المهيب .

فإذا ما تأملت الوجود في بصيرة جوهرية– فأنت تتأمل من ذاتك– تتأمل ذاتك الجوهرية– من أجل أن تعي أنك والوجود واحداً وأينما كنت وتأملت فقد تعي أن الوجود يمتد منك وحتى اللانهاية من أجل أن تعي إن الوجود لا نهائي- إذا ما كان جوهرك أيضاً لا نهائي , إذا ما كان يقظة سرمدية تتناغم مع سرمدية الوجود.

إن البسـط والقبض هما معاً نبض الوجود الأبدي – هما مبدأ الحركة الإرادية من ثبات مطلق حيث نلغي السلب والإيجاب والعدمية في الخلية الواحدة التي هي أس الحركة الإرادية في الوجود.

يقول الكاتب:" ويرد على ذهننا بعض أقوالهم دون انتفاء ولا اختيار:

- للنوري قوله " إن الله لطّف ذاته فسمّاها حقاً, وكثّف ذاته فسمّها خلقاً ".
- جلال الدين الرومي" نحن و وجودنا عدم, أنت هو المطلق المتجلي في صفة الفناء" .
- سمع أبو يزيد رجلاً يقول: عجبت ممن يعرف الله كيف يعصيه. فقال رضي الله عنه : عجبت ممن عرف الله كيف يعبدُهُ .
- دعوة الحلاج الشهيرة:" أنا الحق والحق للحق حق لابساً ثوبه فما ثم فرق ".
- ومن كلام أبي يزيد" خرجت من الحق إلى الحق حتى صاحوا منيّ فِيَّ يا من أنت ".
- كذلك لجلال الرومي " خلعت الأثينية , ورأيت العالمين واحداً".
- شري أتماننداً " إن العالم أو الخلق هو تعدد أو تكثر الواحد".
- روبر لينس " من تشـعب المواد والعناصـر المتغايرة اللامحدودة والذي انطلقنا منه في رحلتنا إلى قلب وصـميم الأشـياء,نصـل إلى وحدة طاقة أساسية"ص ٩٠

نرى أن للوجود إرادة كونية – هي مكنونه – تحقق غاية الواحد الأحد في حركة إرادية عقلية غائية مشحونة بالشوق من جوهر غبطة – هو في ذاته غبطة شوق تغبط ثنيات الوجود, المتحركة إلى ذاتها بفعل الشوق ذاته من مصدر الشوق

لتجعل من كريات الوجود جميعها, حركة شــوق إلى ذاتها  في  وجود يتحرك إرادياً إلى ذاته بفعل الشوق –  حركة دائرية.

هنا لا بد من إيضـاح  حقيقة هي { أن الوجود وجوب محض لا سلب ولا عدمية فيه".  ولا بد لنا من إيضاح حقيقة الطاقة بأنها { قوة مادية عائدة إلى عالم الفكر}.

فإذا تأملنا في صـميم الأشـياء–   فلن نجد طاقة–   إنما قد نجد إرادة  كونية هي فوق القوة  التابعة  للفكر- إرادة عقلية غائية  جوهرية –  محركة  كريات الوجود حركة شوق وهيام . إن الله لا يتكثر حيث إن الجوهر المحض هو الثبات المطلق.

إن مصيبة الإنسانية الكبرى هي { قياس الأشياء جملة بواسطة مقياس مادي من صناعة الفكر }, فإذا ما كانت  الأرض  تتحرك إلى ذاتها  بفعل الشوق – ولا تدور حول ذاتها بفعل الجاذبية التي أخبرنا عنها الفكر, لكن هذا الكلام لا يروق لمن يكره الحقيقة, حتى لو كان حقيقة الحركة في الوجود كله.

فحين نظرت إلى الإنسان بعين ذاتي –  رأيته آية من الجمال –  يشغلها الحب – ويحركها الشــوق –  وتبســطها وداعتها في حدائق الســلام الأبدية –  حينها – علمت أن الإنســـان هو الوجود في ذاته وفي كيانه وفي ماهيته–وحركته هي حركة شوق وهيام من أجل ثبات وجوده–  وكمال جوهره .

لنخلص إلى تعريف للطاقة في عبارة هي { القوة الدافعة للحركة المادية }.

لكن ما هو سبب تصور المادة في أذهاننا أنها ثقل ترابي؟ فالجواب هو في ارتباطها كلياً مع الفكر.

لكن  الكاتب  لديه  أراء  أخرى  حيث يقول :" مع كون المادة تتضـــمن في جميع مستويات ظهورها الواقع { الكتلوي } أو ثقل المقاومة  لتبدل السرعة ... وقد تظهر بوادر التحرر من هذا الثقل { الكتلوي} الملازم لأجزاء المادة  في  تحركها, إلى أن نستطيع أن نصل إلى حالة من المادة يزول فيها الثقل الكتلوي" ص ٩٧

لكننا نرى أن المادة ترزح تحت قيود الفكر, وتخضع إلى أغراضه ومصالحه, كما أن الفكر يرى أن المادة هي سبب وجوده, فأثقلها بقيود زخارفه, وأثقلته بتلون أشكالها وكثرة مطالبها.

إنما الحلِ الذي يحرر المادة من عبودية الفكر, ويغسل هيكل الوجود من أوحاله هو, { الوعي } الوعي الجوهر- حيث تصبح حركة المادة إرادية عقلية حرة من جميع القيود. فقد جاء سري يكتسوار من عالمه { الكوكبي } إلى عالمنا هذا بقدم الروح من عوالم بعيدة وتصور إرادياً أمام تلميذه يوجانندا في الصورة المادية التي يألفها ذلك التلميذ. وقد أتينا على ذلك في عرض هذا الكتاب.

فمن هذا الجوهر الواحد كل منّا – وفي الوعي قد يتجلى الواحد في الكل والكل في الواحد– إذاً { فلا اثنينية, ولا أثر للأنت والأنا !} حسب تعبير الجامي الصوفي, ولكن متى ؟ الجواب : حين نُراح من هذا الفكر.

ويبقى البحث عن الطاقة في المخيلة حتى نصل إلى قناعات حقيقية , إذا ما كان الكاتب يقول:" هذه الطاقة الكونية هي التي تشع بالنور والحركة,تتموج وتتذبذب في المادة, ثم تتحول وتترفع إلى طاقة الحياة في الوجود الحي, ثم ترتفع , في تحولها وتشخصها الأخير, إلى فكر وعقل الإنسان" . ص ١٠١

الطبيعة هي مظهرية الوجود الجوهر- في طهرها وشمولها ونقاءها وعفويتها– هي أبداً حياة– إذا ما كان يحتويها الجوهر– إذا ما كان هو مكنون الحياة– هو روح [ الطبيعة الموكولة من قِبل النفس الكلية بالإشراف المباشر على المادة ] حسب ما جاء به آرمسترونغ- هي بجملتها..[ القوة الروحية الرابعة بالوجود ],حسب رؤية ابن حيان التوحيدي وأصحابه.. لنقل: إن طاقة الحياة هي هبة الوجود الحق – هبة هي في ذاتها حياة– يبثها جوهر الوجود من صميمها– يبثها إرادياً – فيشع في ذاتها– ليغنيها بجلال جماله– ويغبطها بسعادة البقاء والخلود.

فالمادة هي في ذاتها حياة – إذا ما كانت مشحونة بروح الوجود – والطاقة التي هي في ذاتها حركة– إنما هي حركة حياة,إذا ما كانت مشحونة بروح الوجود.

إنما هو الفكر الذي عبث بعفوية الطبيعة – وخرق حجاب الطاقة حتى دمّر هيروشيما وألف هيروشيما– وجعل من ذرة الحياة – وسيلة موت بالجملة.

منذ خمسين عاماً,عانقت المطر, وشربت من فيضه المنهمر على كفي قطراً ندياً بلسماً.وأعدت الكرة بعد فعلات الفكر المنكرة , بعد خمسين عاماً , فتجرعت علقماً.

يوم ذاك نظرت إلى فيحاء دمشق, فابتسمتُ مع ابتسامة السحائب البيضاء وهي تعانق صفاء الجبل , وصفاء الطبيعة والوجود, وأعدت الكرة بعد أن شاخ الجبل والسحب والطبيعة والوجود..حتى إنسان عيني قد شاخ ومّل النظر,بعد أن نفخ الفكر بدخانه الأسود القاتم,فاسود كل شيء حتى الجباه والوجوه,حتى الطبيعة والوجود.

فكل ما تهبه أنت إلى الحياة – إنما هو هبة منك للحياة – من أجل أن تصبح أنت هبة للحياة – من أجل أن تصبح حياة للحياة.

لا شيء يفنى– ولا شيء ينعدم– فكل عناصر الوجود – هي من أجل الحياة. لكن سؤالي هو,عن هذا الفكر الذي قتل بصاروخ واحد مئة نفس– وهدم مئة بيت – و زرع الرعب في الأرض وفي الفضاء– وأدمى مقلة الوجود– هل هو حقاً حياة؟

الوجود والحركة

" كل شيء هو حركة "

" إن الله يحيط بكل شيء ويتداخل بكل شيء : لأنه طاقة وقوة. وليس من الصعب , يا ولدي أن نتصور ما هو الله". ص ١٠٥

نرى أنه يستحيل أن يكون كل شيء حركة– إذا ما كان الجوهر ثبات مطلق – هو نبع الحركة – من أجل ثبات الحركة في مسارها الحقيقي المطلق .

فبقدر ما بك من العقل– بك من الثبات– وبقدر ما بك من الفكر– بك من الحركة إذا ما كنت أنت الوجود بذاته– وكل حركة منك – محركها عقلك الجوهر- إنما هي حركة إرادية غائية فاعلة في الحياة والوجود– لان مصدرها ثابت ومسارها ثابت – و وجهتها سامية , لأن المحرك في غاية الثبات. إذاً, لا بد من

وعي الوجود– وعياً عقلياً– من أجل أن نتحقق في العقل من خلال الوعي – من أجل ثبات البناء الجوهري فينا – وصدق الكلمة والحركة والفعل.
قال لي معلم من معلمي الفلسفة : " إن الله سكونٌ محض " . فقلت له: ويحك لقد هدمت الوجود. وعدت إلى قلمي لأكتب النظرة التالية:" ألله هو اليقظة السرمدية – هو الجوهر المحض– والثبات المحض– وأن السكون لا يوجد إلا في داخل الحركة المادية هذا إن وجد ".
" إن رام جوبال لا ينام – لآن تأمل خمس وأربعين عاماً – جعله يقظة تامة – ولا حاجة عنده إلى النوم – بعد أن أصبح جوهره – هو القائد". أنظر فلسفة الهند في سيرة يوجي ص ١٧٠ ......
ولسنا مع قول الكاتب :" إن الله يتداخل بكل شيء: لأنه طاقة وقوة".
لنقل : "هو أنت جملة من الخلايا يحتويها الجوهر". فأنت كلك أقداس وأعماق- وراء غطاء الفكر – فإذا كانت عملية التداخل هي عملية تركيب, والتركيب لا يمكن أن يكون غير مادي – فنحن نضع الموضوع في صياغة جوهرية- تتعدى التركيب لأنه مادي.
والقوة, إنما هي للفكر من أجل السيطرة والقهر والسلب – إذا ما كان قانونه هو قانون القوة – وشريعته شريعة الغاب – أنظر في التاريخ والواقع تجد الجواب.
إن وداعة حركة الكون بما فيها من جمال وخيال وهيبة ووقار– ليست بفعل القوة– إذا ما كانت بفعل { الإرادة العقلية العلية السامية } وإذا ما رغبت في التجربة الحقيقية– فاذهب مع أهل المدينة جميعهم من أجل زحزحة جبل– لكن السيد المسيح قال :" إذا كان لديك ذرة من الإيمان وقلت لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولن يكون غير ذلك". هنا – تستطيع ذرة من الإيمان في كينونة امرئ أن تفعل ما لا يفعله جميع أهل المدينة.
بلى هو الله جل جلاله له القوة والجبروت – إنما من خلال إرادته العلية الفاعلة فعلاً إرادياً منظماً ودقيقاً وشاملاً- إذا ما كان في كل كرية – في كل خلية – في كل أين – وفي – ومن – ومن أجل - يفعل فعلاً إرادياً.

هو الله الذي يضع بك جميع أسباب الطاقة من خلال جوهرك البديع- المكِوّن لهذا الكيان الجميل – والذي يحركه بواسطة أسباب الحياة من مأكل ومشرب وعلم وأدب – حيث هي مصدر القوة المادية الحية التي تمد الجسم بالطاقة.

يقول الكاتب حسب هيراقليطس:" إن الشمس تتجدد في كل يوم. فهي تظل جديدة دائماً مدى الأزل ". ص ١٠٨

نرى أن { كل آت جديد },وقد أتينا على ذلك في كتابنا{ ضياء العقل } ص ١٣٧ في قولنا : إذاً, فأن ثبات العقل في ذات الحركة يؤدي إلى ثبات الحركة في غاية العقل, لذلك تحقق الحركة ذاتها دائماً, وتحقق الانسجام والوحدة أبداً, وتحقق الغاية العقلية المحركة ، فالحركة إنما هي حركة عقلية لأنها حركة شوق , إذا ما كانت الكرية تتحرك إلى ذاتها شوقاً لذاتها , وتتحرك في مدارها لتحقيق غاية الوجود.

فالشمس لا تطلع غداً كما طلعت اليوم, إن في كل إشراق لها تجدد واختلاف, لكنها تشرق كل يوم, إن فيها ثبات الحركة, وثبات العطاء, وفيها تغير الحركة وتغير العطاء, عطاء من ثبات جوهرها, لكنه عطاء من الحركة, إنها في كل لحظة تحقق غاية, وأن كل غاية تجدد غاية أخرى". إن في هذا الثبات حياة الوجود, وفي هذه الحركة , أبدية العطاء, وفي هذا الاختلاف صناعة الفصول.

وإذا ما غابت - تبعث لنا القمر , لتعكس على صفحاته اختلافات جمة وغايات مشرقة بالنور , وهي شمس واحدة .

ولسنا مع قول الكاتب عن أحد العلماء قوله: " إن الحركة وحدها هي موجودة". إنما أنت صورة تحرك مادة حية بالصورة,إذا ما كنت كينونة– تحرك كيان - حياته الكينونة.{ فالحركة وحدها بلا مُحرك – إنما هي حركة سائبة لا وجود لها}.

إن المحرك في عالم الطبيعة هو الفكر وحركته مادية بحتة – والمحرك إلى عالم فيما وراء الطبيعة هو الوعي بنور عالمه الجوهري – وحركته جوهرية سامية.

يقول الكاتب: " إن المعادلة الأخيرة لحركة المادة ســـتكون على الأرجح معادلة موجيّة لا معادلة خط مستقيم". ص ١١٠

إن المادة في عالم الفكر ليست لها حركة مستقلة – إذا ما كانت خاضعة لعبودية الفكر.إنما المادة في الوجود– لا بد أن تكون حرة أبداً إذا ما كان المحرك هو العقل- هو حرية أبدية.

إذاً- إن حركة الوجود حركة عقلية إرادية غائية دائرية بدأت من العلة وصـراط أمرها إلى الغاية القصوى للوجود .

هي حركة شوق وهيام – حرة - صافية – نقية – طاهرة – سامية – مبدؤها هو – وغايتها هو – إذاً هي حركة شوق منه وإليه.

"إن هذا الذي يتناقض هو قائم وفاعل مدى الأزل". هيراقليط ١١٢

نرى" أن التناقض وجه من أوجه الاختلاف يلغيه الوعي".

هي الحقيقة تتصور جلية في هذه الرؤية للكاتب :

"إن جميع هذا المبادىء والنظريات {تحول المادة ونظرية الحقل والنسبية والماهية الحسـية للعالم الخارجي} التي أضـحى بعضـها حقائق في العلم الحديث, نجدها جميعها,منذ آلاف السـنين,ظاهرة واضـحة وأكثر دقة وكمالاً – في تأملات الأقدمين وأرباب العرفان". ص ١١٥

يقول الكاتب: "إن الزمان والمكان حسب بصيرة عقل الأقدمين مفهومان نسـبيان لا وجود لهما في الخارج– هما قياسـان من فكرالإنسـان مرتبطان بسـعي الفكر وبحركته وهل يستطيع أحد أن يفصل فكره عن الزمان, أو الزمان عن فكره في إدراكه؟ ص ١١٦

نرى أن هذه حقيقة مؤكدة وهي ارتباط الفكر في الزمان والمكان كونهما مادة, وحين تفني المادة,لا بد من فناء الفكر, وحين يفنى الفكر فقد تتحرر المادة من قيوده.

" النسبي ما هو نسبي لي لا بالنسبة للأغراض الأخرى ".

" النسبية بالنسبة للعلم وفي المعنى العادي للكلام, هي التي تقوم بين الأغراض نفسها ". ص ١١٧            شري أتمانندا
نرى أن هذه النظرة مادية خالصة , كونها مرتبطة بالمادة والفكر فقط . .....

## الباطن الكوني

ما أبدع تبسيط هذه النظرة من خلال عبارة واحدة هي { مكنون الوجود } إذا ما كان الباطن ليس جلياً.
يقول الكاتب:" و وراء هذا الباطن الجماعي هناك باطن ثالث,طبقة ثالثة أعمق, ويسمونها الباطن الكوني الشامل للإنسان...ويقول: إن عقل الإنسان واحد للمجموعة البشرية كلها.. فهذه المعايير والمقولات ثابتة في النهاية لا تتغير ولا تتبدل". ١٦٤
نرى أن ظاهر الاختلاف – كونه مركباً – وفي أعماقه حقائق تدل وتشير إلى مكنون واحد كلي جوهري مطلق ومجرد– و هو واحد – هو الملك الواحد الذي يعلو عرش المملكة الواحدة – عرش الوجود،علواً معنوياً ..
فقد أتينا على أن الجوهر واحد– وأن العقل واحد- وأن الثبات الجوهري حتمي الوجود أتينا على ذكرها ألف مرة ومرة في مؤلفاتنا – حتى راح بعضهم يرفعون تكرار قناعاتنا هذه كحجة علينا – أليس هذه القواعد الفلسفية التي كانت هبة بديعة للحياة الإنسانية ومثالها { إن الإنسان صورة ومادة } حسب ما قاله أرسطو الحكيم ؟
يقول الكاتب:" ويذهب العلماء العصريون اليوم إلى أبعد من ذلك إذ يعتبرون أن هناك لغة هي" اللغة الأم ", اللغة الجذر التي هي وراء تصورنا للمفاهيم التي نعبر عنها في لغاتنا المختلفة والعادية ؛ فعندما أفهم على إنسان أعود في الحقيقة وأتجاوز الكلمة,حيث تزول هذه الكلمة في وقت من الأوقات في طبقة من طبقات الباطن, ولا يبقى منها شيء كجسد لها. هيكلية الكلمة تزول ولا يبقى إلا المعنى". ص ١٦٤

أرجو يا عزيزي القارىء ألا تقرأ عباراتي ،أرجو أن تتأملها من أجل أن تصـــل إليك كما هي، فقد سألت الشاطىء عن خليله البحر؟ فتألق في جمال بسطه وقال :
{ أنا خليل البحر- من ذاته أنا – هو يحدني ولا أحده– فأنا من صـميم البحر فإذا تأملت ذاتي – رأيت البحر في صـميمها - وإذا تأملت البحر - رأيت ذاتي في صميمه – فأنا من صميم البحر.
ما دمت أنت والبحر- ماهية واحدة - وضـــمير واحد – وجوهر واحد - فلِما أنت شاطىء والبحر هو المحيط ؟
قال وذاته سكرى بخمرة البحر: أنا وسيلة البحر للوجود – ووسيلة الوجود إليه – فحين تعرف ماهيتي – فتكون قد عرفت البحر..
وكيف لي أن أعرفك .. شاطيء؟
فابتسم بثغر الوجود وقال: إن كل ذرة من كياني- تحمل سراً لذاتي في عمق أعماق البحر - وأن كل قطرة من البحر تحمل في عمق أعماقها ســـر غايتها في عمق أعماقي – فأنا والبحر واحد
وهل من لغة للبحر تترجم أسرار ذاته ؟
فأجاب بلســان بسـطه قائلاً: إن للعالم لغات– لكن للبحر لغة واحدة تترجم أســرار ذاته- فحين تتوحد تلك اللغات في لغة واحدة – فتلك اللغة تعقل لغة البحر وتعي سر تلوينه . أليس هذا اللون الأزرق المبسوط على وجهه هو لون البحر؟
أجاب الشاطىء معاتباً: إنك تنظر البحر في باصرتك الملونة, فتراه في لون أو في ألوان, فلو نظرت البحر في عين البحر, فقد تراه محض صفاء.
فقلت في ذاتي : شقي من قال إنه يعرف البحر وهو لا يعرف حتى الشاطىء}.
من كتابنا ضياء العقل ص ١١٠
إن كل ما هو مادي – سّمه ما شئت– لكن حرية الجوهري المطلقة في أن يسمّي ما يشاء في عالمه الحر- لتبقى عبارة جلية ومطلقة {لا تركيب في الجوهر }.

# الذات المجردة من الصفات

يقول الكاتب :" وكذلك وراء هذه الطبقات الثلاث, وهي الباطن الفردي والباطن الجماعي والباطن الإنساني الشامل, إذا دخلنا إلى حجرة النفس وراء هذه الطبقات,نصل إلى الشيء الذي يقول عنه عالم الأحياء البريطاني شرنكتون , والذي معظم العلماء يتفقون عليه, أن الشيء الذي نسميه الذات المجردة عن كل الصفات والتي تتلبس هذه الطبقات المختلفة,أو هذه الطبقات تضاف إليها؛و"نظرية الانضياف" وهذا المحور الأخير هو بالحقيقة المحور الوجودي الأصيل فينا , لأن الطبقات الأخرى متبدلة ومتغيرة, هي مجرد مكنة لا تظهر إلا بنور الوعي, وهذا الوعي طبعاً يصدر من الأنا الجوهرية فينا". ص ١٦٥

إن ما قاله أرسطو {صورة ومادة}. لنقل : إن الصورة تحتوي المادة, فأنت {جملة من الخلايا يحتويها الجوهر وراء غطاء هذا الفكر}. وأن العلماء هم الذين يبحثون في مظهرية الطبيعة بواسطة آلاتهم المادية,عن غرض مادي. .....{ونفخ فيه من روحه} السجدة – ٩. فالجوهر المحض هو مبثوث بكل ثنيات الوجود, هو ليس في مكان خاص , ويحرم منه مكان عام , إذا ما كان في كل أين.

إذا ما أردنا النظر إلى الجوهري في الوجود؛ فالوعي يرقى بنا من أجل أن ننظر بعين الفلسفة والفلاسفة الذين سمو بالحياة إلى تلك المواقع السامية ؛ وألاَّ نلتفت أبداً إلى الوراء حيث هم العلماء يلهثون قانطين عاجزين عن الصعود إلى القمم.

إن في الوعي قد يصبح الباطن الفردي جوهري وإنساني وشامل– ولا من طبقات – إذا ما كانت أحجبة الجهل والفكر هي المانعة إنسانية الإنسان من أن تتجلى.

نحن كنا قد أتينا على طبع الإنسان ثم الإضافة التي يكتسبها ذلك الإنسان بالعلم والمعرفة والوعي– لتكن هي إضافة قيم جمالية وخلقية وجوهرية– خاصة إذا ما تجلى الوعي فقد يحقق جوهرية الإنسان وذاته وكماله وخلوده وأبديته.

# في الديمقراطية الاجتماعية

{ لا حقوق ولا امتيازات بدون واجبات مقابلة }

ما هي الديمقراطية؟

يقول برغسون :{ إنها مبدأ توحيدي , عقلاني بحت }

يقول لوفور :{ إن الأسس الأولية للديمقراطية المعاصرة تكمن في حرية الإنسان " بالمعنى الحالي للكلمة " في المساواة الطبيعية بين البشر}. ولهذه النظرة في الغرب حسب قول الكاتب, منابع دينية أيضاً : " كل رجل, يتمتع بروح خالدة ولا يخضع ضميره لأي سلطة بشرية, سواء كان هذا الإنسان من فئة العبيد أم من جماعة الأحرار,وسواء كان أغريقياً او بربرياً, يهودياً أو وثنياً, كل البشر متساوون إذاً بحكم طبيعة وجودهم المشترك. هذا هو الأساس الحقيقي للإخاء بين البشر في المسيحية ". لوفور– الشريعة وقضاياها الكبرى,ص ٥٣٠ – أتخذت من ص ٢٢٨

وأضاف برغسون حسب الكاتب { بأن النظام الديمقراطي تمثل في " جماعية الامتثال الطوعي لتفوق العقل والفضيلة " }. ٢٢٧

نرى أن كلمة { العدل } قد تحقق الغاية,ولكن السؤال الواجب أن نقف عنده هو:

- ما هو العدل ؟ فنجيب بقولنا , إنه التساوي المطلق بين الحق والواجب.
- متى يتحقق العدل؟ لنقل :" حين يعي جميع أفراد مجتمع ما الحق والواجب.
- كيف يتحقق الوعي ؟ ... حين يذوب الهدف , وترقى الغاية, حين يصبح كل فرد في مجتمع ما ميزان عدل في ذاته,حيث يرقى الجميع إلى مواقع الوعي.
- كيف يتحقق ذلك ؟ ... حين يرقى التوجه إلى الإنسان ... حين يصبح الإنسان هو غاية الوجود... حين يصبح كل شيء من أجله... إذا ما جعلت ثورة فرنسا العظيمة... التي غيرت حركة التاريخ... جعلت كل شيء من أجل الاقتصاد... حتى الإنسان ... فأماتته بدلاً من أن تحييه .

- كيف يصبح كل شيء من أجل الإنسان؟ ... حين يتحرر الإنسان من جميع القيود المادية التي أسقطته إلى مواقع الأغراض... حين تذوب هذه الامبريالية الاحتكارية الغبية في المجتمع الإنساني ..فيعوم الاقتصاد كوسيلة حركة جادة خلاقة..من أجل تأمين أسباب النهوض بجميع المؤسسات التي أجلها وأشرفها تحرير الإنسان من قيود الجهل والفقر والفاقة, وتوجيهه ووعي ذاته ووجوده وحقه وواجبه وغايته وكمال جوهره.

إن الديمقراطية حسب لوفور لا تلغي عبودية العبيد, وليست عقلانية حسب ما قاله برغسون , إنما هي حضارية, كونها وضعت القانون فوق الكل, وأعطت مساحات واسعة من الحريات, وتعددت وسائل القوة في المجتمعات الغربية.

ولا بد من القول: إن الديمقراطية التي تحققت في معظم هذه المجتمعات, كانت في مستوى طموحاتها , والتجربة الأغنى مادياً في تاريخ البشرية.

ويبقى الدين هو الأغنى – حين يرقى عن سياسة الدولة – حين يصبح منارة يؤمها كل مريد غايته كمال جوهره– حين يعطي وداعة الحب وجمال الحكمة والموعظة الحسنة – حين يتجرد لله – ويقول كلمته- كلمة السلام بين الناس.

إن مطلب الحياة الحقيقي هو الخلاص من تأليه الفرد– من خلال ترقية المجتمع- كل المجتمع – من أجل أن يصبح الفرد صورة الكل – والكل صورة وعي متصور في أقداس الجميع– حيث تنتهي السلطة– ويذوب الشكل الهرمي– حين يبسط الوعي جوهر وجوده في الوجود.

فالكل هنا – يعي الحق والواجب – يعي أن الحياة عطاء – وأن العطاء رسالة حياة – يحققها الجميع– من خلال وعيهم أن جوهر الرسالة هو { أن يهب كل فرد بدون استثناء – جميع طاقاته – وجميع إمكاناته – وجميع قدراته – وما يحرزه من إبداع – يهب هذه الطاقات والإمكانات والقدرات والإبداعات إلى الحياة من أجل أن تهبه الحياة جميع حاجاته }.

إن مجتمعاً يعي واجب الحياة– لا بد أن يحقق هذا الواجب– لأن الوعي يكون قد حقق في ذاته قانون الوجود الحق– ويكون قد أصبح من صميم الوجود الجوهر

المحرك– وتسامى عن كونه حركة مادية فانية– وأصبح جوهراً مبسوطاً في مكنون الوجود.

## الجزء الحادي عشر من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

غاندي والعالم المعاصر
يقول الكاتب :" والحقيقة الأولى تبرز من تعاليم المهاتما غاندي, هي أن الحب هو نقطة الدائرة ومحورها في آن واحد. فكيف تتلاقى وتتجاذب ذرات المادة, وترتفع وتتوالى في تراكيبها, وكيف تتآلف الخلايا الحية في النبات وفي الحيوان وفي الإنســان, وكيف يتوافر إرتباط العلاقات في المجتمع, إذا كان الحب, على حد تعبير الحكيم فيفكننددا غائباً عنها : { إن المجرات والكواكب والسيارات تمخر جارية وتدور حول بعضها البعض,ولا تتساقط إحداها على الأخرى بقوة هذا الحب.
إن الحب طاقة كونية شاملة لحركة التكوين, وكأنها الدافع والمحرك الأساسي لها .. وكأنه أي الحب – هو الذي تعصف أنسامه المتشبعة في مسار أقدار التطور- من ضمن وحدة التيار المبدع الهادر.... ". ص ٢٤١
الله جل جلاله هو{الحب المحض– الشوق المحض – السلام المحض – الوعي المحض – الجوهر المحض....إلخ},إذاً هو مكنون الوجود الحق – الوجود المتآلف بجميع صفات الخير – المتحرك بفعل الشوق – من مكنون ذاته في الوجود – إلى مكنون ذاته في المطلق.
فالحب ليس قوة– إذا ما كان إرادة علية– إرادة إبداع تسيّر كل شيء في الوجود بحركة شوق وهيام– حركة شوق إلى ذات الشيء– من أجل ثبات الشيء في محور ذاته – وحركة شوق إلى المطلق – مبدع الحركة – حيث هو غاية الحركة.
هي حركة شوق– مصدرها هو { الشوق المحض } مصدرها جميع الصفات الخيرة .

إذاً – نرى أن وعي نظام الوجود – يحقق لنا هذه الحركة التي بدؤها من العلة وهي هو - ووجهتها إلى الغاية التي هي هو – حسب نظام وسنن الوجود.
إن جميع أسباب الشقاء الذي تعانيه الإنسانية – يكمن في تجاهلنا ثم جهلنا لنظام الوجود – وخضوعنا إلى عبودية الفكر.
إن الوعي سوف يخبرنا يوماً{ أن الله أرسله إلى البشرية من أجل انعتاق البشرية من عبودية الفكر– من أجل أن تحيى هذه البشرية– حياة الغبطة والسعادة والفرح}.
وإذا ما علمنا أن الحب هو المحرك للطاقة في هذا الوجود – وغايتنا هي الحب الجوهر- إذاً - لا بد أن نرفع الحب من خلال الوعي إلى موقعه الحقيقي حتى يرى الحياة بعين الله – وليس بعين الشهوة أو النزوة أو بعين فكر يدجل علينا جميعاً.
يقول أمبيدوقلوس حسب الكاتب :" .. لأن الحب والكراهية تتوالى في { فعلها } وفق الأدوار والأكوار التي تسيطر عليها وتقودها الشرعة الشاملة ".
{ إن من يحب لا يكره – ومن يكره لا يحب }, إذا ما كنا بالله نحب – نحب في الحب الحقيقي – في النور – في الصــدق في جمال الحب – في الوعي – نحب في الحب الحقيقي. – أنظر السيدة والبستان – في كتابنا الإنسان والوجود – ص ٦٣
يقول غاندي حسب الكاتب:" إن ما من شيء لا يستطيع الحب أن يذيب جليده . إنه أقوى من الحقد والكراهية والتنافر أضعاف أضعاف ..الحب أقسى {فعلاً وأثراً} من المآسي وأطرى وأرق من أزاهير الدراقن ".
والحقيقة الثانية التي أبرزها المهاتما للعالم, هي الحاجة الملحة إلى البســاطة والعفوية ... الأصالة البشرية.
والحقيقة الثالثة التي أبرزها المهاتما ورسول الهند وآسيا الكبير إلى العالم الحكمة الهندوكية الخالدة.. أن تطور الحياة قد تحول بفضــل هذا الوعي وهذه الحرية,إلى تطور إجتماعي وأخلاقي ونفسي , هدفه استنباط القيم وإنشاء الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية – ولعل هذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وبين عالم الإنسان". ص ٢٤٣

حين يرقى الحب من خلال الوعي إلى مواقع الإرادة , إنما يصــــبح في المكنون, وتصبح حركته حركة شوق من المكنون إلى المكنون , ويتعدى جميع افتراضـات البشر؛ إذا ما كانت الإرادة عقلية غائية علية.

هي بســاطة – غاندي- عمر أمير المؤمنين – عمر بن عبد العزيز – ومن حذا حذوهم- هي التي سـطرّها وعي أولئك العظماء كتاريخ عظمة – تخلده هيبتهم وعظمتهم .

إن البســاطة وعي يحقق الإيمان الذي يعقل ذاته في الذات الكلية, ليتعدى وعي غاندي كل مآثر الفكر حتى الطيلسان, مرتقياً إلى حصير مثله مثل حصير عمر بن عبد العزيز الذي كان { نصفه قش والنصف الآخر ذهب} حسب محاسبة أمير المؤمنين له قبل أن يعلم إن النصف الآخر قد بُليّ.

غاندي يقول حسب الكاتب:" في الماضـي كانت نقطة انطلاق تأملاتي : أللہ هو الحقيقة. واليوم بعد ثلاثين سـنة من البحث والتأمل انتهيت إلى قلب هذه العبارة لأقول: الحقيقة هي الله ". ٢٥٤

يقول الكاتب :" ألم يقل فيفيكاناندا : "إنه من المستحسـن أن نولد في الكنيسـة لكن من المريع أن نموت فيها" . ص ٢٥٥

إن هذا ما رآه المعلم جنبلاط حين قال :" إن المعتقد وسيلة يتعداها المرء ". فنحن من بين جميع الاتجاهات , قد نختار الاتجاه الذي نريد بعد معرفتنا بأن هذا الاتجاه هو الذي منه سوف نصل إلى غايتنا, هنا يجب أن تفنى باقي الاتجاهات, وحين نحقق غايتنا من خلال ذلك الاتجاه ؛ لا بد أن تفنى جميع الاتجاهات وجميع الحدود والحواجز, لأننا أصبحنا في عالمنا الحقيقي الفسيح,عالم الحرية والإطلاق.

" حيثما تولوا فثم وجه الله " آية. إذاً , لقد عرف الله غاندي حين قال: " الحقيقة هي الله ".

ونحن نتوق رؤيتها , إذا ما كانت رؤيتها لا بد أن تكون بنورها الصـــافي الجميل ذلك الذي يتجلى لبصيرة فيها من ذلك الصفاء , ومن ذلك النور.

جميل أن يأتي الكاتب بما توجه إليه السـيد المسـيح من خلال قوله إلى الفريسـيين والمتحجرين في تدينهم وطقوسـهم حيث قال لهم :" الحق الحق أقول لكم إن طريق الملكوت مفتوحة أمام العشارين والزانيات قبلكم ".

ويقول الكاتب:" إن العمل الإنسـاني هو { مظهر}, وشـرطه الوحيد أن يكون عملاً متجرداً !" . ص ٢٥٨

" إن ملكوت الله في أنفسكم أنتم... " هذا ما قاله لنا ولهم السيد المسيح.

" إن العمل الإنسـاني يجب أن ينطلق من طهارة الذات ويتحقق في إطار هذه الطهارة وبمعزل عن الرغبات والارتهان والأحقاد ... ويقول غاندي أيضاً:

" ... مندفع ظاهرياً في عملك, وحر, غير مرتهن في قلبك لأي اندفاع أو حماس, ناشط في الخارج, هادىء وديع في ذاتك, فاعمل وأنت تتلاعب بالعالم , يا أيها " الرغافا " . ص ٢٥٩

## كمال جنبلاط من عالمه الغريب عنا

من عالمه الغريب عنا – قدِمَ ذلك الغريب إلينا – وجسّد غرابته فينا. فقد حمل رسالة غريبة– فيها نحن وهو- وعالمه الغريب – في لغة غريبة لا يعقلها إلا من نهل من ُسلسُلها ماء فرات عذب نمير– إلا من تغذى من شهد وصال الحب – معصرات عالمها الغريب.

هو كتب في مُذكراته بعض تذكراته الغريبة– فكانت من أهلة عالمه إلينا- وكانت من أدلة له علينا- إنما كانت بلسم لنا من أجل شفائنا.

كمال المعلم– من أجل كمال السطور– من أجل كشف الحجاب عنا– علنا نصبح صورته المتصورة في جوهر الكلمة من غير حجاب.

في النور أتى– وفي مداد النور كتب كلمته– ومن جوهر النور صاغ حروفها – وتعدى الحرف المشغول بالشوق- حتى يدرك ذاته في جوهر الكلمة التائقة للوجود.

وفي العتمة كنا نلتمس كلمته من أجل أن تكون شاهد لنا – في تحقيق مآربنا – ولم نكن نعلم أن كلمة الحق من جوهر النور – ولن تألو إلا لجوهر النور – لنعلم أن غبائنا لا يندرج في عالم النور. لتبقى الكلمة شاهداً علينا ..

وفي الوقت الذي كان يبني صوامع الحكمة في أقداسنا – كانت أفكارنا الغبية واقفة في ميدان الصراع – وكان الفكر يلّوح لنا بالسيف في يد – والذهب الأصفر في اليد الأخرى – من أجل أن نقتل غرابة الغريب – من أجل أن نقتل الغريب.

فلم نره بعين إنسانيته كما هو- إنما رأيناه بعين مصالحنا كما نحن – فتألم علينا بكل أواصره – تألم من أجلنا – وكتب بعصارة حبه لنا – عبارات المحبة – قبل أن يعلم أننا لا نقرأ عن الحب كلمة – كوننا حالة من الغضب.

هو بسط لنا سبل الحياة الفرح – وفرشها بورود ذاته البيضاء- من أجل بسط ذاتنا في جنان الفرح – من أجل أن نبني بيوت الحب – في حدائق الفرح .

كمال العلم والمعلم – كمال الحرف والكلمة – كمال النهج والغاية – رسم لنا درب الوصول إلى غاية الكمال – إلى غاية الحياة والوجود – لكننا كنا ولم نزل – في معركة الرغيف – ولم نرفع جباهنا يوماً – لنعلم أن الجمال– في كمال العلم في كمال المعلم – في عالم الكمال.

فقد عشنا تعساء – لأننا وضعنا جمال العلم – في زاوية منسية – كما وضعت جهالة من قبل جهالتنا– مصباح النور– تحت المكيال عناداً من مصدرنور الجمال – حقاً عشنا تعساء – ولم نزل– لأن عنادنا– أفقدنا نور الحقيقة– أفقدنا كل نور.

هو الذي وضع الإنسان في النور- من أجل أن يتجلى نور جوهره على أكف الوجود , فيا لها من فضيحة إذا ما كشف النور خبايا نوايانا – إذا ما كنا نطفيء كل نور حتى لا تُرى – حتى لا تـُعرف لنا حقيقة – حقيقة ترهبنا بثقل خطايانا.

لماذا النور يا معلم – فالعصر ظلمة؟ ولمن تكتب أيها الغريب – ما دمنا لا نقرأ؟ ولماذا تحيا بيننا وكأنك السيد المسيح- فالعصر يقضي بموتك – كما قضى بموت المسيح – وإن كنت ميزان عدل بيننا, فلن نقبلك – لأننا قتلنا العدل فينا قبل أن تولد.

## رسالة من الروح إلى الروح

من الأزل .. كنت والحب في ذاته .. حين كنتِ أنتِ الحب في ذاته .. كنت ولم أزل أنشدكِ على وتر الحب المتناغم في ذاتك .. وفي ذاتي .. وفي حدائق الحب سرنا .... والحب ينشد الروح فينا .. وننشده في ذات الروح .. وفي ذاته ..

فمن خابية الأزل .. نهلنا أكواب الحب .. حتى ثملت منا الروح بمعصرات الحبيب الأزل .. وصرنا نغمة شوق من ذاتنا إلى ذاته..

تعالي يا حبيبتي .. فالروح تنشد .. والحب ينشد.. والعقل .. والنشد واحد.. والمنشود واحد .. والنغم واحد.. والوتر واحد.. ونحن واحد.. واحد ينشد الواحد ..

تعالي إلى رحلة الحب البديعة .. في حدائق الأبدية .. فنحن عشـــاق الحبيب الأزل .. تعالي تعالي لنغرس معاً .. عُقلات الحب المبارك .. في رياض الأبدية ..
فالحب يسألنا عنّا.. ونحن نسأله عنه .. وهو منّا وإلينا .. لأنه جذوة الحياة فينا.. هو الذي آلف مراســينا .. على شــاطيء الأبدية .. فتعالي ننهل من حكمة الوجود .. ما يثري وجودنا ويثرينا ..
تعالي تعالي .نذيب معاً أوحال ترابيتنا .بماء أبديتنا .. فالأبدية بالروح تحيينا .. بقدم الروح وعلى إبل أشـواقنا تعالي يا حبيبتي مع نغم الصـباح نشـرق على الوجود في ذات نور الروح.. في ذات مشكاة نور الحقيقة المشرق من ذاتها الكلية فينا..
تعالي يا حبيبتي .. تعالي نجلس بين أطباق الزهور .. نحاكيها بنغمة الحب .. علها بروح الحب تناجينا.. فنحن صـمت وصـفاء.. وهي من فلذات روحينا تغنينا.. تعالي نناجيها في لغة الأزل .. علها في صفاء الصمت .. في لغة الروح .. تناجينا ..
تعالي يا حبيبتي .. إلى جنائن غناء كانت بنا .. مبسـوطة في جوهر حبنا .. في عبق النعيم .. فقد ذاب أريجه فينا .. ..
تعالي يا حبيبتي .. إلى حكمة الأزل .. إلى حيث يهبنا الله .. إلى حيث يغنينا ..
تعالي ننشد الروح .. فهي بالحب تحيينا .. إذا ما توحدنا بها .. إذا ما توحدت فينا..
تعالي نســـكب القطر النديَّ من مآقي الفؤاد .. فوق عُقل الحياة .. علها ترتوي بماء الحب .. وتروينا ..
تعالي يا حبيبتي .فقد مسحتْ دموع البسط .. عتمة الأقدار عن روابينا .. تعالي نبسط الروح .. فهي في البسط .. تثرينا
تعالي يا حبيبتي .. فقد عزف الوجد .. نغم التذكار .. على أوتار تدانينا .. فليس أنا ولا أنت .. إنما الروح في مهجتينا ..
فقد كبرت غاياتنا يا حبيبتي .. فكبرنا .. وصارت حكمة فينا .. ..
فنعمة الله علينا يا حبيبتي .. أننا بالروح .. قد تلاقينا .. وجوهر الروح هادينا .. وهذه غاية الله يا حبيبتي ... إذا ما كانت وحدة الروح .. بالله تحيينا .. وتحيي روحنا فينا .. وتحيي الله في الناس .. فهذه أقصى أمانينا ..

# من الفلسفة الإبداعية

محاضرة ألقيناها في المركز الثقافي في السويداء

- الوجود والواجد والموجود.. واحد.. والصــورة والمصــور والمتصــور .. واحد .والكون والمكنون .. واحد .. إذاً, لنلغي مقولة الظاهر والباطن .
- عالمُ الطبيعةِ.. وعالم فيما وراء الطبيعة.. هما واحد.. هما أنت .. إذا ما كنت جملة من الخلايا يحتويها الجوهر .. فأنت كلك أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر .. أنت جبلة من الطبيعة .. مغموسةٌ بروح الأزل.
- الوجود إنما حركة شــوق من ذاته إلى ذاته..من ذات الموجودِ الحق في المكنون إلى ذاته في المطلقِ . وهو واحد ..
- الجوهر .. هو الكل اللطيفُ المتصورُ .. في الكل الكثيفِ المتجسد .. جوهرُ غبطةٍ .. غبطةُ شوقٍ سرمديةٍ.. مبثوثةٍ في كل ثنيات الوجود ..
- فمن نقطةِ بيكار الدائرةِ الكونيةثش المتصـــورةِبقلم الإرادة الإلهية العلية وبمدادٍ كثيفٍ ومن ثباتٍ معنوي مطلقٍ.. إبتدأ الكون في ســفر..إنما هو ســفرُ الوجود بذاته الكلي ..إلى ذاته المطلق من خلال حركةِ شـــوقٍ هو مبدُعها وهو وجهُتها وهو غايتُـــها.. إن نقطةَ بيكارِ الدائرة الكونية..ليست مركزَ الدائرةِ فحسب ؛ إنما هي سرٌّ وجودِها أيضاً .
- الحركــة التي تنطلقُ من مركز الـدائرة هي حركــةٌ إراديــةٌ عقليــة غائيةٌســـرمدية تنطلقُ من ثباتٍ مطلق ..ويبقي الثباتُ ســـارياً في ذاتها ..وحركةُ الفكر فانية.
- عــالمُ العقـلِ هو عــالمُ فيمــا وراءَ الطبيعــةِ..وعــالمُ الطبيعــةِ إنمــا هو صــورةٌكثيفةٌ لعالم لطيف..صـورةٌ توحدت بفعل شـوقُ الهيولى إلى أثبات وجودها فاتحدت بالصـورة..وشـوقُ الصـورةِ إلى ثبات جوهرِها..فاتحدت بالهيولى.
- عالمُ العقلِ هو شـــاهدٌ على عالم الفكرِ إذا كان عالمُ الفكر هو القائمُ بالفعل. وإذا حضر عالمُ العقل وقام بفعله العقلي؛ غابَ عالمُ الفكرِ

العقل واحدٌ من صــميم الواحد الأحد, هو أرقى َمَلكةٌ جوهريةٌ في العالم المادي والمعنوي .. هو واحدٌ لا يتجزأ..ولا ينفعل, هو كلمة الباري وإرادتهُ وفعلهُ , هو كمالٌ لصفات الخير جميعِها, ثم تفنى الصفات في بحر البساطة الإلهية..هو في كل ثنيات الوجود .. بسيطٌ لا يتكثفُ ..هو العقل مبدعُ الوجود وضـابطُ جميع حركاته_ لا يوجد عقل إنسـاني . . لا يوجد عقلٌ أدنى من كمال صفاته .

- الحرية إطلاقٌ وليســت تملكاً.. لأنها وعيٌ محضٌ .. والوعي المحض هوالله.. وقد تمّلك الفكر حرية البشر فاستعبدهم .. وأذلهم..
- التوحيدُ : إنما هو تجريدُ الحركةِ من خلالِ عقلِها . حيث تتوحد الذاتُ الإنســانيةُ في ذاتها الكليةِ.. هو تجريدُ الكلمةِ والفعل .. إلى الغاية القصوى منهما .. هوالإغتسال من أوحال الفكر بماء الجوهر..
- إن العالمَ يشــكلُ وحدةً جدليةً قائمةً على تجريد الفعلِ .. لأن جدلية الحركةِ فيما بين المفهوم والموضوع , تجعلُ الحقيقةَ جليةً على ظاهرِ الحركةِ وأن ظهورَ الحقائقِ وتجليها على ظواهر الأفعال؛ يجعل منها وســائلَ حقيقيةَ للوصــول إلى الحقيقةِ الكليةِ التي هي غايةُ كل فعلٍ . وكلُ حقيقةٍ تعي سـبلَ التوحيدِ بين ظاهر الموضـوعِ وعللِ وجودهِ , تجرد الحركة والفعل للغاية القصوى منهما .

- الكلمةُ.. كانت جوهراً بالقوة في جوهر العقل .. وحين فاضت منه أصبحت جوهراً بالفعلِ .. هي لاتحدها أعماقٌ ولا أغوار ولا أبعاد
لأنها علةُ وجودٍ, وعلةُ شوقٍ .. هي إشراقُ نورِ الحقيقةِ المعنوية على الوجود المادي ..
- إن الوجودَ وجوبٌ محضٌ, لا سلب فيه, هو مشحونٌ بضميرٍ , إنما هو ضميرُ الوجودِ وسابقهُ , مبثوث بكل ثنايته , يحركه من صميمه. إذاً.. من الذرة نبدأُ.

قال علماءُ الفيزياء: إن الذرة تتألفُ من شُــحنةِ بروتون موجبةٍ,وشــحنةٍ ألكترون سالبةٍ,ونيترون عديم الشُحنة لنقل على ضوء نظام الوجود الذي لا سـلب فيه : إن الحركة هي حركة بسـطٍ وقبضٍ بواسـطة نيترون يُمدُ الحركةَ بالحياة في تسـاوي البسـط والقبض,وفي احتواء الحركة. فالبسـط والقبض هما علةُ الحركة .. إذا ما كان جوهرُ الوجود هو نبضُ الحياة .. وإلا .. فمن أعطى لهذا الترابَ وسيلةَ الحركة ..

- إذاً, لا توجد جاذبيةٌ.. إذا ما كان الشوقُ هو نبضُ الوجودِ في جميع ثنياته؛ إذا ما كانت المادة حرةً في وجود حرٍ ..حركته حركةُ شـوق وهيام.. من ذاته

إلى ذاته .. إذا ما كانت المادةُ التي يحتويها الجوهرُ يحركها إرادياً .. تحقيقاً لإرادة كلية حرةٍ.. ليسـت خاضـعةً..فلا خضـوعَ لحركة الوجود المتحركَ إرادياً بفعل الشـوق إلى كمال ذاته..فالإرادةُ لا تخضـعُ, لأنها عقليةً جوهريةً.

- لا توجد الجاذبية إذا كان وجودها مرتبطاً بالمادة البحتة المنحلة من الجوهر, والخاضـعةِ للجاذبيةِ.. فالأرضُ لا تدورُ حول ذاتها إنما هي تتحركُ إلى ذاتها بفعل الشوق..
- الشوق, إنما هو حركةُ الوجود من ذاته إلى ذاته..إذا ما كان المكنونُ هو غايةُ الشوق .. وغايةُ الوجودِ.. وغايةُ الحركة .. من أجل أن تصبحَ الحياةُ معنىً .. والمعنى جوهرُ الحياةِ..إذا ما كانت حركةُ الفكر بالمفاهيمِ حسب

ديالكتيك ماركس..هي حركة متناغمة بين الفكر والمادة .. لكن غائية الوجود تتطلب حركة عقلية إرادية من خلال الوعي ..غايتها كمال جوهرها .. كمال إنساني الإنسان .. تحقيقاً لمعنى الحياة.. لنرى أن الديالكتيك الحقيقي هو { حركة الشوق بالمعاني } حيث إن ثبات المعنى .. يثبت ماهية الإنسان ويثبت جوهريته ..

- إن الأولين قد رفعوا بناء الفلسفة إلى مستوى النظر آنذاك .. ونرى أن واجبنا هو { رفع ذلك البناء إلى مستوى النظر الآني }
- فقد نعرف الجمال حقاً .. إذا ما تناغم مع الجمال الذي يترنم على أنشـــودة الأزل في أقداسنا . إذا ما كان الجمال .. تحقيقاً لوعي تلك الأقداس ..
- ليتصور في مرآة الوعي ..كل فعل يحققه الوعي.. يتصور في ريشة الضمير.. من أجل بناء الحياة الفرح. ..
- غـائيـة الوجود.. إن عـالمنـا هـذا هوعـالم الطبيعـة.. عـالم الفكر القـائم على الاختلاف .. لكن العالم الغائي ..هو عالم الوعي .. عالم العقل .. عالم الحقيقة .. عالم الإله.. هو العالم الذي ننشده.. وهو ليس بعيداً عنـّا .. إنما هو المكنون فينا .. هو جوهر النور الحقيقي .. في أقداسنا .. فالغائية إنما هي سمو الوسيلة من الهدف إلى الغاية من خلال الوعي.. الذي يحرر الحركة من جميع القيود.
- الفكر هو حركة اختلاف قائمة على التملك بالقوة .. فالقوة هي الحاكمة وهي فكرٌ, لنجد أنه مؤسـس شـريعة القوة التي كانت ولم تزل { شـريعةَ الغاب}.. إذاً, نحن لا نســتطيع الاغتســـال من أوحال الفكر بأوحال الفكر.. إنما يجب الإغتسال من أوحال الفكر .. بحكمة الأزل .. بماء الجوهر ..
- السيادة.. إنما هي وعيٌ ..وليست خضوعاً.. فالسيد هو الحُر.. هو الذي انعتق من جميع قيود الفكر الظالمة المبنية على القوة التي تقهرُ الســـيادةَ حكماً.. فكلُ حاكمٍ خاضعٌ , وكل محكومٍ خاضعٌ , وكل خاضع خائفٌ .. وكل خائفٍ هو تحت قيدِ العبودية التي جسدتها فلسفةُ عصر النهضةِ الأوروبيةِ..
- الجميل ان ننتظم في وجودنا .. من خلال وعينا لهذا الوجود .. أن ننتظمَ فيما بين العلةِ والغاية.من أجل أن يتبدى جمالُ الصورة والتصور للجمال المتصور .. في مرآة الجمال ذاته ..

■ إن نقطة بيكار الدائرة .. ليست مركز الدائرة فحسب.. إنما هي سرُ وجودها, والوعيَ يعلمُنا سبلَ الوحدةِ .. من أجل أن ننتظمَ في وحدةٍ كونيةٍ شاملة.

- قال أرسطو: العقل هو الملكة التي يتميزُ بها الإنسانُ عن سائركائناتِ الوجودِ..وقال هيجل: يتميزُ الإنسانُ عن الحيوان بالفكر.لنقل:يتميزُ الإنسانُ عن سائر كائنات الوجود ؛ بكل شاردة في كونه وكيانه وكينونته. هو غاية الوجود، ولسنا مع ديكارت الذي رغب بالسيادة .. وتملك الطبيعة معاً .. إذا ما كانت السيادة والتملك لا يتفقان أبداً .. إذا ما كان التملك عبودية..
- هي السعادة مطلب الحياة أيها السادة .. إنما هي وعي يحقق إنسانية الإنسان,

من أجل أن تصبح الحياة محبة يترجمها اللقاء ..

- في الوعي أيها السادة..يتجلى الحب الحقيقي..حب الكائنات جميعها.. فالحبُ ليس خاضعاً إلى عضلة العواطف تلك.. إنما هو وعي لجوهر الحبِ..هو نغم يترنمُ على شذا ألحانه فؤادُ الوجودِ, وما نحن إلا جذوةُ الحب المبارك على مظهرية هذا الوجود .. فعلى وتر الحب الصامت الصافي نسمعُ لحنَ الخلود .
- إذا ما كان الصمتُ يسُمعنا نغماً بلا وتر..حين يترنمُ في ذاتنا النغمُ والوترُ. .وحين نكونُ كلمةَ صمتٍ؛ فنحيا في ضمير الكلمة .. إذا ما كانت من وحي الضمير ..
- رسالة الحياة.. إن أشرفَ وأقدسَ واجبات الإنسان أيها السادة.. هي في وعي رسالته للحياة, من أجل أن يصبح {رسالة حياة},رسالة عطاء.. يعطي من خلالها حياة للحياة.. رسالة تعلمه أن قانون الوجود أكرم وأغنى.. فإذا ما كان دائناً في قانون الوجود {يُعطى},وإذا ما كان مداناً {يُؤخذ منه}

وأن كلَ ذرةَ جهل في هذا.. إنما هي حجابُ بين من يجهل..وبين الحقِ والحقيقة ..

- إن اللهَ ليس سكوناً حسب ما يقولون .. إنما هو واجبُ الوجودِ في ذاته .. هو اليقضة المحضة والوجوب المحض ,,,, لا يوجد السكون إلا في داخل الحركة المادية هذا إن وجد.
- لا طبيعة للجوهر .. فالطبيعة مادية حكماً .. ولا طبائع للعقل .. إنما صفات وإذا ما تأملنا الروح بعين الوعي ..لا نرى روحاً.. إنما نرى نور الوجود في ذاته وفي ذاتنا .. وقد سألتني الروح بقولها : بربك قل لي أيها الإنسان ..أنا جوهرة مكنونة من روح الله .. حبيسة هذا الجسد الإنساني المظلم لا حول لي في هذا الإنسان الذي لا يراني ولا يسأل عني ولا يسألني.. إنما يرمي بكل موبقات الفكر في ذمتي .. ليقول الخلق عنّي .. إنني أخبثُ من سبعين شيطاناً .. بربك أيها الإنسان قل لي .. إن كنتً تعرف الله ..؟ وأنا أسألكم عن الروح .. أيها السادة .. إن كنتم تعرفون الله .. وأنظروا الآية الكريمة { ثم سواه ونفخ فيه من روحه}.السجدة – ٩
- فالوجود وحدة جوهرية إرادية تحرك مادة الوجود من ثبات مطلق– وكثرة مادية في حركة مطلقة..والإرادة فوق القوة.. وأن تحرير المادة بالوعي من سيطرة القوة التابعة للفكر .. يفني الفكر القائم على القوة والسيطرة .. ومع فناء الفكر..تتحقق حركة الوجود العقلية الإرادية وينعتق الإنسان من كل أشكال الخضوع .. فيصبح سيداً قائداً لقانون الطبيعة .. وتصبح المادة سيدة حرة تتحرك إرادياً ..
- لماذا نخفض معاييرنا لتناسب الظروف .. تعالوا نرفع معاييرنا بالوعي .. علها تنقذنا من الغرق في بحر الخطيئة ..
- نحن لسنا طائفة ..نحن معتقدٌ نحقق من خلاله غايتنا الإنسانية.. حيث يذوب المعتقد في بحر إنسانيتنا العظيم ..فالطائفية تقتل الطائفي.. والتاريخ يشهد.

- إن جمال الوجود فينا, نراه بنور الوعي, بنور الجمال المتجلي في أقداســنا ..

الذي يتناغمُ مع الوجود الجوهر بنغم قدسي يحيي الجمالَ في ذاتنا وفي ذاته .

- إن إرادةَ الوجودِ تحركُ المجراتِ والأفلاكِ.. من مركز الدائرة الكونية ... من ذاته .. من ذاتك .. .. من ذاتنا الكلية .. ونحن لا ندري ..لأننا فكر.
- لا عدميةٌ ولا فناءٌ في وجودٍ كاملٍ شامل لا يعتريه زيادةٌ ولا نقصانٌ. إنما هناك .. تغيرٌ , وتبدلٌ, واستحالة ..في وجودٍ سرمدي الوجود والثباتِ.
- فأنا وأنت من الأزل كنا .. ولم نزل .. في رحلتنا المباركةِ في حدائق الأبدية. لتعلم أن دستور الأبدية هو الصعودُ والنزولُ من على سُلم الأبديةِ ..
- لا مذهبيةٌ عقليةٌ .. لأن كلَ من تمذهبَ فلسفياً يكونُ قد تحزبَ عن الحقيقة وليس إليها .. إذا ما كانت الحقيقةُ كليةً جوهريةً وطلقة ومجردةً .. ولن نصل إليها إلا بعقل مجردٍ ..
- الفكرُ لغاتٌ.. والعقلُ لغةٌ.. الفكر أديانٌ .. والعقل دينُ الله الواحد..إذا ما قال لي الشــاطىء : أنا من صــميم البحر .. لأني إذا تأملتُ ذاتي .. رأيت البحرَ في صــميمها.. وإذا تأملتُ البحرَ..رأيت ذاتي في صــميمه.. فأنا من صميم البحر .
- إن لكل شيء حقيقته الذاتيةُ.. وإن جميع تلك الحقائقِ تدلُ وتشيرُ إلى حقيقةٍ كليةٍ جوهريةٍ مطلقة ومجردة .. إنما هي المكنونُ فينا ..
- الفلسفةُ.. هي علمُ الوجودِ الحقِ.. هي علمُ الحقيقة .. هي وعيُ المعرفة من أجل الكشــف عن مكنونات الوجود .. هي غذاءُ الروح .. إنما هي لغةُ ذاتنا الحرة .. لغةٌ تتناغم في أقداســنا,مع نغم الوجود .. ونحن لا نســمعُ نغمَ الوجود .. لأننا ضجةُ فكرٍ مدويةٍ في كل أرجائنا .. وفي الأرجاء .
- قال أرســطو : إن الإنســانَ صــورةٌ ومادةٌ.. ووجد بيكون أن لا داعي للصــورة ما دامت المادةُ تحقق مآربه فألغاهاً ..وفي هذا يكون قد ألغى الروحَ والعقلَ والضميرَ واللهَ معاً.. والحقيقةَ وجوَهرها.. ليصبحَ الإنسانُ جسداً بلا روحْ ..

- استخدم الفكر ما هو غير قابلٍ للإستخدامِ .. كالدينِ والعقل والفلسفةِ والكلمةِ والحقيقيةِ حتى الجوهرِ ..ثم وضع كلاً منها في مواقع دنيةٍ من أجل إسقاطها.
- متعلمونَ نحن .. إنما تحرُكنا مفاهيمٌ جاهلةٌ .. فالشهادةُ في مجتمعنا غايةٌ من أجل استحقاق الوظيفةِ.. ثم نعودُ إلى جهالة المفاهيم ..

- إن أخي هو الذي يقطن في آخر الدنيا ويعلم .. وليس الذي يقطن بجواري ويجهل .. والذي ينير ذاتي ويبسطها بنور الجوهر هو { معلمي الحقيقي }
- إن عين الفكر تترجمُ رغبات البشر .. وعينُ العقل تترجم غاياتهم السامية.
- الكلمة نسجتها حروفٌ من الأزل.. من أجل أن يحتضن حريرُها جمالَ الأبدية.
- إن العيب الفاضحُ للمجتمع البشري .. هو أنه تأدبَ بسيف القوة .. وتأبد به ..
- نحن نتطلعُ إلى خلق مجتمع إنساني .. من خلال وعيه لعظمة وجوده ..

الوعيُ يذيب جميع التناقضات ..ويلغي الازدواجية..ويحقق وحدة الكون والمكنون .

- إن الوعيَ يحققُ السيادة الحقيقية .. والسعادةَ الحقيقيةَ .. والحريةَ الحقيقية.
- الفن هو القيمةُ الجماليةُ للحركة .... إن كلَ آتٍ جديدٍ..
- كونٌ ومكنون .. لا يوجد علمٌ للنفس .. فصل الدين عن الدولة .. بناء الدارين معاً من خلال تحقيق رسالتنا المصطورة بقلم الوعي ..

# الفهرس